



أخبارهم وأشعارهم في العصر الجاهلي

تأليف
الدكتور عبد الحميد المعيني
جامعة اليرموك / كلية الآداب

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

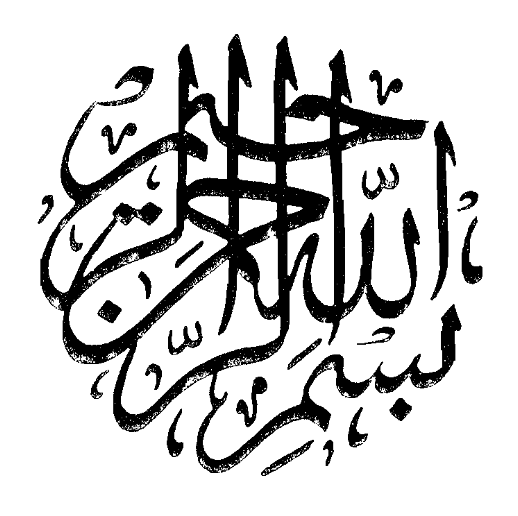


التميميون

أخبارهم وأشعارهم في العصر الجاهلي

تأليف
الدكتور عبد الحميد المعيني
جامعة اليرموك / كلية الآداب

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م





مقدمـــة

الحمد لله الذي علّم الانسان مالم يعلم، وصلى على رسولنا الكريم محمد بن عبدالله وسلم، وبعد،

فهذا الكتاب يحاول ان يدرس شعر التميمين من الناحيتين الموضوعية والفنية، ويريد ان يتعرف الى اخبارهم، ويحدّث عن شعرائهم في العصر الجاهلي.

ويأتي هذا الكتاب بعد كتابنا الذي سبقه تحت عنوان «شعر بني تميم - جمع وتحقيق -» وقد صدر عن نادي القصيم الأدبي بالسعودية ليكون الكتابان وحدة متكاملة في جمع وتحقيق ودراسة هذا الشعر الذي زفزفته وابرزته قرائح الشعراء التميميين آنذاك.

وتمـيم من كبريات القبائل العربية، ومن أهمها في تاريخنا العربي القديم، وقد اجتمع لها رياسة الموسم والقضاء في عكاظ، وانجبت هذه القبيلة اشجع الفرسان، ومساعير الحرب، وسيطرت على الساحة القتالية، وكان لها السيادة وبيدها زمام القيادة بين القبائل في الجزيرة العربية. وامتازت تميم بتفوقها في ميادين الشعر وبرز فيها شعراء فحول أرسوا قواعد مدرسة الصنعة، وساهموا في اعطاء القصيدة العربية تقاليدها الفنية.

ونحن نعلم ان القبائل هي التي حملت لواء الشعر، وكان لها دواوين شعرية تضم اشعارها، واخبارها، وتسجل اهتماماتها وهموم حياتها، وتحفظ انسابها ومفاخرها، لكن هذه الدواوين ضاعت - ماعدا ديوان هذيل -. وشعر القبائل التي ضاعت دواوينها، وضلت طريقها، ولم تصل الينا، يقتضي من

الباحث ان يجتاز السبيل الى شعرها في مرحلتين:

الاولى: جمع هذا الشعر وتحقيقه وتوثيقه، وبيان قيمته التاريخية.
والاخرى: دراسة هذا الشعر دراسة موضوعية وفنية.

وتحقيقا للمرحلة الأولى قمت بجمع شعر بني تميم وتحقيقه في الكتاب الذي صدر عام ١٩٨٢م، واستكمالاً للمرحلة الاخرى تصدر هذه الدراسة وتستوعب أربعة فصول:

خصصت الفصل الأول منها للتعريف بالقبيلة: نسبها، ومنازلها وحياتها الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، وعلاقاتها الخارجية.

وجعلت الفصل الثاني للشعراء الذين زادوا على مئة شاعر وشاعره ودرست مصادر شعرهم، وعرضت لظواهر الضياع والانتحال والاختلاط في هذا الشعر، ثم قمت بتوثيق شعر القبيلة، وقبلت لهذا التوثيق مقياساً يجمع بين مقاييس القدامى، ومناهج المحدثين.

واهتم الفصل الثالث بالدراسة الموضوعية التي دارت في محور القبيلة وارتأيت ان تكون في اربعة موضوعات هي: شعر الحرب، وشعر الرثاء، وشعر الطبيعة، وشعر موضوعات اخرى ضمت الاخلاق والهجاء والغزل.

وتناول الفصل الرابع الدراسة الفنية التي جاءت في ست خصائص هي: لغة القبيلة، ومدرسة الصنعة التميمية، وشعر مطولات، والمقدمات والتصريع، والظواهر اللغوية والظواهر الموسيقية.

وبصدور الكتاب السابق «شعر بني تميم» وبظهور هذا الكتاب اللاحق اكون قد حاولت اجتياز المرحلتين اللتين اشرت اليها في دراسة شعر القبائل.

وحسب هذه المحاولة سابقا ولاحقا انها قدمت ديوان القبيلة ـ أو جانبا من الديوان ـ وجعلته في متناول ايدي الدارسين، وكشفت عن بداية وريادة مدرسة الصنعة الفنية وازاحت الستار عن مئة شاعر وشاعره اطمع ان يلقوا من

الدارسين والباحثين عناية اوسع ودراسة أرحب. وتظل هذه المحاولة وفاء لفرسان الشعر في تميم ودفعاً لما وقر في الاذهان من قلة شعرها قبل ان تشرق الجزيرة بنور ربها. وتكون منارة درب، وسبيل هداية للسائرين على طريق شعر القبائل عامة وشعر التميميين خاصة.

والله اسأل ان يوفقنا الى سواء السبيل، وان يسدد خطانا على درب العلم والخير والايمان فانه نعم المولى، ونعم النصير.

الدكتور عبدالحميد المعيني
- جامعة اليرموك -
دائرة اللغة العربية

الفصل الأول
القبيلة

١ ـ نسب تميم.
٢ ـ منازل تميم.
٣ ـ الحياة الاجتماعية.
٤ ـ الحياة الاقتصادية.
٥ ـ الحياة الدينية.
٦ ـ العلاقات الخارجية.



نسب تميـــم

تحتل قبيلة تميم مركزاً مهماً في التاريخ العربي القديم، وحين نتحدث عنها، لا يغيب عن أذهاننا أنها قبيلة شمالية مضرية. ولا مغالاة في القول بأنها كانت من أوفر القبائل عدداً، وأوسعها بلداً، وأكثرها عظيماً، وأمنعها حريماً. وقد افترقت قبائل وبطوناً كثيرة، عرفت بالشعر والفصاحة، وكان فيها جميعاً عز منيع، ونسب رفيع.

ويعود النسابون بتميم إلى العدنانيين، فجدها الأول هو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وإليه تنسب القبيلة التي تعد من كبريات القبائل العربية، وقد وصفها ابن حزم بأنها من أكبر قواعد العرب[1] وقال عنها الجاحظ: «ان تميم بن مر لها الشرف العود، والعز الأقعس، والعدد الهيضل، وهي في الجاهلية القدام والذروة والسنام»[2]. وذكر صعصعة بن ناجية بأن تميماً هامة مضر وكاهلها[3]. ويذكر ابن دريد أن اشتقاق تميم من الصلابة والشدة والاكتمال، وأن العرب سمت تميماً وتمّاماً ومتمماً.[4]

ولا أريد أن أتوقف عند قضية النسب والأنساب، فإن ما قيل فيها كثير، لكنني أرى أن صحة النسب في تميم، ليست بالشيء الذي يحتاج إلى بيان، أو يعوزه دليل، فهي قبيلة متبدية، والبداوة تتصف بصحة النسب[5]، وهي قبائل وبطون وعشائر تتمسك كل منها بنسبها لعصبية، أو منافسة، أو رابطة قربى، وأيضاً فقد أكد الباحثون في أنساب العرب حقيقة نسب قبيلة تميم. وأشار إلى هذه الحقيقة بوضوح النسابون من تميم أمثال ربيعة بن مخاشن، والأقرع بن حابس، وأكثم بن صيفي، والحنتف العنبري وغيرهم[6]، كما أبرز هذه الحقيقة

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٧.
(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ١/١١٩.
(٣) ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة ٣/٢٩٤.
(٤) ابن دريد: الاشتقاق ٢٠١.
(٥) ابن خلدون: مقدمته ١٠٣.
(٦) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/١٢٥ والمؤتلف والمختلف ١٥٢، وبلاغات النساء ٧٢.

النسابون العرب كابن دريد، وابن حزم، والسويدي، وابن عبدربه وغيرهم.[1]

وفي الأنساب أنه كان لتميم ثلاثة أبناء هم: عمرو والحارث وزيد مناه[2]، وكان بنو الحارث بن تميم قلة، وسموا «الشقرات» لأن شاعرهم قال:[3]

وقد أحمل الرمح الأصم كعوبه   له من دماء القوم كالشقرات

أما عمرو وزيدمناة، فقد انحدر منهما سائر بطون بني تميم وقبائلها. وتروي الأخبار أن عمرو بن تميم كان جواداً حليماً، يخف لاستقبال الضيفان[4]. وله من الأبناء أسيّد والهجيم، والعنبر ومالك والحارث وكعب، وينفرد ابن دريد بذكر كعب بن عمرو بن تميم[5]، وبنو كعب حلف في بني مازن وهم قليل، ومنهم الشاعر ذؤيب بن كعب وهو قديم[6]، وكان من قضاة عكاظ في الجاهلية[7]. وبنو الحارث بن عمرو قليلون أيضا، ويقال لهم «الحبطات»، لأن الحارث أكل ذات مرة طعاماً كثيراً فورم بطنه، وزاد انتفاخه، فسمي «الحبط».[8]

أما بنو الهجيم فأخبارهم قليلة، وأشهرهم الشاعر أوس بن غلفاء[9]، ومن فرسانهم وشعرائهم جريبة الهجيمي[10]، ومنهم نهيك بن الترجمان، وكان أبوه مترجم كسرى.[11]

(١) ابن دريد: الاشتقاق ٢٠١، وابن حزم. جمهرة أنساب العرب ٢٠٧، والسويدي: سبائك الذهب ٢٦. والعقد الفريد ٣٤٤/٣.
(٢) انظر خريطة نسب تميم.
(٣) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٨، وابن عبدربه: العقد الفريد ٣٤٥/٣، القالي في الأمالي ٢٩٨/٢. والشاعر هو معاوية بن الحارث الملقب بالشقرة - انظر شعر بني تميم ص٤٨٥
(٤) السويدي: سبائك الذهب ٢٦.
(٥) ابن دريد: الاشتقاق ٢٠١.
(٦) المصدر السابق: الموضع نفسه. وفي الأمالي ٢٩٨/٢، وانظر شعره.
(٧) أبو عبيده: النقائض بين جرير والفرزدق ١٤٢/٢، وفي العقد الفريد ٦٥٣/٥.
(٨) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٨، وابن دريد: الاشتقاق ٢٠٢.
(٩) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٨، وانظر شعر بني تميم ٤٣٩
(١٠) ابن دريد: الاشتقاق ٢٠٩، وانظر شعر بني تميم ٤٣٩
(١١) المصدر السابق: الموضع نفسه.

وأبناء مالك بن عمرو هم: مَازن، والحرماز، وغيلان، وغسان، وذكر صاحب السبائك ولداً آخر لمالك هو أسلم ولم يذكر غسان[١]. وغيلان بطن قليل، والحرماز عرف بالذكاء وحدة اللسان، ولا شيء يذكر عن غسان أو أسلم[٢]، أما مازن بن مالك فالأخبار تروي أنه كان ممن اجتمع نه الموسم والقضاء في عكاظ[٣]، ومن أولاده خزاعي وحرقوص وزبينة[٤]، فمن خزاعي برز الشاعر ثعلبة بن صعير[٥]، ومن بني حرقوص كان الشاعران خفاف بن مالك[٦]، وقطري بن الفجاءة رئيس الأزارقة[٧] من الخوارج زمن بني أمية، ومن زبينة اشتهر الشاعر عاصم بن قيس بن ناشرة[٨].

ومن أبناء أسيّد بن عمرو: نمير وعمرو وعقيل وجردة والحارث، فمن بني نمير أوس بن حجر، شاعر مضر كلها في الجاهلية[٩]، ومن بني جردة اشتهر بني شريف، ومنهم أكثم بن صيفي، سيد بني تميم وحكيم العرب في الجاهلية[١٠]، ولأكثم أخوان هما: الربيع بن صيفي الكاتب المشهور، ويحي بن صيفي القاضي المعروف، وكان للربيع حنظلة كاتب الرسول عليه السلام[١١]. ومن بني جردة بن أسيد صفوان بن صفوان بن النباش أول مقاتل قتل في سبيل الله بعد الهجرة،[١٢] ومنهم أبو هالة. هند بن زرارة بن النباش زوج أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ومات بمكة في الجاهلية،[١٣] ومنهم الصحابي رباح ابن الربيع بن صيفي، ومن رجالات بني أسيد المشهورين في الجاهلية أبو

---

(١) السويدي: سبائك الذهب ٢٨.
(٢) ابن دريد: الاشتقاق ٢٠٤.
(٣) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٤٢/٢، وابن عبدربه في العقد الفريد ٦٥٣/٥.
(٤) ابن دريد: الاشتقاق ٢٠٤.
(٥) انظر شعر بني تميم ٣٧٩
(٦) انظر شعر بني تميم ٣٧٩
(٧) ابن دريد: الاشتقاق ٢٠٤.
(٨) انظر شعر بني تميم ٣٧٩
(٩) ابن دريد: الاشتقاق ٢٠٥.
(١٠) ابن حازم: جمهرة أنساب العرب ٢١٠ وابن دريد: الاشتقاق ٢٠٥ والسويدي: سبائك الذهب ٢٨.
(١١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٠، والسويدي: سبائك الذهب ٢٨.
(١٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٠، وابن عبدربه: العقد الفريد ٣٤٥/٣.
(١٣) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٠.

يكسوم بن عتاهية، وكان شريفاً في قومه.[1] ويبدو لنا من نسب بني أسيّد أنهم كانوا من أشراف بني تميم وحكمائهم ومفكريهم.

والعنبر بن عمرو كان له ولدان هما: جندب وكعب[2]، أما جندب فكان دمياً فاحشاً، وفارساً شجاعاً، وابنه جهينة شاعر[3] ومن نسل جندب برز طريف بن تميم شاعر بني العنبر وفارسهم، وعند ابن دريد أنه فارس تميم كلها[4]، وابنه ربيعة بن طريف شاعر فارس كذلك.[5] ومنهم ربيعة بن رفيع أحد أصحاب الحجرات[6]، والحنتف بن زيد نسابة بني تميم[7]، أما كعب ابن العنبر فكان فارساً، وولده المجفر فارس كذلك، ومن نسل المجفر بنو الخشخاش الذين وفدوا على الرسول عليه السلام، وتصايحوا وراء الحجرات[8]، ومن فرسان بني كعب بن العنبر: جارية بن المشمّت، ومجاهل ابن علباء[9]، ومسعر بن فدكي، وكان من أشجع الناس. وابن حزم يجعل مسعراً من بني سعد لا من بني العنبر[10]. ومن العنبريين كذلك ثورُ بن شحمه مجير الطير[11].

والذي أراه أن بني العنبر كانوا من فرسان تميم الأشداء وهم أصحاب بأس ونجده وفيهم غلظة وحدة.

أما بنو زيد مناة بن تميم فهم الكثرة الغالبة في تميم، وكان لزيد مناة أولاد هم: سعد ومالك وامروء القيس، ويضيف ابن حزم له ولدين آخرين: هما عامر وعوف[12]، وينفرد صاحب السبائك باضافة ولد آخر اليهم هو

(١) المصدر السابق: الموضع نفسه.
(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٩، وانظر شعر بني تميم ٤٥٧
(٣) الميداني: مجمع الأمثال ٣٣٤/٢.
(٤) ابن دريد: الاشتقاق ٢١١.
(٥) انظر شعر بني تميم ٤٥٧
(٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٨.
(٧) الآمدي: المؤتلف والمختلف ١٥٢.
(٨) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٨.
(٩) ابن دريد: الاشتقاق ٢١٢.
(١٠) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٧.
(١١) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٩٣.
(١٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٧.

كعب[1]، فمن بني امرىء القيس بن زيد مناة الشاعر عدي بن زيد العبادي[2]، ومن بني ربيعة بن زيد مناة الشاعر علقمة الفحل[3]، وابن دريد يجعل علقمة في بني مالك بن حنظلة[4]، والحقيقة أنه من نسل ربيعة بن زيدمناة فهو علقمة بن عبده بن النعمان بن ناشره بن قيس بن ربيعة بن مالك[5]. وكان شاعر مضر في الجاهلية.[6]

أما مالك بن زيد مناة، فكان فيه الشرف[7]، ومنه تفرعت قبائل وبطون كثيرة في تميم، فمن القبائل قبيلة حنظلة، وفيها العدد والبيت[8]، وفي الأخبار أن حنظلة أحد قضاة عكاظ[9]، وكان موضع الفخر والجود، ولذا قال ابن سلام: «إذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة»[10].

وأبناء حنظلة ثمانية وهم: قيس وكلفة والظليم «مرة» وغالب وعمرو ومالك وربيعة ويربوع[11] أما قيس وكلفة والظليم وغالب وعمرو فيسمون «البراجم»[12]، وكان عددهم قليلاً، فأشار عليهم حارثة بن عمرو أن يتّحدوا وقال لهم: «تعالوا نجتمع ونكن كبراجم اليد»، وهكذا فعلوا وتبرجموا على بني عمومتهم من تميم، وقويت شوكتهم وبرز منهم شاعران عظيمان هما: عبد القيس بن خفاف، وضابىء بن الحارث[13]، وربيعة بن حنظلة رهط في بني مالك وهم قليل، ويدعون ربيعة الوسطى[14]، وفي تميم ربيعة الكبرى، ويسمون

---

(1) السويدي: سبائك الذهب ٢٩.

(2) ابن دريد: الاشتقاق ٢١٧ وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٤، والهاشمي: عدي بن زيد العبادي ٢٢.

(3) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٤.

(4) ابن دريد: الاشتقاق ٢١٧.

(5) علقمة: ديوانه ص ٤.

(6) المصدر السابق نفسه ٢١٤.

(7) المصدر السابق نفسه ٢٢٢.

(8) ابن عبدربه: العقد الفريد ٦٥٣/٥.

(9) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١٩٢/٢.

(10) ابن دريد: الاشتقاق ٢١٨ وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ والسويدي: سبائك الذهب ٣٠.

(11) المصادر السابقة نفسها.

(12) انظر شعر بني تميم ٣٤٦

(13) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢١٩/٢.

(14) ابن دريد: النقائض بين جرير والفرزدق ١٧٢/١.

ربيعة الجوع[1]، وهم بنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة. وربيعة الصغرى وهم بنو ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، وكل واحد من الربائع الثلاثة، «الكبرى والوسطى والصغرى» عم الآخر[2].

ويربوع بن حنظلة[3] نسلَ بطوناً كثيرة برز فيها مجموعة من الشعراء[4] والفرسان، وذكر القالي أن الفرسان في بني يربوع[5]، وأكد صاحب العمدة[6] ما ذكره القالي.

وكان ليربوع أبناء كثر هم: ثعلبة وعمرو وصبير (هبير) والحارث، وكليب وغدانة، والعنبر، وهمام، ورياح[7]. ويضيف صاحب السبائك اليهم عريناً وزيداً[8] وليس الأمر كذلك فعرين حفيد يربوع[9] أما زيد فلم تشر اليه كتب الأنساب.

ويقسّم ابن حزم[10] أولاد يربوع إلى قسمين: يحشد في الأول ثعلبة والحارث وعمراً وهبيراً ويسميه «الاحمال»، ويضم إلى الثاني كليباً وغدانة والعنبر ويسميه «العقداء»، أما همّام ورياح فبقيا خارج المجموعتين.[11]

وابرز أبناء يربوع في المجموعة الأولى ثعلبة الذي كان أحد قضاة عكاظ في الجاهلية[12] ومن أولاده جعفر، ومن بني جعفر، اشتهر عتيبة بن الحارث ابن شهاب بن عبد قيس بن كباس بن جعفر، وكان فارس بني تميم في

(١) ابن دريد: الاشتقاق ٦٧، وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١١، وأبو عبيده: النقائض بين جرير والفرزدق ١٧٢/١ وابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢١٩/٢.
(٢) انظر خريطة نسب تميم وشعر بني يربوع.
(٣) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(٤) القالي: الأمالي ٢٩٨/٢.
(٥) ابن رشيق: العمدة ١٩١/٢.
(٦) ابن رشيق: العمدة ١٩١/٢.
(٧) ابن دريد: الاشتقاق ٢١٢.
(٨) السويدي: سبائك الذهب ٣٠.
(٩) ابن دريد: الاشتقاق ٢٢٦.
(١٠) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٤.
(١١) المصدر السابق: الموضع نفسه، العقداء هم الذين تعاقدوا على بني أخيهم رياح والأحمال الذين انضموا إلى بني رياح.
(١٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٦٥٣/٥.

الجاهلية[1]، يغير أول الخيل إذا غارت، ويكون آخرها إذا آبت[2] ومن أولاده حزره وربيع وحليس ودعموص، وله بنت شاعرة هي آمنة بنت عتيبة.[3]

وأخو جعفر عبيد بن ثعلبة، ومن بني عبيد الفارس عميره بن طارق الذي كان «شخصية» حربية مخيفة[4]، ومنهم مالك بن حطان فارس شاعر كذلك[5]. والأخ الثالث لجعفر هو عرين، ومن بني عرين برز الكلحبة اليربوعي الفارسي الشاعر[6]. ويبقى أخ رابع لجعفر هو عبد الذي كان من نسله الشاعران الفارسان متمم ومالك أبناء نويره.[7]

ويبقى من المجموعة الأولى ثلاثة أبناء ليربوع هم: الحارث وعمرو وهبير، فمن الحارث اشتهر أسيّد بن حناءه فارس بني تميم[8]، ومن بني عمرو برز الشاعر جناب بن مصاد[9]، وبنو هبير كانوا قلة[10]، فلا مشهور فيهم.

وأما المجموعة الثانية فأبرزها بنو كليب ومنهم حذيفة بن بدر «الخطفي»[11] كان شاعراً سيداً، ونسّابة عالماً بأيام العرب[12]، وابنه عطية شاعر[13]، أما حفيده جرير فهو الشاعر الأموي الكبير.

ويبقى من أبناء يربوع المشهورين رياح، وفي نسله مشهورون كثيرون،

---

(١) أبو عبيدة: «النقائض بين جرير والفرزدق ٢٠٥، وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٤، وابن دريد الاشتقاق ٢٢٥.
(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٥/٢١٤.
(٣) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(٤) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٤٨.
(٥) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٤، وابن دريد: الاشتقاق ٢٢٦.
(٧) المصدر السابق: الموضع نفسه،
(٨) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٥.
(٩) ابن دريد: الاشتقاق ٢٣٠.
(١٠) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٦.
(١١) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٣.
(١٢) البكري: سمط اللآلى في شرح أمالي القالي ٢٩٣.
(١٣) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٤.

ومنهم الردفان:[1] قيس وعوف ابنا عتاب بن هرمي بن رياح، وكان والدهما عتاب ردفا قبلهما لملوك الحيرة.[2] .

والقعنبان[3] : قعنب بن عتاب، وقعنب بن عصمة، فارسان مشهوران، والحنتفان[4] : ولدا أوس بن سيف بن حميري بن رياح وأحدهما علّم النجاشي دواء الكلب[5] ، ومن فرسان بني رياح ورجالهم: جزء بن سعد الرياحي، وكان عظيم القدر في الجاهلية، وقاد يربوعاً كلها، وأخذ المرباع[6]، وبشر بن عمرو الرياحي الذي أسر حسان بن المنذر اللخمي يوم طخفه[7]، وعتّاب بن ورقاء وكان من أجود الناس[8] وحبيب بن أعيفر من أجمل الناس[9]، ومن شعراء رياح سحيم بن وثيل الذي عاش أربعين عاماً في الجاهلية[10]، وجشيش بن نمران[11]، ونعيم بن عتّاب الشاعر الفارس وكان يسمى الواقعة لشدة بلائه في القتال[12] ومنهم السيدان شبث بن ربعي، والأبرد بن قره الرياحيان[13] والنطف الرياحي الذي اشترك في الاغارة على عير كسرى يوم الصفقة وغنم غنائم كثيرة.[14]

ويبقى أمامنا من أولاد حنظلة مالك الذي لم يحظ بشهرة واسعة كأخيه يربوع، وإن كان أحد أبنائه ـ وهو دارم قد احتل مكانة وشهرة كيربوع.

ولمالك بن حنظلة كثير من الأبناء ومنهم: أبو سود، والصدى، وجشيش،

---

(١) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/٦.
(٢) ابن دريد: الاشتقاق ٢١٧.
(٣) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢٣٧/١.
(٤) أبو عبيدة: المصدر السابق ٢/٦.
(٥) ابن دريد: الاشتقاق ٢٢٥.
(٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٧.
(٧) ابن دريد: الاشتقاق ٢١٧.
(٨) المصدر السابق: الموضع نفسه.
(٩) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٧.
(١٠) المصدر السابق: الموضع نفسه
(١١) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(١٢) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(١٣) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(١٤) دريد: الاشتقاق ٢٢٦.

ورزام، وعوف وربيعة، ودارم، ويربوع[1]، ويضيف ابن حزم[2] إليهم كعباً وزيداً ليكونوا عشرة إخوة، لكن السويدي[3] يقبل أن يظلوا تسعة فلا يضيف إليهم كعباً.

والأبناء الثلاثة الأول ينسبون إلى طهية بنت عبد شمس[4]، وبها يعرفون فهم بنو طهية، وبرز منهم شعراء في مقدمتهم الشاعر ذو الخرق الطهوي.[5].

وينسب يربوع وزيد إلى أمهما العدوية[6] وبين بقية أبناء مالك يبرز دارم الذي كان فيه البيت والسيادة[7]، ومنه بطون كثيرة.

وأبناء دارم هم: أبان، ونهشل، ومناف، وجرير، ومجاشع، وخيبرى وعبدالله وسدوس[8] وينفرد السويدي بإضافة فقيم إليهم[9]، وأشهر هؤلاء الأخوة ثلاثة هم: عبدالله ومجاشع ونهشل.

وفي بني نهشل كثير من الفرسان والشعراء. ومنهم ضمرة بن ضمرة وكان من قضاة عكاظ[10]، ومن الوافدين على بلاط الحيرة[11]، ومن خطباء العرب وكان شاعراً، وأبوه وجده شاعران وابنه وابنته وحفيده شعراء[12] فهذه الأسرة الشعرية تبدأ وتنتهي على النحو التالي:.. نهشل بن حري بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل. وحق لابن سلام أن يقول في هذه الأسرة «توالى فيها ستة شعراء لا يعلم توالي مثلهم في تميم.[13]

---

(١) ابن دريد: الاشتقاق ٢٣٣.
(٢) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ٢٢٨.
(٣) السويدي: سبائك الذهب ٣٠.
(٤) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٧٠.
(٥) انظر شعر بني تميم ٤١٢
(٦) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ٢٢٨.
(٧) ابن رشيق: العمدة ٢/١٩١.
(٨) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ٢٢٩.
(٩) السويدي: سبائك الذهب ٣٢.
(١٠) ابن عبدربه: العقد الفريد ٥/٦٥٣.
(١١) ابن دريد: الاشتقاق ٢٤٤.
(١٢) انظر شعر بني تميم ٢٧٥
(١٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢/٥٨٣،

ومن بني نهشل الشاعر الفارس الأسود بن يعفر النهشلي، وأخوه حطائط ابن يعفر شاعر[1]، ومنهم الشاعر الفارس خالد بن مالك بن ربعي، وكان سيداً من سادات تميم[2]، ومن فرسانهم: سلمى بن جندل[3] ومن نسائهم: الحمراء بنت ضمرة الشاعرة[4]، وأسماء بنت مخربة أم أبي جهل، وليلى بنت مسعود زوجة علي بن أبي طالب، وأسماء بنت سلمه من المهاجرات.[5].

وعبدالله بن درام فيه البيت والسيادة[6] ومن أولاده: زيد ومن زيد عُدُس ومن بطون زيد: بنو مالك، وبنو مرة، وبنو حق، وبنو حارثة، وبنو ربيعة، وبنو جناب، وبعض هذه البطون قدمت منطقة هجر فسموا بالهجريين، وهم الذين شاركوا قبيلة عبد القيس في منازلها.[7]

ومن بني عدس بن زيد: عمرو بن عدس، وابنه عمرو بن عمرو فارس دارم في الجاهلية[8]، ومنهم قراد بن حنيفة شاعر فارس[9] وسويد بن ربيعة الذي كان سبباً في تحريق عمرو بن هند لمئة من بني تميم[10] وعثجل بن المأموم الذي اشترك في يوم الوقيط.[11].

ومن أبناء عدس[12]: زرارة، وكان سيداً رئيساً لبني تميم، ومن أولاده: لقيط، وحاجب، وعلقمة، ومعبد، ولبيد، وخزيمة، وعبد مناه، ويضيف ابن حزم[13] إليهم ثلاثة أبناء هم: عمرو ومالك والحارث ليصبحوا عشرة أولاد لزرارة.

---

(١) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ٢٣٠.
(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه، وانظر شعر بني تميم ٢٧٥
(٣) ابن دريد: الاشتقاق ٢٤٤.
(٤) انظر شعر بني تميم ٢٧٥
(٥) القالي: الأمالي ٢٩٨/٢.
(٦) ابن عبدربه: العقد الفريد ٣٤٨/٣.
(٧) ابن دريد: الاشتقاق ٢٣٤.
(٨) المصدر السابق، الموضع نفسه.
(٩) انظر شعر بن دارم.
(١٠) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ٢٣٢.
(١١) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٣/٢.
(١٢) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢٧٧/٢، العرب تقول عُدَس أما تميم فتقول عُدُس.
(١٣) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ٢٣٢.

أما لقيط فسيد بني تميم، وشاعر دارم[١]، قاد تميماً في يوم جَبَله[٢]، وكان أنبه بني زرارة وأذهبهم بنفسه[٣]. له من الأبناء نهشل ومن البنات دختنوس الشاعرة التي شهدت معه يوم جبله ورثته بعد مصرعه في ذلك اليوم[٤].

وحاجب بن زرارة سيد مطاع في تميم[٥]، وهو صاحب القوس المشهورة[٦] وابنه عطارد خطيب وفد تميم إلى رسول الله عليه السلام، ومن أولاد عطارد: عمير ولبيد.[٧]

ومعبد بن زرارة قاد تميماً يوم رحرحان، وأسرته بنو عامر بن صعصعة، وبقي أسيراً حتى مات[٨]، ومن أولاده القعقاع الذي مدحه المسيب بقصيدته المشهورة[٩]:

فلأهـديـن مـع الريـاح قصيـدةً منـــى مغلغلـــةً إلى القَعْقَـــاعِ

وكان القعقاع سيداً في تميم، عظيم القدر في الجاهلية، وأخذ المرباع، ونافَرَ خالد بن مالك النهشلي وتفوق عليه.[١٠]

وهؤلاء الثلاثة: لقيط وحاجب ومعبد هم أشهر أبناء زرارة.

وآخر أولاد دارم المشهورين مجاشع، وكان صاحب لسان وبيان، ومن الذين وفدوا على بلاط الحيرة[١١]، وأشهر أبناء مجاشع سفيان، وكان أحد قضاة عكاظ في الجاهلية[١٢]، وأبلى بلاءً حسناً في يوم الكُلاب[١٣] وفقد ابنه «مرة»

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٧١٠/٢، وانظر شعره في بني دارم.
(٢) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٦٦٥.
(٣) ياقوت: معجم البلدان ٣٩٦/٣، وعند ابن الأثير في الكامل ٣٩٦/١، أن حاجباً هو الذي كان يمتاز بهذه الصفة.
(٤) شعر شعر بني تميم ٣٣٣
(٥) ابن عبدربه: العقد الفريد ٣٥٩/٣.
(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٩٦/١.
(٧) ابن دريد: الاشتقاق ٢٣٧.
(٨) المصدر السابق: الموضع نفسه، وانظر أيام العرب في الجاهلية ٣٤٤.
(٩) المفضل الضبي: المفضليات ٦٠.
(١٠) السجستاني: المعمرون والوصايا ١٩، وانظر شعر بني تميم ٣٠٠
(١١) ابن دريد: الاشتقاق ٢٣٨.
(١٢) ابن عبدربه: العقد الفريد ٣٤٩/٣.
(١٣) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٧٧/٢، ١٠٧٤ وابن دريد: الاشتقاق ٢٣٨.

وبكاه بدمع غزير[1]، وأشهر أبناء سفيان: «محمد» ومن بني محمد، وبني مجاشع اشتهر كثير من السادة والشعراء ومنهم.. الأقرع بن حابس شاعر خطيب، وسيد شريف في الجاهلية والاسلام[2] كان آخر من اجتمع له القضاء بعكاظ من تميم[3] ووفد على الرسول ﷺ مع قومه.

ومنهم صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ومحيي الوئيد[4]، وغالب بن صعصعة[5] والد الفرزدق الشاعر الأموي الكبير، وعياض بن حمار بن عقال صديق رسول الله عليه السلام في الجاهلية[6]، وشبّة بن عقال خطيب الناس[7]، والحتات بن يزيد الذي آخى رسول الله عليه السلام[8]، ومنهم هريم بن أبي طحمة، والحارث بن بيبه، وسيدان وسوادة أبناء مرة بن سفيان وكلهم سادة فرسان.[9]

وبانتهاء مجاشع نكون قد انتهينا من نسب حنظلة القبيلة التي أنجبت الشاعرين الكبيرين جريراً والفرزدق بعد أن أشرقت الجزيرة بنور ربها، وقد احتلت المباهاة بين الشاعرين لابراز تفوق عشيرة أحدهما على الآخر مكانَ الصدارة زمن بني أمية، وأذاع كل منها مفاخر قومه، للتدليل على هذا التفوق، فنسب الفرزدق ينتهي إلى دارم بينما يرتفع نسب جرير إلى يربوع، والذي وَقَر في الأذهان أن نسب الفرزدق يعلو نسب جرير، ودأب الباحثون على تعميق هذا المفهوم فقالوا: «أن يربوعاً أقل جاهاً من مجاشع وأخف ميزاناً[10]، وأن رهط جرير رعاة غنم، فلم يعرف عنهم بطوله، وليس بينهم رؤساء»[11]، ويضيفون: «ولم يكن لعشيرة جرير من الشرف وعلو المنزلة مثل

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٧٥

(٢) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ٢٣٠، وانظر شعر بني مجاشع في دارم.

(٣) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/٤٣، ٢/١٤٢.

(٤) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ٢٣١.

(٥) ابن دريد: الاشتقاق ٢٤١.

(٦) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ٢٣١.

(٧) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٨) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٩) ابن دريد: الاشتقاق ٢٤١.

(١٠) د. كفراوي: جرير ونقائضه ٢٦.

(١١) د. النص: العصبية القبلية ٥٦٧.

ما لعشيرة الفرزدق»[1] والذي يبدو لنا، بعد استعراضنا، لنسب البطون في دارم ويربوع، وإثر جمعنا لشعر اليربوعيين والدارميين[2]، أن فيما ذكر كثيراً من التجني على الحقيقة وتبديل الواقع، ففي بني يربوع من الفرسان والشعراء، والسادة والرجال، ما يرتفع بنسب جرير إلى مكان الصدارة ويتّهم ما وقر في الأذهان.

فالشعر الذي بين أيدينا يفوّق يربوعاً على مجاشع، وعدد الشعراء في بني يربوع يزيد على عددهم عند مجاشع، فشعراء بني يربوع يتجاوزون العشرين بينما لا يزيد شعراء مجاشع على بضعة شعراء، وشعر بني يربوع يزيد على شعر دارم.

والايام التي خاضها اليربوعيون وأحرزوا النصر فيها أكثر من أيام مجاشع، والفرسان في بني يربوع يتأخر عنهم فرسان مجاشع[3]، فأمجاد اليربوعيين تقوم على الحرب والفروسية، بنيما تقوم أمجاد مجاشع على الثروة والغنى.

وأشهر فرسان يربوع عتيبة بن الحارث فارس تميم كلها، وسمُّ فرسان الجاهلية بأسرها[4]، وليس في دارم من يتفوق عليه فروسية وشجاعة. ومن رجالات يربوع عتاب بن هرمي الرياحي رديف الملوك[5]، ولم تكن لبني دارم ردافة، وكثير من الفرسان والقادة ذكرهم جرير مرتفعاً بنسبه إلى مكانة لائقة بين الانساب، فهو يقول بانهم أضرب بالسيوف، وأطعن بالرماح، وأعز نفرا، وأمنع جانباً من بني مجاشع[6]

ألسنا نحن قد علمت معدٌّ … غداة الروع أجدرَ أن نغارا

وأضربَ بالسيوف اذا تلاقت … هوادي الخيل صاديةً حرارا

(١) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٢) انظر شعر بني تميم ٢٠٣، ٢٧٥

(٣) انظر الدراسة الموضوعية.

(٤) ابو عبيدة: شرح النقائض بين جرير والفرزدق ٤٧/٢.

(٥) المصدر السابق نفسه ٢٣٩/١.

(٦) جرير: ديوانه ص ٢٨٢، المأزول: المكان الضيق. عتيبة ابن الحارث، وجزء بن سعد، والمنهال بن عصمة الرياحي قواد المقانب، المعقلان هما معقل بن عبد قيس وأخوه بشر، وعتاب بن هرمي الرياحي فارس الذمار، وبنو عقال: قوم الفرزدق.

وأطعــنَ حين تختلــف العـــوالي بمأزول اذا مـــا النقـــع ثـــارا
وأحمدَ في القـــرى وأعـــزَ نصراً وأمنـــع جـــانبـــاً وأعـــزَ جـــارا
فـوارسنـــا عتيبـــة وابـــن سعـــد وقـــواد المقـــانـــب حيـــث ســـارا
ومنـــــا المعقلان وعبــــد قيس وفـــارسنـــا الذي منـــع الذمـــارا
فما تـــرجـــو النجـــوم بنـــو عقـــال ولا القمـــــر المنير اذا استنـــــارا

وماذا عن بطولات دارم؟ الفرزدق يتباهى بثروة عشيرته الأقـــربين وهو يحدّث عن رجالات دارم:[1]:

ألم تـــــر أنـــــا بني دارم زرارة منـــا أبـــو معبـــدِ
ومنـــا الذي منـــع الوائـــدات وأحيـــا الوئيـــد فلم تـــوأد
ونـاجيـــةُ الخير والأقـــرعـــان وقبرٌ بكـــــاظمـــــــة الموردِ

ونمضي إلى نسب سعد بن زيد مناة، وسعد رجل مشهور وقاض من قضاة عكاظ في الجاهلية[2]، ومن أبنائه الحارث وعواقة وعبد شمس وجشم وعمرو وكعب، ويجعلهم ابن دريد خمسة أبناء لانه لا يرى أن عواقه هو الحارث[3] واشتهر أبناء سعد جميعاً: عواقة فيه البيت[4]، وجشم فيه السيادة[7]: وكعب فيه العدد[8]، وعمرو انضم إلى كعب[9] ومن أبناء كعب: ربيعة والحارث وعوف وعمرو ومالك وعبد شمس وحرام وعبد العزى والأبناء الاربعة الأول لكعب أشهر إخوتهم. فمن ربيعة المستوغر بن عمرو الشاعر المعمر[10]، وعمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام[11].

---

(١) الفرزدق: ديوان ص ٨٧: زرارة بن عدس ومعبد أحد أولاده، صعصعة بن ناجيه محي الوئيد، الاقرع بن حابس واخوه وغالب بن صعصعة صاحب قبر كاظمة.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٦٥٣/٥.
(٣) ابن دريد: الاشتقاق ٢٤٥.
(٤) المصدر السابق: الموضوع نفسه.
(٥) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢١٥.
(٦) ابن دريد: الاشتقاق ٢٤٥.
(٧) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢١٥
(٨) ابن دريد: الاشتقاق ٢٤٥.
(٩) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢١٥.
(١٠) ابن دريد: الاشتقاق ٢٥٢،
(١١) المصدر السابق: الموضع نفسه.

ومن الحارث زهرة بن جويرية بن عبدالله قاتل جالينوس الذي أرسله كسرى لقتال العرب[1]، ومن عوف برزت بيوت شهيرة، ومنها بيت بهدلة، ومنهم الزبرقان سيد تميم وشاعر[2] وفدها إلى النبي عليه السلام. وبيت عطارد وكان فيه شجنة بن عوير الذي أجار قطين أمرىء القيس عندما انهارت مملكة كندة، فوفى له امرؤ القيس وقال:[3]

عوير ومن مثل العوير ورهطه   أبـرَّ بـايمان وأوفـى بجيران

ومن بيت عطارد كرب بن صفوان صاحب الافاضة في الجاهلية وفي آل صفوان قال الشاعر[4]:

ولا يريمون في التعريف موقفهم   حتى يقال أجيزوا آل صَفوانا
مجدٌ بناه لنا قدما أوائلنا   وأورثوه طوال الدهرِ أُخرانَا

وفي عوف بيت قريع، واشتهر من قريع ولده الأضبط الشاعر المعمر، وكان سيداً شريفاً، وفارساً جراراً، وقاضياً من قضاة عكاظ في الجاهلية[5].

وفي بيت قريع: بنو أنف الناقة «جعفر بن قريع» وفيهم عدد وشرف، وظلوا يكرهون لقبهم إلى أن مدحهم الحطيئة، فاطمأنوا إلى نسبهم ولقبهم[6]

أما عمرو بن كعب فاشهر أبنائه مقاعس[7]، ومن مقاعس: عمرو وصريم وأصرم وربيع وعمير وعبيد. فمن بني عمير برز الشاعر السليك بن عمرو أحد صعاليك العرب، كان بعيد الغارة، وعداء سريعاً[8]، وفزعا رهيباً في الجاهلية[9].

ومن عبيد بن مقاعس اشتهر أولاده: منقر ومره وعبد عمرو، فمن عبد

(١) ابن دريد: الاشتقاق ٢٥٤.
(٢) الدكتور المعيني: شعر بني تميم ص ١٨٧.
(٣) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٩.
(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٤٧/٣، وانظر شعر بني تميم ٩٧
(٥) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٤٢/٢، وانظر شعر بني تميم ٣٧
(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٤٧/٣، والقلقشندي: نهاية الارب ٨٨.
(٧) ابن دريد: الاشتقاق ٢٤٥ ومقاعس هو الحارث بن عمرو.
(٨) الاصفهاني: الاغاني ٢١٤/١٥.
(٩) د. يوسف خليف: الشعراء الصعاليك ٤١

عمرو برز الشاعر الفارس سلامة بن جندل، وكان أخوه الاحمر شاعراً[1] ومن بني مرة اشتهر الأحنف بن قيس سيد تميم كلها زمن بني أمية[2].

ومن بني منقر مشهورون كثيرون ومنهم: سنان بن خالد، وسمي الأشد[3] لشجاعته وشدته في القتال، ومن سنان بنو الأهتم، وأشهرهم عمرو بن الاهتم الشاعر[4] وفيهم خطباء وشعراء، ويذكر ابن دريد ان كتابه يطول باسمائهم اذا ذكرهم جميعاً[5]. ومن منقر قيس بن عاصم سيد أهل الوبر، وحليم تميم ورئيسها إلى الرسول عليه السلام[6] ومن منقر أيضاً فدكى بن أعبد، أحد عظماء بني سعد في الجاهلية، وابنه مسعر بن فدكي[7] وعامر بن أبير الذي أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية كما يزعم ابن دريد[8].

وبنو سعد بن زيد مناة فيهم شمائل كريمة، ولهم فضائل عظيمة، وهم قوة حربية، وعدد وفير، وعزة منيعة، ونسب رفيع، و بذه السمات سجلها شاعرهم مفتخراً بهم عندما قال:[9]

اني وجدتُ بني سعد يُفضّلهم — كلُّ شهاب على الأعداء مصبوبِ
إلى تميم حماة الثغر نسبتُهم — وكل ذي حسب في الناس منسوبِ
قومٌ اذا صرَّحت كَحْلٌ بيوتُهُم — عزُّ الذليل، ومأوى كل قُرضوبِ

ويقول سلامة بن جندل في موضع آخر[10]:

وأنا كالحصى عدداً وأنّا — بنو الحربِ التي فيها عُرام

وكثرة تميم وجموعها وضخامة عددها كانت في الجاهلية موضع فخر شعرائها، فأوس بن حجر شاعر تميم الكبير يردد «لكننا أهلُ بيت كُثُرُ»[11]

---

(١) ابن دريد: الاشتقاق ٢٥٦ ود. فخر الدين قباوة: سلامة بن جندل ٥٩

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٧.

(٣) المصدر السابق نفسه ٢١٦

(٤) د. المعيني: شعر بني تميم ١٦٥

(٥) ابن دريد: الاشتقاق ٢٥١.

(٦) ابن حزم: جمهرة انساب العرب ٢١٦،

(٧) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٧.

(٨) ابن دريد: الاشتقاق ٢٤٩.

(٩) سلامة بن جندل: ديوانه ص ١١٧.

(١٠) سلامة بن جندل: ديوانه ص ٢٥١.

(١١) أوس بن حجر: ديوانه ٢٩

وينشد متباهياً بجموع قومه المندفعة إلى القتال:[1]

ترى الأرضَ منا بالفضاء مـريضـةً   معضلـةً منـا بجمـعٍ عـرمـرمِ

وظلت هذه الكثرة في الإسلام موضع الفخر كذلك فجرير الشاعر التميمي الكبير يعلن في زهو وفخار[2]:

السنـــــا أكثرَ الثقلين رَجلا   ببطـن منـى واعظمـهُ قبـابـا

وبعد أن بسطنا القول في نسب تميم وقبائلها وبطونها وعشائرها[3] نستطيع أن نلاحظ أن هذه البطون والعشائر قد تمايزت في رجالها «وشخصياتها» فبطون كثر فيها الفرسان كبني يربوع وبني سعد، وبطون عرفت بالغلظة والخشونة كبني العنبر، وبطون فيها الحكمة والتعقل كبني أسيّد وبطون فيها الغنى والثروة كبني دارم، وبطون عرفت بالفصاحة والخطابة كبني الأهتم وبني عطارد. وكان السؤدد والشرف والشعر في أكثر البطون.

فتميم قبيلة محاربة، ذات بأس شديد، فيها غلظة من جانب ومن جانب آخر فيها الحكمة والشرف والجاه. فلا عجب ان تكون فيها العزة المنيعة، وأن تسود في حروبها ومنازلها، ولم لا تسود؟ وفيها من أسباب السيادة فرسان أشداء، ورجال عظماء، وشعراء فحول، وعدد كالحصى، ولذا نبدو الان أكثر اقتناعاً بانها من أكبر قواعد العرب[4]، ومن أعزهم قديماً.[5]

---

(١) المصدر السابق: الموضع نفسه ١٢١.

(٢) جرير: ديوانه ٧٨ وفي النقائض ٢/١٥٣.

(٣) انظر خريطة نسب تميم.

(٤) ابن خزم: جهرة انساب العرب ٢٠٧

(٥) القالي: ذيل الاماني ٢٩

منازل تميـــم

عرفنا أن تميماً قبيلة ضخمة العدد، كثيرة البطون، وفيرة العشائر، فمن الطبيعي أن تقيم في منازل ممتدة الأطراف، فسيحة الأرجاء.

وتجمع المصادر على أن تميماً ظهرت إلى بلاد نجد من تهامة، ونزلت في الدهناء وتوزعت بطون منها في الصمان، والحزن واليمامة، كما نفذت بطون أخرى إلى يبرين وقطر، ووقعت طائفة إلى عمان، وصارت أقسام منها إلى أطراف البحرين مما يلي البصرة[١].

وهذه المنطقة تقع بين خطي عرض ٢٢-٣٠ شمالاً، وخطي طول ٤٥-٥٥ شرقاً، فهي بلاد شاسعة، ومترامية الأطراف، تمتد امتداداً بعيداً ما بين قفاف الحزن، وقيعان الصمان، ومرابع الدهناء، ورمال يبرين، ومياه الستار، وغيرها من ديار القبيلة ومنازلها.

وعند الجغرافيين أن نجداً أحد أقسام جزيرة العرب الخمسة[٢]، وهو هضبة مرتفعة وواسعة تضاربت فيها الأقوال، واختلفت حولها الاراء، فالباهلي يرى أن نجداً يشمل كل ما وراء خندق كسرى إلى سواد العراق[٣]، وقال عمارة كل ما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد[٤]، وعند الأصمعي إذا خلفت عجلزا مصعدا فقد انجدت[٥]، وفي القديم نجد كلها من عمل اليمامة[٦]، وبعد ذلك تكون اليمامة أكبر مقاطعة نجدية[٧].

وأرض نجد - عند كحالة - تشكل المنطقة الوسطى من جزيرة العرب،

---

(١) البكري معجم ما استعجم ٨٨/١، وياقوت: معجم البلدان ٤٩٣/٢ والهمداني: صفة جزيرة العرب ٣٧٦.

(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب ٤٦، والقلقشندي: قلائد الجمان ١٨ وفي الروض المعطار ٥٧٢

(٣) ابن منظور: لسان العرب ٤٢٣/٤

(٤) البكري: معجم ما استعجم ١٤/١ وياقوت: معجم البلدان ٢٥٣/٧.

(٥) ابن منظور: لسان العرب ٤٢٣/٤ عجلز: حد نجد من الشرق، ذات عرق: حد نجد من الغرب.

(٦) ياقوت: معجم البلدان ٢٥٣/٨.

(٧) كحالة: جغرافية جزيرة العرب ٢٠٩.

يحدها من الشمال جبل شمر، ومن الجنوب الربع الخالي، ومن الغرب الحجاز، ومن الشرق الدهناء والإحساء[1].

وجاء في تاريخ العرب قبل الاسلام، أن نجداً تشكل الهضبة الوسطى من الجزيرة العربية، وأنها تقع بين بادية السماوه في الشمال، والدهناء في الجنوب، وأطراف العراق في الشرق، والحجاز في الغرب، وهي أوسع اقاليم الجزيرة، تتخللها الاودية وفيها جبال أشهرها أجأ وسلمى[2]. وعند جواد علي: أن نجداً في قلب الجزيرة العربية، تكتنفها الصحاري من الشمال والشرق، وتتخللها أودية وتلال، وكانت قديماً ذات اشجار وغابات ولا سيما في أرض الشَّربة[3].

وبلاد نجد ذات مناخ لطيف[4]، ففي الشتاء والربيع تتساقط أمطار خفيفة على شكل رذاذ[5]، فيكثر الكلأ، ويكون الخصب، وترعى الماشية، وتسرح قطعان الغزلان، وخيطان النعام، ولذا أسهب الشعراء في وصف ظبائها، وحيوانها، وذكر مرابعها وديارها.

والذي نطمئن اليه ـ من كل الأقوال التي وردت لمعرفة حدودها ـ أنها تقع في وسط جزيرة العرب. ويحدها من الشمال منطقة النفود، ومن الجنوب أرض البياض والربع الخالي، ومن الشرق البحرين والإحساء والخليج العربي، ومن الغرب الحجاز[6]

وهذه المنطقة تشمل الحزن واليمامة من منازل تميم، أما الدهناء والصمان فهما بمثابة حدود نجد مع البحرين وشواطىء الخليج العربي.

وكما اختلفت الاراء وتعددت في «نجد» فانها كذلك في الدهناء فياقوت

(١) المصدر السابق نفسه ٥٩.
(٢) د. سيد سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام ١٠١.
(٣) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١/١٤٧.
(٤) كحالة: جغرافية جزيرة العرب ٢١٢.
(٥) د. علي الشلش: اطلس الامطار ص ٥.
(٦) المصدر السابق نفسه.

يقول[1]: «الدهناء من ديار تميم تمد وتقصر، وهي سبعة أحبل من الرمال، طولها من حزن إلى رمل يبرين، من أكثر بلاد الله كلأ مع قلة مياه، واذا أخصبت ربعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة أشجارها، وهي نزهة، ومن سكنها لا يعرف الحمّى لطيب هوائها».

أما البكري[2] فالدهناء عنده «رمال في الطريق من اليمامة إلى مكة، ومن اليمامة إلى البصرة، لا يعرف طولها، وأما عرضها فثلاث ليال، وعلى أربعة أميال من هجر، وهي واسعة.

والدهناء عند الهيثم بن عدي قسم من واد طويل[3] «الوادي الذي في بني تميم ببادية البصرة وفي أرض بني سعد يسمونه الدهناء وهو يمر في بلاد بني أسد فيسمونه المنعج، وفي بلاد غطفان يسمونه الرمة، وهو حائل في بلاطىء وقراقر في بلاد كلب وسوى في بلاد تغلب.

ووصف فلبى[4] الدهناء بانها سلاسل رملية، وأكام، وكثبان متقطعة مرتفعة، تخترق الطريق الموصلة بين الإحساء والرياض.

ويرى لغدة[5] أن الدهناء رملية طويلة تنبت الارطى، وأنواع الشجر، واحد طرفيها يبرين، وطرفها الآخر الشام، وعرضها مسيرة ثلاثة أيام وهي جبال شقائق».

ووصفها كحالة[6] بأنها شريط رملي حول نجد من الجهة الشرقية، يصل ما بين النفوذ شمالاً، والربع الخالي جنوباً، وهي ألسنة رملية بينها فجوات صلبة، معوقة للسير فيها، وتخترقها طرق شتى.

وفي محاولة للخروج من هذه الاراء برأي مقبول لدينا، نجد أن فيما يقوله

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٤/١١٥.
(٢) البكري: معجم ما استعجم ٢/٥٥٩.
(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢/٤٩٣.
(٤) كحالة: جغرافية جزيرة العرب ٨٠.
(٥) لغدة: بلاد العرب ٢٧٧.
(٦) كحالة: جغرافية جزيرة العرب ٢٧٧.

ياقوت الحموي كثيرا من الصحة فهو يحدد الدهناء بأنها تبدأ من منطقة يبرين في الجنوب، وتمتد إلى أرض الحزن في الشمال، لتكون طريقاً بين المنطقتين، ومعبراً طبيعياً من أحداهما إلى الآخر. واذا ما عرفنا ان يبرين من منازل بني سعد في الجنوب، والحزن من منازل بني يربوع في الطرف الآخر من الشمال، وأن الدهناء لجماعتهم من تميم، أدركنا سلامة هذا التحديد، فهو لا يمده شمالاً إلى بلاد الشام وبلاد كلب، ولا يفرعه غرباً إلى مكة كما لا يجعله يصل إلى الربع الخالي.

وياقوت يشير إلى اتساع الدهناء، ويذكر كثرة نباتها، واعتدال مناخها، وطيب هوائها، وهي « عوامل جغرافية » تشجع على الاستقرار والثبات. أليس هذا ما أغرى تميماً على أن تنزل الدهناء؟ ماء غزير، وكلأ وفير، ونسيم عليل، وظل ظليل، واذا أخصبت الدهناء ربعت العرب جميعاً وهذا دليل اتساعها.

والدهناء رمال مرتفعة، وآكام متقطعة، يصعب اجتيازها، فهي منازل خصبة وهو ما يطمئن اليه البدوي، وتميم قبيلة محاربة: فلا بد من حصن حصين وهذا في الدهناء. وابن الاثير يؤكد حصانتها عندما يقول « ديار تميم حصينة »[1] وقد أكد الطبري أيضاً هذه الحصانة لديار بني تميم عندما قال أن بلادهم مفاوز، وماءهم من الآبار، فهي تمتنع على المهاجين من أعدائهم[2].

واذا تجاوزنا الدهناء إلى البحرين أو البصرة نمر بالصمّان، وهو امتداد للدهناء في الشمال الشرقي من الجزيرة، ويقول عنه الهمداني[3] « الصمان أرض صلبة تتاخم الدهناء شرقاً ومنها رياض واسعة، وهي من خير المراعي في الشتاء اذا أخصبت، ويبلغ طول الصمان، مسيرة ثلاثة أيام، ويبعد عن البصرة مسيرة تسعة أيام، ومن مناطقه الصلب، وهو حزم صخري فيه رياض كثيرة العشب، تجود بأنواع النباتات ».

(١) ابن الاثير: العامل في التاريخ ٣٩٦/١.
(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩٨٤/١.
(٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب: ٣٧٦.

ويقول ياقوت[1] «الصمان يقع بين البحرين والدهناء وهو أرض واسعة ذات حزوم صلبة مرتفعة، وأودية وسهول وقيعان ورياض تجود بأنواع النباتات، وخبارى واسعة، وكانت الصمان قديماً لبني حنظلة واذا أخصبت ربعت العرب جميعاً».

وأما البكرى[2] فقال عن الصمان «سمى كذلك لصلابته وليس له ارتفاع وبين الصمان والدهناء ثلاثة أيام، وبين الصمان وكاظمة ستة أيام، وفيه واد ينبت السدر والصمان والدهناء في بلاد بني تميم».

ويقول صاحب بلاد العرب[3] «الصمان خشن ذو حجارة وقيعان، وهجول ونجاف ودحول، وهو من أمرأ البلاد، وفيه أخلاط من تميم».

ومن كل هذه الأقوال نرى أن الصمان من منازل تميم وأنه معبر هام من الدهناء إلى البحرين شرقاً، والبصرة شمالاً ويمتاز بالصلابة والاتساع وجودة المرعى.

والحزن قف غليظ[4]، يشرف على ما حوله[5]، وهو منطقة واسعة تبلغ مسيرة ثلاثة ليال[6]، ويمتد إلى الشمال الغربي من الدهناء، وإلى الغرب من الصمان وبذلك يقع في الشمال الشرقي من نجد، ويشكل بهذا الموقع منفذاً للدهناء والصمان من جهة الغرب[7]، وفي الحزن أودية الغبيط، واياد، وذو طلوح وأعشاش، وأود، وذو البيضة[8].

وقيل انه من أمرأ البلاد لبعده عن مساقط المياه، فلا ترعاه الشاء والحمر، وفيه قيعان مخصبة، ورياض معشبة[9].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان: ٤١٧/٣.
(٢) البكري: معجم ما استعجم: ٨٤١/٣.
(٣) لغدة: بلاد العرب: ٢٧٥.
(٤) القف: جبل قليل الارتفاع وفيه حجارة متقلعة عظام.
(٥) لغدة: بلاد العرب ١٥٢.
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) المصدر السابق نفسه.
(٨) البكري: معجم ما استعجم ٢٩٥/١.
(٩) لغدة: بلاد العرب ٢٨٣.

وسئلت بنت الخس الايادية أي البلاد أحسن مرعى؟ فقالت: «خياشيم الحزن، وجواء الصمان»[1] وقالت العرب «من تربع الحزن وتشتى الصمان أو الدهناء، وتيقظ الشرف فقد أصاب المرعى»[2].

ويبدو أن الدهناء والصمان تمرعان في الشتاء، فيبدأ فيهما المرعى ثم تنتقل الماشية ربيعاً إلى الحزن، وصيفاً إلى الشرف في شمال الحزن والصمان، فكيف يتم هذا؟ هل تنزل الأمطار شتاء في الدهناء والصمان. وربيعاً في الحزن، وصيفاً في الشرق؟ هذا ما يحدث أحياناً، فأمطار هذه المنطقة قد تسقط في أي فصل من فصول السنة مع تركيزها في نصف السنة الشتوي ابتداء من اكتوبر حتى أوائل ابريل في المنطقة الشرقية والشمالية، ويقال أن أمطار هذه المنطقة قد تكون رذاذاً أو أمطاراً خفيفة، وقد تأتي عاصفة وبلا انتظام، فتهطل مثل أفواه القرب لفترة ثم ينعدم سقوطها شهوراً[3] ونجد في شعر أوس ابن حجر ما يدّعم مثل هذا القول:[4]

هبت جَنوبٌ باعلاه ومال به   أعجازُ مزنٍ يسحّ الماءَ دلاّحِ

وعند علقمة[5]:

حتى تذكر بيضاتٍ وهيّجة   يومُ رذاذ عليه الريحُ مغيومُ

وإلى الجنوب من الحزن تقع اليمامة[6] وهي مشهورة بخصبها وعذب مياهها، وكثرة قراها، وأهلها أصحاب زرع وضرع، وفيها نخل وابل[7] وقد وصفها ياقوت بأنها من أحسن البلاد أرضاً وأكثرها شجراً ونخلاً[8].

والدهناء والصمان من حدود نجد مع البحرين والخليج العربي وأما الحزن

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢٦٩/٣ والبكري: معجم ما استعجم ٤٤١/٢ والخياشيم: الاطراف. والجواء: المطمئن من الارض.

(٢) ياقوت معجم البلدان ٢٦٩/٣، والبكري: معجم ما استعجم ٤٤١/٢

(٣) دكتور علي شلش: اطلس العالم ص ٥.

(٤) اوس بن حجر: ديوانه ١٦.

(٥) علقمة الفحل: ديوانه ٥٩.

(٦) لغدة: بلاد العرب ١٥٢.

(٧) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٥٨/٩.

(٨) ياقوت: معجم البلدان: ١١٥/٨

ففي شمال نجد، واليمامة في جنوبه.

ونتساءل: كيف جاءت تميم إلى هذه المنازل؟

يذكر البكري[١] «أن تميم بن مر ظهرت إلى بلاد نجد وصحاريها من تهامة فحلوا منازل بكر وتغلب. ومضوا حتى خالطوا أطراف هجر ونزلوا ما بين اليمامة وهجر.

ونفذت بنو سعد بن زيد مناه بن تميم إلى يبرين وتلك الرمال، حتى خالطوا بني عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر، ووقعت طائفة منهم إلى عمان، وصارت قبائل إلى أطراف البحرين وما يلي البصرة، ونزلوا منازل كانت لاياد فتركتها إلى العراق».

والذي يقوله ياقوت[٢] ويوافقه ابن منظور[٣] «كانت الصمان في قديم الدهر لحنظلة، والحزن لبني يربوع، ويبرين لبني سعد، والدهناء لجماعة تميم».

ويذكر الهمداني ولغده أن الدهناء لتميم، والصمان لاخلاط تميم، ويبرين والقاعة في الاحساء لبني تميم وبني سعد[٤].

فياقوت يوزع المنازل بين القبائل والبطون على النحو التالي:

الدهناء: لتميم كلها.

الحزن: لبني يربوع.

الصمان: لبني حنظلة.

ويبرين: لبني سعد.

ويتم هذا التوزيع عند البكري على نحو آخر وفي قسمين:

الأول: كل تميم في المنطقة الممتدة ما بين اليمامة إلى هجر.

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ١/٨٨.

(٢) ياقوت: معجم البلدان: ٣/٢٧٠، ٥/٢٨٣.

(٣) ابن منظور: لسان العرب: ١٦/٢٦٧، ١٧/٢٠.

(٤) لغدة: بلاد العرب ٣٢٠، ٣٧٦.

الهمداني: صفة جزيرة العرب ٢٧٥، ٣٠٠.

والثاني: بنو سعد في يبرين والمنطقة الواقعة منها جنوباً إلى عمان، وشمالاً إلى البصرة.

ومعنى هذا أن البكرى جعل الدهناء والصمان والحزن من منطقة ما بين اليمامة وهجر، وأضاف منازل أكثر من التي ذكرها ياقوت لبني سعد بن زيد مناه، وهي المنازل الواقعة في المنطقة الممتدة ما بين عمان جنوباً، والبصرة شمالاً على امتداد شواطيء الخليج العربي.

وبذلك توزعت قبائل وبطون تميم على المنازل التالية:

الدهناء لعامة تميم، والحزن لبني يربوع، والصمان لبني حنظلة، وبطون أخرى في تميم، واليمامة لبطون من تميم، ويبرين والمنطقة الممتدة من عمان إلى البصرة لبني سعد بن زيد مناة.

والذي نتصوره أن تميماً بعد أن استقرت في الدهناء، انتشرت إلى الصمان والحزن، ثم امتدت إلى يبرين، ومناطق البحرين، والبصرة وعمان، وظلت الدهناء المقر الرئيسي لكل تميم أو ما نسميه بلغة اليوم «عاصمة تميم» وبهذا تكون منطقة تميم قد امتدت من البصرة شمالاً إلى اليمامة في الجنوب الغربي، وإلى عمان في الجنوب الشرقي وهو ما يتفق وتحديد القلقشندي عندما قال: كانت منازل تميم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة[١]، ويوافق أيضاً ما ذهب اليه السويدي في سبائك الذهب[٢]. وهو أيضاً ما يبدو واضحاً جلياً في شعر تميم من أنهم امتلكوا أرضاً واسعة، تمتد من سواد الخط إلى اللوب على امتداد الخليج العربي:

حتى تركنا، وما تثنى ظعائنُنا   يأخذنَ بين سوادِ الخطِّ فاللوبِ[٣]

وأنهم أجلوا ربيعة عن الديار واحتلوا اماكنها:

سُقْنا ربيعةَ نحوَ الشام كارهةً   سوق البكار على رغمٍ وتأنيبِ[٤]

---

(١) القلقشندي: نهاية الارب ١٨٨.
(٢) السويدي: سبائك الذهب ٢٦.
(٣) سلامة بن جندل: ديوانه ١٣٢.
(٤) المصدر السابق نفسه ٢٢٨.

اذا ارادوا نـزولاً حـثَّ سيرَهُـم دونَ النـزول جلادٌ غيرُ تـذبيـب

وقال أوس بن حجر مفتخراً باتساع منازل تميم[1]:

نحل الديـار وراء الديـار ثم نُجعجـعُ فيهـا الجزر

ويبدو أن مجيء تميم إلى هذه المنازل كان في القرن الثالث الميلادي أو قبل ذلك، اذ تشير المصادر إلى محاربة سابور الفارسي لتميم أثناء حملته على القبائل العربية في شرق الجزيرة[2] وسجل جهينة مقاومة التميميين لسابور وصد عدوانه على منازلهم:

رددنـا جمع سـابـور وانتم بمهـواة متـالفهـا كثير[3]
تظـل جيـادنـا متمطـرات بـرازيقـاً تصبـح أو تغير

وكان يجاور تميماً من القبائل عبد القيس من الشرق، وقد اختلطوا بها في ديارها، وبكر بن وائل في الشمال الشرقي وفي اليمامة وكانت تميم قد أجلت بكراً عن الدهناء، ولعل هذا أحد أسباب العداء بين القبيلتين، وقبيلة أسد في الشمال، وقبائل عبس وطي وغطفان في الشمال الغربي، وقيس عيلان في الغرب. وعاش مع تميم في منازلها وديارها بنو ضبة والرباب[4].

ولا بد من ذكر منازل بطون القبيلة، ولنبدأ بمنازل بني سعد بن زيد مناة.

استوطن بنو سعد أرض البحرين، وامتدت منازلهم من يبرين جنوباً إلى السيدان والقاعة شمالاً[5]، وفي يبرين نزل بنو عوف بن سعد، وبنو عوف بن كعب، وأخلاط أخرى من سعد[6]. ونزل بنو سعد الإحساء وسميت بإحساء

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ٣١.
(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/٣٩٤، وتاريخ الرسل والملوك ٢/٥٦.
(٣) ابن منظور: لسان العرب ١١/٣٠٠.
(٤) لغدة: بلاد العرب ٢٩٦.
(٥) لغدة: بلاد العرب ٣٥١
(٦) المصدر السابق نفسه ٣٤٣، وفي معجم البلدان ١/٧١.

بني سعد[1]، كما نزلوا الأجواف[2]، وكنهل[3]، ووداد الستار[4] وكانت لهم فيه قرى كثيرة، وحلّ قسم من السعديين في أرض القاعة ودعيت بقاعة بني سعد[5]، وكانت الطريفة والعتيد لبني مالك بن سعد[6]، والعتكان وأطد لبني بهدلة بن عوف[7]، وقو لرهط الزبرقان .

ومن منازل بني سعد وديارهم: البياض، وثيتل، والنباج، والسيدان، والفروق، والروحان، ودارا، وحمض، ورهبى، والسليت، وذات الازاء، والحمانية، والربعية، وعيبة، والغريف، وقرقرى، ووبار، والجرباء، والجناب، والسعائم، والصليب، والاحواض، والأشيان، وحوش، والبلائق، ولبني سعد قرى في اليمامة ولهم القصيبة، والوفراء، وكاظمة، واهوى، ومبايض، واصيمر، وجدود، وثاج، والسخامة، والعرمة، وغيلانه وغيرها. ومن مياه بني سعد: الغرير، والعسجدية، وسلح، والطريفة ومتالع، ودحرض، وثرمداء، والجرباء[8]

وأشهر منازل بني يربوع الحَزْن، ومن اماكنهم التي نزلوها في الحزن وفي غيره: زنقب، الأقحوانة، وطلح، والصمد، وطخفة، وذو البيض، واود،

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ١٤٨/٢، وفي لسان العرب ١٧٧/٤.

(٢) لغدة: بلاد العرب ٣٤٤، وفي معجم البلدان ١٥٧/٢.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ١١٣٦.

(٤) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٦ وفي معجم ما استعجم ١٠٤٤.

(٥) لغدة، بلاد العرب ٣٤٧، وفي معجم البلدان ٢٩٨/٤.

(٦) المصدر السابق: الموضع نفسه.

(٧) ياقوت: معجم البلدان ٨٢/٤، وانظر شعر الزبرقان.

(٨) لغدة: بلاد العرب ١٦٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٢٦٧، ٣٥١
البكري: معجم ما استعجم ١٢٩١، ١٠٢٤، ٦٨٢، ٦٧٩، ٢٤٦، ٩٩٥، ٥٥٤
ياقوت: معجم البلدان: ٢١١/٣، ٧٦/٣، ٣٣٩/٢، ٢٤٢/٣، ٢٤٥/٦، ١١٨/٢، ٩٨/٢، ٢٢٠/٣، ٢٢٢/٣، ١١٢/٣، ٢٠٣/١، ٣١٩/٢، ٤٧٦/١، ١٢١/٤، ٢٣٩/٣، ٤٠٧/٢، ٧٦/٢، ١١٨/٢، ٢٧٦/٢.
ابو عبيده: نقائض جرير والفرزدق ١٠١٧، ٢٠٥/١
الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٧٧، ١٧٦، ١٣٩
الاحسائي: تحفة المستفيد ٢٧
واستفاد بحث المنازل من المعاجم الجغرافية للمملكة العربية السعودية تأليف حمد الجاسر و عبدالله بن خميس.

واثيفية، والخف، والقواره والهدية، ومليحه، وأعشاش، واياد، والأفاقة، وروضة الثمد، والحديقة، والفردوس، والمحرقة، والمروت، والأجفر، والمجازه، والاربعاء، وأراب، والقواره، وقحقح، والبطاح، ويسر، وصحراء الغبيط، وهضبة الرياحين، وحداب، وأنصاب، وجسو الملا، وحائر، ومدركة، وموشوم، وفاتور، ومخطط، ورهبى، وقنه، وزرود، والجلاميد، وظلفع، ورماح، وأثال، وضارج، والجواء، وملهم، والبعوضة، واللوى، ومن مياه بني يربوع: ذو طلوح، وأعشاش، وكنهل، والشيح، وجدود، وتلعة، وأراب، والجوفاء، ومن اوديتهم: الغبيط واياد، وذو كريب[1].

وأشهر منازل بني دارم الصمان وفيها بنو عبدالله بن دارم، وبنو نهشل ومعهم ضبة، وكعب بن العنبر، ومن منازل بني دارم الاخرى: القرعاء، وخمة، والرمادة، وقنور، واللهابة، وطويلع، ولصاف، والبيضة، والوريعة، وعاقل، واللهيماء، والوقيط، وحذاء، ووراك، وثيرة، والشيطان، والسيدان، وكاظمة، والرقمتان، والنحيحة، والشاجنة، وزرود، والايرمي، ومسلمة، والسرير، وتلعة[2].

وأشهر منازل بني العنبر في منطقة حفر الباطن، وسدير، واليمامة ومن منازلهم: الروضة، وزلفة، وجلاجل، ومعزل، والبرقاء، والجثجاثة، والعنبرية، وذات غسل، ولصاف، والفقيء، وذات الشقوق، ومقامي، ومن مياههم:

---

(١) لغدة: بلاد العرب ٢٨٠/ ٢٨٢، ٥٨، ٢٨١، ٢٦٨
وفي ياقوت: معجم البلدان ١٥٥/٣، ٩٣/١، ٨٧/٣، ٢٤٧/٤، ١١/٥، ٤٤٥/١، ١٨٦/٤، ١٧٦/١، ٢٢٦/٢، ٢٦٥/١، ٣٤٦/٢، ١٩٠/٢، ٧٧/٥، ٢٢٣/٥، ٣٨/٤، ١١٤/٣، ٤٢/٣، ١٣٤/١، ٤٣٦/٤
البكري: معجم ما استعجم: ٨٩٢، ٨٤١، ٨٨٨، ٢٩٥، ١٢٦٠، ١٣٥، ١٣٣، ١٠٢٩، ١٣٩٥، ١٧١
الهمداني: صفحة جزيرة العرب ١٤.

(٢) لغدة: بلاد العرب ٢٩٦، ٣٥١، ٣٥٤
ياقوت: معجم البلدان ٣٩٠/٢، ٤٢/٤، ٣٧٥/٥، ٧٢/٣، ٣٨٤/٣، ٥٨/٣
البكري: معجم ما استعجم ٣٣٤، ٩٥٦، ٩١٣، ١١٦٥، ٨٣٨٢، ٧٧١
ابو عبيدة: نقائص جرير والفرزدق ١٦٨/١، ١٠٢٠، ٩٨٢/١ والمعاجم الجغرافية للمملكة العربية السعودية تأليف حمد الجاسر.

خمان، والحفير، وسدير، وفلج، وتبراك، واسيلة، وموشوم، ومن أوديتهم: بطن الحريم، والأعزلة، وطنب، وتبالـه، ومن منازلهم أيضاً: ذات عشـر، والرقيعي، والجفار، والسمينة، والحمارة، والثوير، والضحاكة، ويسر، والوقبي، والشط، وسمنان، وماوية، ولبيان وغيرها[1].

ومن منـازل بني امـرىء القيس بـن زيـدمنـاة: اليمامـة، والوشم ومرأة، وثرمداء، وأثيفية، وقصبـة، وذات غسـل، والشقـراء، وأشيقر، والستـار، وقرف، وقميع، والغبراء، وجائف، وابط، والاجدلان، والقرما، وبهرة، ووادي الجمل، والهزيم، وبهدي، والرمادة[2]

ومن منازل بني مازن بن مالك: الوقبي، ولغاط، ولهاب، وذوعشر، وسفاد، والشبيك، وعجلز، ورحب، وتياس، والعدان، والمريرة، وتنهاة[3].

ونزل بنو أسيّد بن عمرو بن تميم في منازل منها: الشقوق، والزرق، والشاجنة، وبرك، وتولب، ومخالف، وبطن السخال، ومعقله، ومطار، وواحف، ورهبي، والسليل، وعاذب.

ومن منازلهم في منطقة القصيم: الجعلة، والعوسجة، ومبين، ولوى القصيم، والحفير، وشرج، والرامة، وجو سويقة، وغول، وشطب، والعيون وغيرها،

---

(١) لغدة: بلاد العرب ٢٥٢، ٢٦٤
البكري: معجم ما استعجم ٩٧٤، ١١٦٣، ٨٠٦، ٤٥٩، ١٠٢٧، ٨٩٥
الهمداني: صفة جزيرة العرب ٣١٦
ياقوت: معجم البلدان: ٢٦٩/٤، ١٦٥/٥، ٨٨٨/٣، ٢٧٣/٤، ٧١/١، ١٩٣/١، ٢٢٢/٥، ٣٥٧/٢
والمعاجم الجغرافية للمملكة العربية السعودية تأليف حمد الجاسر.

(٢) لغدة: بلاد العرب ٢٦٨
ابو عبيده: النقائض بين جرير والفرزدق ١٠١/٢
ياقوت: معجم البلدان ٩٦/٥، ٧٦/٢، ١٨٨/٣، ٣٩٩/٤، ٧٤/١، ١٠١/١، ٣٢٩/٤، ٥١٥/١
الهمداني: صفة جزيرة العرب ٣٠٦

(٣) ياقوت: معجم البلدان: ٣٨٠/٥، ١٩/٥، ٢٧/٥، ١٢٥/٤، ٢٢٣/٣

ومن مياههم دوار، وطويلع، والشقوق، والصريف.[١]

ومن منازل بني الهجيم: اضم، والسمينة، والحفير، وغول، والحنيظلة، وملتو، ومطرق، وقرحان.

ومن منازل بني طهية وبني سبيع من حنظلة: الرمادة، والطرفة، والنبقة، والمروت، والهدية، والبعوضة، والعضاية، والوخزة، والمستراح، وقضة، والاجفر، والزباء، والعرائس.[٢]

ومن منازل تميم وأماكنها أيضاً: شغبغب، وبارق، وعقد، وقرحى ولعلع، ومخفق، وذو الرقم، وهذلول.[٣]

ومن مياههم العذيب[٤]، والنطاع[٥]، ومطرق[٦]، وعارمة[٧] والوركة[٨].
ومن جباهم شطب[٩]، وأوارة[١٠]، وبلبول[١١]، ومجزل[١٢]والستار[١٣]،

---

(١) لغدة: بلاد العرب ٢٦٦
ياقوت: معجم البلدان ٣/٣٥٦، ٣/٤٠٣
البكري: معجم ما استعجم ٧٧٥، ٥٦٧، ٨٩٩
اوس بن حجر: ديوانه ٦٣
والمعاجم الجغرافية للمملكة العربية السعودية تأليف حمد الجاسر.

(٢) لغدة: بلاد العرب ٢٦٦، ٢٦٨
البكري: معجم ما استعجم ٤/١٠٣٣، ٧٧٥
والمعاجم الجغرافية للمملكة العربية السعودية تأليف حمد الجاسر.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٨٥١، ٩٤٩، ١٠٦٢، ١١٥٦، ١١٩٦، ١٢٤٤، ١٣٤٩. ١٩٨٠

(٤) المصدر السابق نفسه ٩٢٧

(٥) ابن بليهد: صحيح الاخبار ١/٤٩.

(٦) المصدر السابق نفسه ١/٨٣.

(٧) ياقوت: معجم البلدان ٦/٩٤.

(٨) المصدر السابق نفسه.

(٩) البكري: معجم ما استعجم ٧٩٧.

(١٠) ياقوت: معجم البلدان ١/٣٩٤.

(١١) ابن بليهد: صحيح الاخبار ٤/٨٧.

(١٢) ياقوت: معجم البلدان ٤/٢٦٥.

(١٣) لغدة: بلاد العرب ١٩١.

وغول[١] ، وطخفة[٢] ، ومن المراعي الخصبة غير الدهناء والصمان الدو[٣] ، ومن أماكن الظباء الشهيرة: الخلصاء[٤] ، ومن مناطق الكمأة الدهناء والصمان[٥] .

ولقد ورد ذكر منازل تميم وديارها في شعر شعراء الجاهلية فالاخنس بن شهاب التغلبي يذكر من منازل تميم قف حزن، ورملة الدهناء فيقول[٦] :

وصـــارت تميم بين قـــف ورملـــة لها مـــن حبـال منتـأى ومـذاهـب

ونجد الكثير من منازل تميم وديارها في شعر شعرائها فليس أحب الى المرء من أن يتغنى بديار الأحبة والأهل، وأماكن اللهو والصبا، ومواقع الأيام والبطولات. والشاعر أوس بن حجر يعدد منازل أميمة التميمية فيقول:[٧]:

تنكَّر بعدي مـن أميميـة صـائـفُ فبركٌ، فأعلى تَولبٍ، فـالمخَـالِـفُ
فقوٌ، فرهبي، فـالسليـل، فعـاذبٌ مطافيلُ عوذِ الوحش فيه عواطـفُ
فَبطنُ السُّلِّي، فـالسّخـال تعَـذَرت فمعقلـةٌ الى مُطـار فَـــوَاحـــفُ

فالأماكن[٨]، برك، وتولب، وصـائـف، ومخالـف، وقـو[٩] ، ورهبي[١٠]، والسليل[١١]، وعاذب، وبطن السلى، والسخال، ومعقلة، ومطار[١٢]، وواحف كلها من منازل بني أسيّد في الصمان وديار بني تميم[١٣].

ويذكر سلامة بن جندل أن أماكن قومه بني سعد تمتد من الخط الى اللوب وهي المناطق نفسها التي تمتد من يبرين الى القاعة فيقول[١٤]

---

(١) المصدر السابق نفسه ٩١ .
(٢) المصدر السابق نفسه ١٠٣ .
(٣) ابن بليهد : صحيح الاخبار ٣/٢٢٠ .
(٤) ابن بليهد : صحيح الاخبار ١/٢٤٠ .
(٥) لغدة: بلاد العرب ١٣٢ .
(٦) المفصل الضبي: المفضليات رقم ٤١ ص ٢٠٥ .
(٧) اوس بن حجر: ديوانه ص ٦٣ .
(٨) انظر منازل تميم: والبكري: معجم ما استعجم ١/٢٤٤ .
(٩) ياقوت: معجم البلدان ٤/٤١٠ .
(١٠) البكري: معجم ما استعجم ٢/٦٧٩ وياقوت: معجم البلدان ٣/١٠٧ .
(١١) البكري: معجم ما استعجم ٢/٧٥٢ .
(١٢) ياقوت: معجم البلدان ٥/١٤٧ .
(١٣) البكري: معجم ما استعجم ١/٢٤٤ وقال كلها مواضع في بلاد بني تميم.
(١٤) المفضل الضبي: المفضليات ١٢٤ .

حتى تركنا وما تُثنى ظعائننا يأخذن بين سوادِ الخط فاللوّبِ

ويذكر من منازل قومه موضعين وهما تثليث ولعلع فيقول[1]:

سأهدي وان كنا بتثليث مدحةً اليكَ وان حلّت بيوتك لعلعا

ويورد علقمة الفحل موضعاً آخر من منازل تميم ويقول:[2]

وما أنت، أم ذكرها، ربعية يخط لها من ثرمداء قليب

فالموضع ثرمداء من منازل بني سعد[3]:

ويذكر متمم بن نويرة ظلفع والقريتين من منازل تميم:[4]

فمجتمع الأسدام من حول شارع فروى جبال القريتين فظلفعا

وناقة متمم بن نويرة تقيظ في أثال من الستار، وتتربع الحزن فتصيب المرعى وهذه من منازل تميم[5].

قاظت أثال الى الملا وتربعت بالحَزنِ عازبةً تُسَنُّ وتودعُ

وذكر سحيم بن وثيل من منازل تميم الأربعاء في أرض اليمامة[6]:

ألم ترنا بالأرْبُعاء وخيلنا غداة دعانا قعنبب والكياهمُ

كما ذكر المروت أيضاً[7]:

تركنا بمروت السخامةَ ثاويا بجير وعضَّ القيد فينا المثلما

وطخفه من منازل تميم ذكرها الشاعر زيد بن عمرو[8] والشاعر عمرو بن حوط[9].

علا جدهم جد الملوك فأطلقوا بطخفة ابناء الملوك على الحكم

قسطنا يوم طخفة غير شك على قابوس اذ كره الصباح

---

(١) د. فخر الدين قباوة: سلامة بن جندل ١٧٨.

(٢) علقمة الفحل: ديوانه ٣٥.

(٣) انظر منازل بني سعد. وبعضهم يرى أن ربعية: من قبيلة ربيعة بن مالك بن حنظلة وان ثرمداء في اليمامة.

(٤) مالك ومتمم ابنا نويرة: شعرهما تحقيق د. ابتسام الصفار ص ١١٣.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٩٤.

(٦) البكري: معجم ما استعجم ١/١٣٥، وانظر شعر تميم المجموع.

(٧) المصدر السابق نفسه، ٤/١٢١٤.

(٨) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٦٣، وانظر شعر تميم المجموع.

(٩) المصدر السابق نفسه، وانظر شعر تميم المجموع.

وذكر عمرو بن الاهتم ثلاثة منازل لتميم هي ذو الرضم والرمانتان وأوعال[1]:

قفا نبك من ذكرى حبيب وأطلال بذى الرضم فالرمانتين فأوعال

والغول جبل لتميم قرب طخفة ذكره أوس بن غلفاء[2]:

الاقالت أمامه يوم غول تقطع يا ابن غلفاء الحبال

وذكر مالك بن حطان جبل عاقل من منازل تميم[3]:

وليتهم لم يركبوا في ركوبنا وليت سليطاً دونها كان عاقل

وأخبر عميرة بن طارق بان قومه ينزلون بين عاقل وشرك:

فاهون على بالوعيد واهله اذا حل أهلي بين شرك فعاقل[4]

وعين المخبل السعدي ديار صاحبته سلمى ومواقعها بين مخفق وصحار:

اعرفت من سلمى رسوم ديار بالشط بين مخفق وصحار[5]

وذكر بان لها داراً باغدرة السيدان:

وارى لها داراً باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم[6]

وفي نهاية تجوالنا بمنازل تميم وديارها نسجل الملاحظات التالية:

أولا: ان تميماً لضخامة عددها، وكثرة بطونها امتلأت بها الديار واتسعت لها المنازل، فلسنا نستطيع تحديد منطقة تميم «الجغرافية» تحديداً دقيقاً، لانها جاورت قبائل من أهل الوبر، واختلطت باخرى من أهل المدر، وسكنت مناطق زراعية، ونزلت في مفازات صحراوية، غير أنه لم يكن عسيراً أن نستخلص لها حدوداً شبه متميزة، فقد امتدت امتداداً واسعاً ما بين البصرة شمالاً، والربع الخالي جنوباً، والبحرين والخليج العربي شرقاً والحجاز غرباً، وأن أهم المنازل والديار في إطار «شبه

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٣/٥١، وانظر شعر تميم المجموع.

(٢) د. المعيني: شعر بني تميم ٤٤٩.

(٣) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/١٩.

(٤) انظر شعر بني تميم ١٠٣

(٥) انظر شعره في بني تميم ٢١٩.

(٦) انظر شعر بني تميم ١٠٣

التحديد » هذا هي:

الدهناء: لبني تميم عامة.

الصمان: لبني دارم، ولبني أسيّد، وبني مازن، وأخلاط من تميم.

الحزن: لبني يربوع

البحرين: من يبرين جنوباً الى كاظمة شمالاً لبني سعد بن زيد مناة.

اليمامة: لبني امرىء القيس وبني العنبر وبني طهية وآخرين من تميم.

ثانياً: امتازت ديار تميم باتساع رقعتها، وخصب مرابعها، ووفرة قيعانها، وكثرة حيوانها، وهذه السمات كانت أهم الأسباب لاستقرارها في تلك المنازل. وهي ذاتها التي اغرت بطوناً منها في أن لا تستقر في مكان واحد وإنما تتجول دونما ـ جواز سفر ـ في هذه الديار وتشارك بعضها بعضاً فيها.

ثالثاً: قسم من هذه المنازل فيه حياة مستقرة كالوشم، ويبرين، ومرأة، والستار، والشقوق، والقاعة، وأعشاش، ونطاع، حيث اقيمت القرى وبنيت الدور وزرع النخيل.

رابعاً: منازل القبيلة موقع مهم، ومركز حصين يتوسط أطراف الجزيرة ويشرف على بلاد فارس، والحيرة، واليمن، وقبائل العرب، وهذه المنازل كانت معبراً مهماً للقوافل التجارية.

خامساً: كان لتلك المنازل تأثيرات مختلفة، وأبعاد متباينة في ركوب الاخطار، وسرعة الانتشار، فرجال تميم محاربون أشداء وفيهم عداءون أقوياء، وطباعهم غليظة غلظ قفافهم ولذا قيل فيهم: « تميم حجر أخشن اذا صادفته آذاك وان تركته أعفاك.[1] »

والمكان رحب وخصب، يغري بالجاه، ويدفع الى السؤدد ويدعو الى الشعر والتأمل، وهكذا كانت تميم رحبة المنازل، ضخمة العدد، فيها العزة والشرف والسيادة.

---

(١) الالوسي: بلوغ الارب ١١٨/٣.

الحياة الاجتماعية

احتلت تميم مركزاً مهماً في التاريخ العربي القديم، فهي قبيلة بدوية رعوية، عاشت ترتاد مساقط الغيث، وتأتي منابت الكلأ، تسوق ماشيتها، وتظعن بإبلها، تحل في مسايل المياه، وتتربع المناطق الممرعة، وتباشر الحروب والغارات والأيام والغزوات، فكأنها إلى حياة الوبر أقرب منها إلى حياة المدر.

وقد رأينا بطوناً وعشائر من تميم استقرت في منازل معينة وأقامت الحصون، وبنت الدور والقرى، وشاركت بلاداً مستقرة آهلة بالسكان، ورحل أفرادها، وتجولوا في الأمصار، وعرفوا كثيراً من شئون الحضارة ومراكزها.

والمصادر تخبرنا أن تميماً أحرزت دوراً ومياهاً لم يكن للعرب مثلها[1]، وأنها استقرت في كثير من منازلها ومنها: الوشم[2] وفيها ثمانون قرية، ونطاع[3] وفيها محطة تجارية ودور ومياه ومزارع نخيل، ومرأة[4] وحولها مئة قرية وفيها مياه وبئر جاهلية قديمة، والسّتار[5] وفيها القرى والنخيل والمياه وسوق تجارية هامة. ومن القرى الأخرى حمض، والجوفاء، والعنبرية، وصحار، وقميع، وذو طلوح، وطويلع، وبنيان، وشيع، والشربّة، والشريف وغيرها من قرى تميم وديارها.[6]

أما العوامل التي أدت إلى هذا الاستقرار فكثيرة: طيب الهواء، ووفرة المياه، وانتشار الواحات والقيعان، والمراعي الخصبة، والخباري الواسعة[7]، ومزارع النخيل، والمحطات التجارية.

---

(١) ابن عبدربه: العقد الفريد ٣/٣٣٥.
(٢) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/١٠١، ولغدة: بلاد العرب ٢٦٨.
(٣) لغدة: بلاد العرب ٣٤٦.
(٤) المصدر السابق نفسه ٢٦٨.
(٥) المصدر السابق نفسه ٢٦٩.
(٦) انظر منازل تميم.
(٧) القيعان والخباري هي أماكن تجمع المياه ووجود النبات.

وإلى جانب البطون المستقرة في تميم نجد بطوناً لم تعرف الاستقرار، وإنما كانت مرتحله، تقيم وتظعن لأسباب كثيرة: جدب المرعى والقحط، والأخطار الداهمة، والغلاقات القبلية، وحجم القبيلة.

ونحن نعرف لتميم مراعي في الدهناء والصمان والحزن، إذا أخصبت ربعت تميماً، وغير تميم من العرب[1]، أما إذا حلَّ الجفاف وأصاب القحط الديار، فلا ملجأ غير الرحيل، وهذا ما حدث عندما ظعن بنو دارم وأخلاط من تميم إلى سواد العراق، والأراضي المحمية من قبل الفرس، وكانت يومها قد أخصبت وأمرعت، فرعت ماشيتها، وكان ثمن هذا المرعى قوس حاجب بن زرارة.[2]

وتظعن بطون في تميم من منازلها عند مداهمة الأخطار، وغزو الأعداء، فعندما علم ناشب بن بشامة العنبري - أسير بكر بن وائل - أن لهازم[3] بكر تجمعوا للاغارة على تميم وهم غارون[4]، أرسل غلاماً إلى أهله بني عمرو بن تميم - وكانوا في الصمان - يطلب إليهم أن يعرّوا الصمان، ويركبوا الدهناء، فارتحل بنو عمرو بن تميم إلى الدهناء واستعدت تميم للقاء المغيرين.[5]

وعندما كان حجم القبيلة يزداد، كانت بطونها وعشائرها تأخذ في الانتشار والارتحال إلى منازل أخرى، فبنو سعد بن زيد مناة كان فيهم العدد، فلما جاءوا إلى البحرين[6]، لم يقيموا في منطقة واحدة، وإنما توزعوا في منازل منها: يبرين، والأجواف، والأحساء وشاركوا عبد القيس في منازلها.

والبطون الظاعنة والمستقرة تعيش حياة بدوية، ونظامها الاجتماعي قوامه القبيلة، وأساس هذا النظام القرابة والدم، ويعطى شيخ القبيلة مركز الرئيس

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ٢/٤٩٣.

(٢) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/١٦٥.

(٣) اللهازم: عجل بن لجيم، وقيس بن ثعلبة، وتيم الله بن ثعلبة، وعنزة بن أسد وكلهم في بكر بن وائل وكانوا حلفاء وهزموا تميماً في يوم الوقيط. «أيام العرب في الجاهلية ١٧٠».

(٤) غارون: غافلون.

(٥) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/١٣.

(٦) البكري: معجم ما استعجم ١/٨٨.

والرجل الأول فيها، يخضع له أفرادها ويمتثلون لأوامره، ويلتزمون في حياتهم العامة بمجموعة من التقاليد والسنن القبلية المتعارف عليها في الصحراء.

وفي ظل هذا المفهوم، يبدو لنا أن تميماً القبيلة كانت بمثابة «حكومة» كبيرة إن جاز هذا التعبير، فهي تسيطر على مساحة واسعة الامتداد من المنازل، وهي كثيرة العدد، كثيفة السكان، وغنية بمواردها الاقتصادية، وعزيزة المكانة، مرهوبة الجانب، يحميها جيش من الفرسان، فقد قال حاجب ابن زرارة معتزاً بقبيلته في مجلس النعمان وأمام وفود القبائل العربية[1] «لقد علمت معد بأنا فرع دعامتها، وقادة زحفها»،فقالوا له: «وبم ذاك يا أخا بني تميم» فقال: «لأنا أكثر الناس إذا نسبنا عدداً، وأنجبهم ولداً، وأنا أعطاهم للجزيل، وأحملهم للثقيل»، كما أشار عطارد بن حاجب إلى تفوق تميم في المال والعدد والمكانة في خطبته أمام رسول الله (عليه السلام) عندما قال:[2] «الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عدداً، وأيسره عدة، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأول فضلهم، فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا».

لكن هذه «الحكومة» الكبيرة لم تكن تخضع لسيد واحد، وان فعلت أحياناً في زمن زرارة بن عدس، ولقيط بن زرارة، واكثم بن صيفي، وقيس ابن عاصم، فبطونها وعشائرها، واتساع منازلها حالت دون رياسة واحدة، وسيد واحد، فنجد في كل بطن أو رهط شيخاً وسادة إلى جانب الفرسان والأفراد. فالشيخ صاحب السلطة الأول،وهو رجل من القبيلة تربى في كنفها، وعاش في مضاربها، وعلمته حياتها وأيامها سداد الرأي، والحكمة، والتعقل، وبلاغة القول، ولذا يتولى قيادتها في غزواتها، ويقسم الغنائم بين أفرادها، ويستقبل الوفود والضيفان، ويعقد المصالحات، ويبرم المعاهدات، ويبارك المصاهرات.

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٨٦/١٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٧٨/٢، وفي السيرة النبوية ٣٦٢/٢.

ويعاون شيخ القبيلة « سيدها ورئيسها » مجموعة من السادة والأشراف فيها يكونون بمثابة مجلس أعلى « أو وزارة » قائمة في مجتمع القبيلة.

أما الفرسان فهم جيش القبيلة الذي ينتزع لها مكانتها، ويخوض معاركها وأيامها، ويحمي منازلها، ويحقق انتصاراتها.

وإلى جانب الفرسان الشعراء وهم لسانها في كل مكان: في الأسواق والمواسم والآفاق وبين القبائل، وهم وسائط أعلامها التي تذيع مفاخرها وأمجادها، وترد عنها ألسنة خصومها.

وبقية أفراد القبيلة هم الذين يقومون على سائر شئون حياتها، ويلي هؤلاء الموالي والعبيد والأرقاء.

ومن رؤساء البطون والعشائر في تميم: جزء بن سعد الرياحي، وعتيبة بن الحارث اليربوعي، وعتاب بن هرمي، وقعنب بن عتاب، وسليط بن الحارث وكلهم من رؤساء يربوع. وعدس بن زيد، وزرارة بن عدس، ولقيط بن زرارة، وحاجب بن زرارة، والقعقاع بن معبد، ومحمد بن سفيان، وناجية بن عقال، والأقرع بن حابس وهؤلاء جميعاً من رؤساء دارم. وخالد بن مالك، وضمرة بن ضمرة، وضمرة بن جابر، من رؤساء نهشل. وقيس بن عاصم، ومقاعس بن عمرو، وقريع بن عوف، والأضبط بن قريع، وجعفر بن قريع، والأهتم بن سنان، والزبرقان بن بدر وهؤلاء من رؤساء بني سعد بن زيد مناة.

وإذا كان هؤلاء السادة والرؤساء قد مكنوا لتميم سيادتها وأعطوا لها مكانتها، فإن فيها رجالاً آخرين دعموا تلك السيادة وأبقوا على تلك المكانة.

★ ★ ★

قلنا أن تميماً كانت أقرب إلى البداوة، فلم تكن قبيلة زراعية أو صناعية أو تجارية بمفهوم واسع، وإنما أخذت بحظ يسير وضئيل من تلك الجوانب، ولم يكن لها أسلوب خاص بها.

فهي ليست زراعية لكنها في أماكن الاستقرار عرفت زراعة الحبوب والنخيل، بل كانت منطقة الحزن واليمامة ذات أشجار وغابات في وقت من الأوقات[١]. وهي ليست تجارية لكنها كانت تقوم على حراسة التجارة في الطرق والأسواق التجارية[٢].

وفي ديارها مرعى واسع خصب، فكثر عندها الإبل والنعم والشاء، والخيل، حتى أن دية أحد رجالاتها بلغت ألف ناقة[٣] وفي معاقرة صوءر ذُبح أكثر من خمسمائة ناقة.[٤]

وفي مناطقها صيد وفير، أضحى بقارات الستّار كأنه ربيئة جيش[٥]، واجنى له باللّوي شَري وتنوم[٦]، وفيها نعام كثير[٧].

والرعي مصدر هام من مصادر ثروة تميم الاجتماعية، ولكنه لم يكن وحده مصدر أمجادها وما كانت ترنو إليه، فما عوامل أمجاد تميم؟ وما أسباب منعتها؟

أخبارهم تحدّث عن مجتمع يكثر فيه السادة، والفرسان، والشعراء والحكماء، وشعرهم مليء بوصف مسهب لأيامهم، وبطولاتهم وانتصاراتهم، وزاخر بفخر واسع في أنفتهم ومنعتهم وعزتهم وعددهم، فأي مجتمع هذا؟ قلّ فيه الفقراء والضعفاء والجبناء، وارتفع عن الشذاذ والخلعاء ـ طبعاً باستثناء السليك ـ فهو مجتمع من نوع خاص أو لنقل من طراز معين، ولْنقبل أن نسميه مجتمع السيادة والفروسية والشعر، وهو أذن مجتمع سيد في حربه وشعره.

ولكن كيف وصلت تميم إلى هذا التفوق؟ وما الذي أتاح لها أن تحصل على هذه السيادة؟

---

(١) انظر منازل تميم.
(٢) انظر الحياة الاقتصادية في تميم.
(٣) الأصفهاني: الأغاني ١١/١٥١، وفي العقد الفريد ٣/٣٦٠.
(٤) جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية ٤٠١.
(٥) أوس بن حجر: ديوانه ٦٨.
(٦) علقمة الفحل: ديوانه ٥٨.
(٧) جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية١٨٥.

مما تقدم نرى أن رجالات تميم هم أبرز عناصر هذا التفوق وأكبر مقومات هذه السيادة، فهذه الشخصيات هي التي كانت عماد حياة القبيلة من الداخل والخارج، ومن هؤلاء من تعدى حدود القبيلة إلى أن يكون حكيم العرب في الجاهلية وهو أكثم بن صيفي.[1]

وكان في تميم حكام وقضاة، أما الحكام فهم الذين اشتهروا بحسن التصرف وبعد النظر، وامتازوا بالعقل السديد، والرأي الدقيق، وعرفوا بالحكمة والتعقل بين سراة القوم، وقمم الرجال، فاتخذتهم العرب حكاماً، تمضي إليهم في شئون حياتها، وتحكّمهم في أمر منازعاتها وخصوماتها، ليمتنع الظلم ويسود الأنصاف، وكان لهؤلاء الحكام حق اصدار الأحكام في أي وقت من أوقات السنة.

ويورد أبو عبيدة «قائمة» تضم ستة حكام من تميم في الجاهلية[2] هم: ربيعة بن مخاشن أحد بني أسيّد بن عمرو بن تميم، وزرارة بن عدس بن عبدالله بن دارم، وضمرة بن ضمرة النهشلي، وأكثم بن صيفي، وأبوه صيفي ابن رياح من بني أسيّد بن عمرو بن تميم، والأقرع بن حابس.

ويسقط الزبيدي واحداً من هذه «القائمة» هو صيفي بن رياح ويستبدل بزرارة بن عدس ابنه حاجب بن زرارة فيكون حكام تميم في الجاهلية عنده خمسة حكام.[3]

وابن حبيب يقدم «قائمة» ثالثة يوافق فيها الزبيدي بحذف صيفي بن رياح، واستبدال زرارة ولكنه يضيف حاكماً آخر هو مخاشن بن معاوية والد ربيعة ليظل العدد ستة حكام.[4]

فإذا أسقطنا من «قائمة» حكام تميم صيفي بن رياح، واستبدلنا بزرارة بن عدس ابنه حاجب بن زرارة كما فعل ابن حبيب والزبيدي وتجاوزنا عن ربيعة

---

(١) السجستاني: المعمرون ١٤، وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢١٠.

(٢) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/١٢٦.

(٣) الزبيدي: تاج العروس ٨/٢٥٢.

(٤) ابن حبيب: المحبر ١٣٤.

ابن معاوية لانفراد ابن حبيب بذكره يتبقى لدينا خمسة من حكام تميم هم:

ربيعة بن مخاشن، وأكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة، والأقرع بن حابس، وضمرة بن ضمرة.

وتنقل الأخبار أن أول من ارتشى من هؤلاء الحكام ضمرة بن ضمرة وأول من داهن الأقرع بن حابس[1].

وكان من تميم قضاة يتولون الحكم على الشعر في عكاظ ويقومون على رياسة السوق فيها، ويقول ابن حبيب[2] «ان أئمة العرب في مواسمهم وقضائدهم بعكاظ بنو تميم وكان ذلك في أفخاذهم جميعاً، وكان ممن اجتمع له الموسم والقضاء منهم في الجاهلية، سعد بن زيد مناة بن تميم، وحنظلة بن زيد مناة بن تميم[3]، وذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم، ومازن بن مالك ابن عمرو بن تميم، وثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، ومعاوية بن شريف بن جردة بن أسيّد بن عمرو بن تميم، والأضبط بن قريع ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة، وصلصل بن أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جردة بن أسيد، وسفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة، وكان آخر تميمي اجتمع له الموسم والقضاء في الجاهلية، وكان محمد بن سفيان يقضي بعكاظ عند مجيء الإسلام، وقضى بعده الأقرع بن حابس بن عقال.

وهؤلاء القضاة عند أبي عبيدة[4] ثمانية بدلاً من تسعة، فهو يسقط حنظلة ابن زيد مناة، وذؤيب بن كعب بن عمرو، ويضيف جردة بن أسيّد بن عمرو ابن تميم.

فإذا استثنينا من «القائمتين» حنظلة بن زيد مناة وجردة بن أسيّد، لاختلاف الروايتين فيهما يتبقى لدينا ثمانية من القضاة هم:

---

(١) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٢٦/١، وفي سمط اللالي ٤٨٧.
(٢) ابن حبيب: المحبر ١٥٦، ١٥٨.
(٣) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة ١٦٨/٢، هو حنظلة بن مالك بن زيد مناة.
(٤) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٤٢/٢.

سعد بن زيد مَناة، وذؤيب بن كعب، ومازن بن مالك، وثعلبة بن يربوع، ومعاوية بن شريف، والأضبط بن قريع، وصلصل بن أوس، وسفيان ابن مجاشع.

ويبدو أن القضاء في عكاظ كان حقاً من حقوق تميم، لا ينازعهم فيه منازع، كما كانت لهم رياسة سوق عكاظ[1]، وهي من الرياسات الكبيرة والعظيمة، ولا يعقل أن تكون في تميم لو لم يكن لها شأن عظيم، وصلات قوية، ومكانة مرموقة بين القبائل المجاورة، والأمم المتاخمة.

والمسألة تثير تساؤلات كثيرة، هل كانت تميم في فترة من الفترات تسيطر على قبائل الجزيرة العربية ولها عليها السيادة؟ هل كان لديها من وسائل تلك السيادة ما يجعلها تقوم على رياسة السوق؟ وما دورها في عكاظ؟ أهو دور أدبي أم ديني أم اقتصادي أم حربي؟

ثم كيف تسنى لتميم أن تتسلم حكومة الشعر؟ هل كان لديها «نقاد بصيرون» ينظرون في الشعر، ويحكمون عليه، ويقضون فيه؟

أما نحن فلا نستبعد هذه السيادة والرياسة لتميم ونرى أن لتميم شأناً عظيماً في ثلاثة ميادين مهمة هي: الشعر والحرب والأمن الأجتماعي.

أما الشعر فقد رأينا أن تميماً لها رياسة سوق عكاظ ـ وقد وجدنا لتميم شعراً يتقدم زمن امرىء القيس كشعر العنبر بن تميم، وسعد بن زيد مناة، وذؤيب بن كعب، والأضبط بن قريع وغيرهم، وكان بينهم من رويت له قصائد تبلغ ثلاثين بيتاً، فالأصمعي يقول: «ان الأضبط بن قريع أول من يروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً»[2] وحين يتحدث ابن دريد بجعل ذؤيب بن كعب يعاصر مهلهلاً في تقصيد القصيد[3] فنحن أمام مجموعة من أوائل الشعراء في قديم الشعر وصحيحه.

---

(١) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة ٢/١٦٧.
(٢) السيوطي: المزهر ٢/٤٧٧.
(٣) ابن دريد: الاشتقاق ١٢٤.

فمن ينظر في الشعر غير هؤلاء؟ ومن يتصدى لأحكامه سواهم؟ ولم لا يكون هؤلاء من أبرز أصحاب التجارب الأولى التي مهدت لظهور القصيدة كما يقول أستاذنا الدكتور يوسف خليف؟[1]

وبعد امرىء القيس واكتمال القصيدة العربية ونضجها ينهض في تميم شعراء كثيرون فيهم مجموعة من الفحول يتقدمهم أوس بن حجر شاعر تميم الكبير. ويكون لتميم شعر قد نضج واكتمل، واستقامت تقاليده الفنية، فمضى يحتل مكان الصدارة، وراح يتنقل في الآفاق، وينشد في المواسم والأسواق، ويتقدم شعر الآخرين. أليس هذا شعر تميم الذي ينشده أوس بن حجر:[2]

يُخيّلُ في الأعْناق منى خزايةٌ ... أوابِدُها تَهْوى إلى كلِّ موسِمِ
وَقَدْ رَامَ بَحرى بعد ذلك طَاميا ... من الشُّعراء كلُّ عَودٍ وَمقْحَمِ
نُبيحُ حِمَى ذي العزِّ حينَ نُريدُهُ ... وَنحْمي حِمانَا بالوَشيجِ المقَوَّمِ
لَنَا مَرْجَمٌ نَنفي به عن بِلادِنا ... وَكُلُّ تَميمٍ يرجُمونَ بمَرجَمِ

وتميم قبيلة الشعر، فمن قبل امرىء القيس ومن بعده اشتهرت فيها بيوت شعرية:

بيت ضمرة النهشلي: وفيه ستة شعراء وشاعرة، وهم نهشل بن حري، وحري بن ضمرة، وضمرة بن ضمرة، وضمرة بن جابر، وجابر بن قطن، وقطن بن نهشل، والحمراء بنت ضمرة.

وبيت زرارة: وفيه كثير من الشعراء والشاعرات ومنهم: لقيط بن زرارة وابنته دختنوس، وحاجب بن زرارة وابنه عطارد وأحفاده بعد ذلك.

---

(١) د. يوسف خليف: الشعر الجاهلي نشأته وتطوره (مجلة عالم الفكر، مجلد ٤، عدد ٤ ص ١٠٩٣).

(٢) أوس بن حجر: ديوانه ١٢٤.

وبيت نويـــره: وفيه مالك بن نويره ومتمم بن نويره وداود بن متمم.

وبيت ابن جندل: وفيه جندل بن عمـرو وولـداه سلامـه بـن جنـدل والأحمر بن جندل.

وبيت ابن يعفر: وفيه الأسود بن يعفر وابنه الجراح وأخوه حطائط بن يعفر.

وبيت الأهتم: وفيه سنان بن سمي وابنه عمرو بن الأهتم وأحفاده، بعد ذلك.

وبيت عتيبة اليربوعي: ومنه عتيبة بن الحارث وابنته آمنة بنت عتيبة.

وبيت صعصعة: ومنه صعصعة بن ناجية وابنه غالب وحفيده الفرزدق.

وبيت الخطفي: ومنه حذيفة بن بدر وابنه عطية وحفيده جرير.

وبيت العنبري: وفيه طريف بن تميم وابنه ربيعة بن طريف.

وبيت علقمة: وفيه علقمة الفحل وولداه علي وخالد وحفيده عبد الرحمن.

وامتازت تميم بالفصاحة، وكانت لها لغة تنفرد بها بين سائر لغات القبائل، وظلت من أبرز اللغات النجدية التي تصب في نهر العربية الأم، وكان لتلك اللغة خصائصها وميزاتها، حتى أن غيرها لم يكن أقوى قياساً منها[1] وقال أبو عمرو بن العلاء أفصح الناس علياً تميم[2].

فلهذا التفوق الشعري ولهذه الفصاحة التي شهد بها اللغويون كانت سيادة تميم الأدبية في عكاظ، وكان فيها عدد من رؤساء موسم عكاظ الشعري.

أما سيادة الأمن الأجتماعي في سوق عكاظ فكانت أيضاً لتميم، وظهرت في ناحيتين: الأولى: أن تميماً كانت تحافظ على أرواح الناس وتحميها من الظلم

(١) د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ٥٥.
(٢) ابن رشيق: العمدة ١/٨٩.

والعدوان، وهذا يعود بالطبع إلى تفوق تميم في الجانب الحربي، حتى أن صلصل بن أوس أحد رؤساء عكاظ من تميم، أحل قتال المحلّين من قبائل العرب، فأمر تميماً بأن تلبس سلاحها لتدفع عن الناس أذاهم[1] وكانت تميم تجيز الحجيج، من عرفات إلى المزدلفة في الجاهلية وافتخر شاعرها بذلك عندما قال:[2]

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صفوانا
مجد بناه لنا قدما أوائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرانا

والأخرى: أن تميماً كانت تفصل في الخصومات والمظالم، وكانت الحكومة فيها لهم، وقد ذكرنا ستة من حكامهم.

ولهذه السيادة في الأمن والحكم ارتفع صوت شاعرهم يقول:[3]

ليالي سعد في عكاظ يسوقُها له كل شرق من عكاظ ومغرب

وافتخر الأسود بن يعفر النهشلي برياسة تميم في القضاء والحكومة والحرب فقال:[4]

وقد علمت أبناءُ خِندفَ أننا رعاةٌ قَواصيها وحامو الحقائقِ
وانا أولو أحكامِهَا وذوو النهى وفرسانُ غاراتِ الصباح الذَوالق

واعتز حاجب بن زرارة بقبيلته تميم بين وفود القبائل في بلاط الحيرة:[5]

لقد علمت أبناء خندف أننا لنا العزُّ قِدماً في الخطوب الأوائلِ
وأنا هجان أهلُ مجدٍ وثروةٍ وعزٍ قديم ليس بالمُتَضَائِلِ
فكم فيهم من سيّدٍ وابن سيّد أغرَّ نجيب ذي فَعالٍ ونَائِلِ
فسائل أبيت اللعن عنافاننا دعائم هذا الناس عند الجلائل

وأما سيادتها الحربية فأمر لا خلاف عليه، ولا مجال للشك فيه، وكأن

(١) سعيد الأفغاني: أسواق العرب ٦٧.
(٢) ابن حبيب: المحبر ١٨٧ والمرزوقي: الأزمنة والأمكنة ١٦٨/٢.
(٣) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة ١٠١.
(٤) الأسود بن يعقر: ديوانه ص ٥٤.
(٥) انظر شعر حاجب بن زرارة في بني دارم.

تفوقها العسكري شيء مقرر بين القبائل، فهي قبيلة ترسم سياستها الخارجية بحثاً عن الرياسة والقيادة، وتطلعاً إلى المجد والسيادة. ولهذا كانت قبيلة محاربة، فيها بأس وشدة، ولها فزع وهيبة، ولديها متخصصون في القتال، وانجبت مساعير الحرب، وعندها جيش من الفرسان، وهي تقاتل على مختلف جبهات قتالها، حاربت الفرس واليمن، وقاتلت المناذرة والغساسنة، وأغارت على القبائل المجاورة، وحلت في ديار واسعة، واستطاعت أن تفرض سيطرتها وحمايتها لمساحة من الأرض تغطي أكبر أقسام جزيرة العرب.

وفي كل هذا خاضت حروباً مريرة، وقتالاً رهيباً، وكانت تهزم مرة وتنتصر مرات، ويعتدي عليها حيناً فتعتدي أكثر الأحيان، وأحياناً تحارب وحدها، وأحياناً أخرى تحالف غيرها في حروبها. وكانت لها أيام كثيرة.[١]

والقبيلة تقرر حربها مع أعدائها بقرار دقيق، فإذا زحف الأعداء إليها أحلافاً وأعداداً ضخاماً، فإنها تأخذ طريقاً جماعياً للقتال ترسمه بُشدة وتجر الجيوش بقوة، فالأضبط بن قريع أحد الجرارين في تميم[٢] قادها إلى حمير في يوم صنعاء فقتل وسبى وقال:[٣]

وشفيـــت نفسي مـــن ذوي يمن بـــالطعـــن في اللّبـــاب والضرب
قتلّتهـــــــم وأجتُ بلـــــــدتهم وأقمـــتُ حـــولاً كـــاملاً أسبـــى

وقاد لقيط بن زرارة تميماً إلى عامر بن صعصعة وأحلافها في يوم جبلة وهو يرتجز[٤]:

يا قوم قد احرقتمـوني بـاللـوم
ولم أقاتـل عـامـراً قبـل اليـوم
تقـدمـوا وقـدمـوني للقـوم

وحين تكون قبائل مغيرة تنهض لها بعض بطون تميم، فـاليربـوعيـون

(١) انظر شعر الحرب في الدراسة الموضوعية فقد درسنا الأيام كلها هناك.
(٢) ابن حبيب: المحبر ٢٤٧.
(٣) انظر شعر الأضبط بن قريع في شعر بن تميم ٣٦
(٤) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٦٦٤، وانظر شعر لقيط في شعر بني تميم ٣١١

يتصدون لغارة بني شيبان من بكر بن وائل، فيأسرون قائدهم بسطام بن قيس، ويسجل هذا الفخر شاعر يربوع وفارسها عتيبة بن الحارث فيقول:(١)

أبلغ سراة بني شيبان مألكة ... أني أبأت بعبد الله بسطاما
قاظ الشربّة في قيد وسلسلة ... صوت الحديد يغنيه إذا قاما

وأكثر من هذا فإن بني يربوع وهم بطن في تميم يلقون المناذرة ويهزمونهم في يوم طِخفة ويتغنى شعراؤهم فخراً بهذا النصر الكبير (٢)

علا جدهم جد الملوك فأطلقوا ... بطخفة أبناء الملوك على الحكم
حمانا حمى الأسد التي لشبولها ... تجر من الأقران لحماً على لحم
ونرعى حمى الأقوام غير محرم ... علينا ولا يرعى حمانا الذي نحمي

وكانت قواعد الحرب في الجاهلية مرتكز حياة، ومصدر عيش، وسبيل سيادة، وتميم كانت تسعى إلى السيادة فتسلحت بكل وسائل الحرب من بطولة، وشدة، وصبر، واندفاع، وغضب، وسلاح، فإذا تطاولت الرماح، وسلت السيوف، وصرخ نفير القتال، لبس بنو سعد سلاحهم(٣)

لبسوا من الماذي كل مفاضة ... كالنهي يوم رياحه الرقراق

وهل أشجع من بني تميم إذا شبت الحرب:(٤)

فما قوم كقومي حين يعلو ... شهابُ الحرب تسعره الرماح

وتميم مسعر حرب إذا هاجت أو هوجت:

ازاحتكم عنها الرماح وفتية ... مساعير حربٍ كل يوم غوار (٥)

وأبطال تميم يهبّون إلى المعارك لا يسألون عن مكانها أو أسبابها:(٦)

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية حرب أم بأي مكان

وهم ليوث الناس عندما يحتدم الطعان:

(١) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٧٣/١، وانظر شعر بني يربوع.
(٢) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٦٣/١، وانظر شعر بني تميم ٢٠٣
(٣) سلامه بن جندل: ديوانه ١٤٩.
(٤) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٦٣/١، وانظر شعر بني تميم ٢٠٣
(٥) انظر شعر حريث بن سلمة في شعر بني تميم ٤٠٥
(٦) انظر شعر وداك بن ثميل في شعر بني تميم ٣٨٦.

وانا ليوث النـاس في كـل مـأزق إذا جز بالبيض الجماجـم والطلا[1]
وانــا إذا داع دعــانــا لنجــدة أجبنا سراعاً في العلائـم مـن دعـا

وهكذا نجد سيف تميم من أقوى السيوف في الجاهلية، وفرسانها من أشجع الفرسان، وهم كثيرون منهم:

عتيبة بن الحارث، وجزء بن سعد، ونعيم بن عتاب، وعميرة بن طارق، والكلحية اليربوعي، ومالك بن حطان، وعمرو بن حوط، وعصمه بن حدره، وسحيم بن وثيل، ومالك بن نويره، ومتمم بن نويره، وسليط بن الحارث، وكلهم من يربوع.

وزرارة بن عدس، ولقيط بن زرارة، ومعبد بن زرارة، ومجاشع بن دارم، والأقرع بن حابس، وسلمى بن جندل، وسفيان بن مجاشع، والقعقاع ابن معبد، وكلهم من دارم.

وسلامة بن جندل، وفدكي بن أعبد، وقيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، وجعفر بن قريع، والمستوغر بن ربيعة، والاضبط بن قريع، وهؤلاء من سعد.

وطريف العنبري، وجاريه بن مشمت من العنبر، وثعلبة بن صعير، وخفاف بن مالك من مازن، وكثير غيرهم

★ ★ ★

وفي مجال الحكمة والكتابة والخطابة والمعارف القديمة، كان لتميم نصيب وافر، وبرز فيها مجموعة من الحكماء، من بينهم: أكثم بن صيفي، وضمرة بن ضمرة، وعدي بن زيد، ومجاشع بن دارم، وسليط بن يربوع، والأقرع بن حابس.[2]

وفي الكتابة أشارت المصادر إلى كثير ممن كتبوا من تميم ومن بينهم: عدي

---

(١) د. المعيني: شعر بني تميم ١٤٣.
(٢) ابن حبيب: المحبر ٤٢٣، التبريزي: شرح اختيارات المفضل ١٣٦٧. علي الهاشمي: عدي بن زيد ١٥.
د. علي الجندي: تاريخ الأدب الجاهلي ١/١٢٥.

ابن زيد، وعمرو بن عمرو بن عدس، والزبرقان بن بدر، ونهيك بن الترجمان: وأكثم بن صيفي وحنظلة الكاتب، وسلامة بن جندل.[١]

وفي الخطابة اشتهر كثيرون منهم: ضمرة بن ضمرة، وأكثم بن صيفي، ومجاشع بن دارم، وشبّة بن عقال، وقيس بن عاصم، والأقرع بن حابس، وحاجب بن زرارة، وأولاده وأحفاده، وعمرو بن الأهتم، وآل الأهتم.[٢]

وفي الطب كان ابن رومية التميمي، والأسود بن أوس الرياحي ويزيد بن عمرو الطبيب[٣].

* * *

وكان للمرأة في تميم منزلة مرموقة، فاشتركت في الحروب، وقادت الجيوش وأنشدت الشعر، وعرفت بالحزم وصواب الرأي، وكانت تشير على زوجها، فقد عرفت الحرام بنت العنبر أم عمرو بن يربوع بالشجاعة وشاركت في الحروب[٤]. وفي يوم أراب اشتركت نساء تميم وامرأة قعنب «العسراء» وبنت جزء بن سعد الرياحي، وزينب بنت حميري وأسرت زينب من بينهن فركب عتيبة بن الحارث وفك أسرها وقال مخاطباً زوجها أبا قران وأخاه خداماً:[٥]

أبلغ أبا قران أما لقيته ... وبلغ خداما ان دنا أو تجنبا
لعمري لقد نالت رياحاً سماحتي ... وأدركت إذ راث الترحل زينبا

وقادت سجاح اليربوعية الجيوش وانحدرت من بلاد تغلب وحالفها الكثيرون من تميم[٦]، وكانت دختنوس تشترك في القتال وَرَثَتْ أباها لقيطاً في يوم جبلة فقالت:[٧]

(١) الأصفهاني: الأغاني ٢/١٠١، ابن حبيب: المحبر ٤٧٥، والسيوطي المزهر: ٢/٣٥١.
(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٨، وابن دريد: الاشتقاق ٢٤٤ وأبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٠/٧٠، وابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢/٥٨٣.
(٣) ابن دريد: الاشتقاق ٢٢٥ ود. علي الجندي: تاريخ الأدب الجاهلي ١/١٢٥.
(٤) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/١٧٦.
(٥) انظر شعر عتيبة في شعر بني تميم ٢١٨
(٦) د. المعيني: شعر بني تميم ١٤٣.
(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٥٨٥، وانظر شعر دختنوس في شعر بني تميم ٣٣٣

بكـر النعـى بخبر خنـدف كهلهـا وشبـابها
ورئيسهـا عنـد الملـوك وزيـن يـوم خطـابها
عبـث الاغـربـه وكـل منيـة لكتـابها

وكانت أم حطائط بن يعفر رهـم بنت العباب تنصح ولدها بعدم الاسراف والاتزان في الانفاق فقال لها.[1]

أريني جـواداً مـات هـزلاً لعلني أرى مـا تـريـن أو بخيلاً مخلـدا

وزوجة عمرو بن الأهتم أم الهيثم تحاول أن تثنيه عن الأسراف في الكرم فيزجرها قائلا:[2]

ذريني فـان البخـل يـا أم هيثم لصـالـح أخلاق الرجـال سروق
ذريني وحطـي في هـواي فـإنني على الحسب الزاكي الرفيـع شفيـق

ولمكانة المرأة فقد نسب أولادها إليها، فأبناء طهية نسبوا إلى أمهم طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة[3] وأبناء العدوية نسبوا إلى أمهم[4] وكانت طهية والعدوية من زوجات مالك بن حنظلة.

وامتازت جندلة بنت مالك أم يربوع، وزوج حنظلة بجمالها، وكانت امرأة خليقة[5] وبعد موت حنظلة خلف عليها مالك بن عمرو فولدت مازنا. والجميلات في تميم كثيرات، ولذا كان في تميم جمال الرجال فالزبرقان قمر نجد[6]، وخالد بن مالك كالشهاب[7] وحبيب بن أعيفر من أجمل الناس[8] وكثير غيرهم.

وأنجبت زوجة زرارة ثلاثة أبناء كلهم سيد وفارس وشاعر وهم لقيط

---

(١) أبو تمام: ديوان الحماسة ٢/٤٧٣، وانظر شعره في بني نهشل.
(٢) د. المعبني: شعر بني تميم ١٦٥.
(٣) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٠/١٧٠.
(٤) المصدر السابق نفسه ١/١٧٣.
(٥) المصدر السابق نفسه ١/٢١١.
(٦) البغدادي: خزانة الأدب ٣/٢٠٧ وابن قتيبة: المعارف ٣٠٢.
(٧) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٣٠.
(٨) ابن قتيبة: المعارف ٣٠٢ وابن دريد: الاشتقاق ٢٢٢.

وحاجب ومعبد[1]، وكان التميمون يتخيرون المناكح الكريمة ذوات الشرف ويتجنبون نكاح الحمقاء، وتزوجوا من السبي فضمرة بن ضمرة تزوج سبيّة من الأزد، وأخرى من عبد القيس، وتزوج زرارة سبيّة من الحرب.[2]

وتباهت المرأة التميمية برجالها، فهنيدة بنت صعصعة بن ناجية، افتخرت بأربعة رجال وكانت تقول «من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعة يحل لي أن أضع خماري معهم فلها صرمتي» ثم قالت «أبي صعصعة، وأخي غالب، وخالي الأقرع، وزوجي الزبرقان» ولذا سميت هنيدة بذات الخمار.[3]

ومن شاعرات تميم ـ دختنوس بنت لقيط، وآمنة بنت عتيبة والحمراء بنت ضمرة، والعوراء السليطية والسلكة أم السليك وغيرهن.[4]

★ ★ ★

قدس مجتمع تميم ما كان يقدسه العرب من الفضائل والشيم العربية من الوفاء، والحلم، والجود والكرم، وحماية الجار، وإغاثة الملهوف، ودفع الظلم إلى جانب الشجاعة والمروءة والنجدة، وغيرها من القيم الخلقية التي كان المجتمع الجاهلي يتمسك بها.

وتنقل الأخبار أن حاجب بن زرارة رهن قوسه وفاء منه لعهد قطعه على نفسه بأن لا يعتدي بنو تميم على تخوم فارس عند رعي مواشيهم للكلأ في سواد العراق، وأن حاجباً شكا لكسرى الجهد والجدب في الأموال والأنفس وطلب إليه أن يأذن لبني تميم فيكونوا في حد بلاده فوافق كسرى، ووفي حاجب، فلم يعتد أحد من تميم يومها على فارس.[5]

وعندما قُتِلَ شرحبيل بن الحارث الكندي قامت بنو سعد بن زيد مناة

---

(١) انظر نسب تميم.
(٢) الميداني: مجمع الأمثال ١/١٣٣.
(٣) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٢٥٠.
(٤) د. المعيني: شعر بني تميم ٣٣٣، ٢٤٧، ٣٠٦، ٩٢.
(٥) ابن عبدربه: العقد الفريد ٣/١٢.

دون أهله وعياله فمنعوهم من أن يعتدى عليهم، وحموهم حتى الحقوهم بأهلهم، والذي قام بهذا العمل عوير بن شجنة التميمي فوفى لأهل امرىء القيس بهذه الحماية فأثنى امروء القيس الشاعر على عوير وقال:[1]

لكن عوير وفى بذمته لا عور ضره ولا قِصَرُ
من معشر ليس في نصابهم عيب ولا في عيدانهم خَوَرُ

ومن الأوفياء في تميم القعقاع بن معبد، سيد قومه، وفيه قال المسيب بن علس[2]:

أنت الوفيّ فما تذم وبعضهم تودي بذمته عقاب ملاع

وعرف عن قيس بن عاصم أنه رجل الحلم والأناة، فقد جاءه القوم ذات يوم بابنه مقتولاً، وبابن أخيه مكتوفاً، فقال: «ادفعوا إلى أم القتيل الدية، وفكوا قيود ولدكم» ثم التفت إلى القاتل وقال: «يا بني نقّصت عددك، وأوهيت ركنك، وفتت في عضدك، وأشمت عدوك وأسأت بقومك».[3]

حقاً أن قيساً لحليم، وهذه النصائح الثمينة لا تصدر إلا عن رجل حكيم يؤدّب بها أفراد قومه، ويعلّمهم كيف يكون الحلم والصبر في الملمات، ولهذا الخلق قال رسول الله عليه السلام عندما رحب به: «هذا سيد أهل الوبر». وحق له أن يفتخر قائلاً:[4]

انى امرؤ لا يعترى خلقي دنس يغيره ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة والفرع ينبت حوله الغصن

ويقول الأحنف بن قيس سيد تميم: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري[5].

---

(١) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/١٦٢.
(٢) المفضل الضبي: المفضليات ٦٠.
(٣) الأصفهاني: الأغاني ١٤/٧٤، ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٢٨٦.
(٤) د. المعيني: شعر بني تميم ١٤٣
(٥) ابن عبدربه: العقد الفريد ٢/٣٠١.

والحلم فضيلة يسعى إليها رجال القبيلة ويطلبونها في مجتمعهم فهذا شاعر بني مازن يصور لنا هذه السجية الحميدة فيقول:[١]

نريح فضول الحلم وسط بيوتنا   اذا الحلماء عنهم الحلم اعزبوا

والتميمي كريم، شأنه شأن عرب البادية: يهب لاستقبال الضيفان، ويرحب بهم، ويقدم القرى اليهم، فظروف الصحراء، وقساوة العيش في المفازة أوجد عندهم فضيلة الكرم، فلا مفر لأي بدوي من الكرم، فهو يرحل ويُكْرَم، وهو يستقر فيكرم، والعربي يخشى المذمة فيكرم ضيوفه، وأكثر ما يحمد الكرم في أيام القحط، وسنوات الجدب، ففي السنين العجاف يهب بنو سعد يدفعون غائلة الجوع بجودهم، حتى لتصبح منازلهم عزة المستضعفين، وموئل المساكين، ومحط رجال الاضياف.

قوم اذا صرحت كحل بيوتهم   عز الذليل، ومأوى كل قرضوب[٢]

قد يسعد الجار والضيف القريب بنا   والسائلون ونغلى ميسر النيب

وضيف عمرو بن الأهتم يطرق بيته في ليل بارد، فيرحب به ويوسع عليه، ويقدم له الصبوح والغبوق، غير متذرع بضيق المكان، وقلة الطعام:

ومستنبح بعد الهدوء دعوته   وقد حان من نجم الشتاء خفوق[٣]

يعالج عرنينا من الليل بارداً   تلف رياح ثوبه وبروق

أضفت فلم أفحش عليه ولم أقل   لأحْرِمَه، ان المكان مضيق

وقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا   فهذا صبوح راهن وصديق

وقمت إلى البرك الهواجد فاتقت   مقاحيد كوم كالمجادل روق

فبات لنا منها وللضيف موهنا   شواء سمين زاهق وغبوق

وكان مالك بن حنظلة من أجواد الجاهلية، وسمي الغرف لسخائه، وفيه قال الأسود بن يعفر:[٤]

---

(١) انظر شعر خفاف بن مالك في شعر بني تميم ٣٠٠

(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ١١١.

(٣) انظر شعر عمرو بن الأهتم في شعر بني تميم ١٦٥

(٤) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٨.

في آل غرف لو بغيت لي الأسى لوجدت فيهم أسوة العداد

وكان القعقاع بن معبد بن زرارة يلقب بتيار الفرات لجوده وسخائه، وفيه قال المسيب بن علي:[١]

ولأنت أجود من خليج مفعم متراكم الآذي ذي دُفّاع
ولذاكم زعمت تميم أنه أهل السماحة والندى والباع

ومن أجواد تميم في الجاهلية ثور بن شحمة العنبري، «مجير الطير» وكانت العنبر تقول إذا افتخرت «منا مجير الطير»[٢].

وسلمى بن جندل بن نهشل ويدعى «المجبر» لأنه أكرم قومه وجبرهم في سنة جدب لحقت بهم.[٣]

وكان اكثم بن صيفي يحب الجود ويمدح الأجواد، ويقول لبني أسيّد «تحلّوا بالجود يكسبكم المحبة»[٤]، وكان بنو دارم ضخام الدسيعة لكرمهم وجودهم[٥].

ولم يقتصر الكرم على الرجال بل كانت نساء بني تميم تكرم أضيافها، فقامت شذره أم الزبرقان، وهنيده بنت صعصعة زوجة الزبرقان، باكرام الحطيئة وأهله عندما حلّوا في بيت الزبرقان[٦] وروى عن عاتكه بنت قيس النهشلية أنها كانت من أجواد تميم في الجاهلية.[٧]

وفي كرم الأخلاق، يرسم عبد القيس بن خفاف ـ شاعر البراجم ـ لابنه جبيل، مساراً يحتذيه، وسبيلاً يرتضيه، يعلمه الخلق، ويربيه على الفضيلة، ويغرس فيه حب الخير، ومجافاة السوء، ويرضى له أن يكون أبيّا، ويرفض منه أن يكون خنوعاً.

---

(١) المفضل الضبي: المفضليات ٦٠.
(٢) الميداني: مجمع الأمثال ٨٣/٢ وانظر سفره في بني العنبر.
(٣) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٦٥/٢.
(٤) ابن عبدربه: العقد الفريد ٢٢٦/١.
(٥) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٤٥/٢.
(٦) الأصفهاني: الأغاني ١٨٠/٢.
(٧) الألوسي: بلوغ الارب ٩٢/١.

أجبيـل إن أبـاك كـارب يـومـه ... فاذا دعيت إلى المكارم فاعجـل[1]
واتـرك محل السـوء لا تحلـل بـه ... واذا نبـا بـك منـزل فتحـول
دار الهوان لمن رآهـا داره ... أفـراحـل عنها كمـن لم يـرحـل
واذا هممـت بـأمـر شرفـاتئـد ... واذا هممـت بـأمـر خير فـافعـل

ويضع عدي بن زيد تعاليم واضحة في الأخلاق، تتمثل في شعر الحكم عنده، إذ على المرء أن يظل وفياً لأصدقائه، مصاحباً للأخيار، مبتعداً عن الأشرار.[2]

اذا كنت في قوم فصاحبْ خيارهـم ... ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

وعلى الانسان أن يختار قرينه من ذوي الشيم الحميدة.[3]

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينـه ... فكـل قـريـن بـالمقـارن يقتـدي

وأوس بن حجر يغفر لابن العم جهله، ويشكف عن غمه، ويفرج كربه، ويقدم اليه النصيحة:[4]

ألا أعتب ابن العم ان كـان ظـالما ... وأغفر عنه الجهـل إن كـان أجهلا
وان قال لي ماذا تـرى، يستشيرني ... يجدني ابن عم مخلط الأمـر مـزيلا
أقيم بـدار الحزم مـا دام حـزمهـا ... وأحـرِ اذا حـالـت بـأن أتحولا

ويحيط ضمرة بن ضمرة صديقه بالمودة والرأفة والعون.[5]

أذيـق الصـديـق رأفتي وأحـاطتي ... وقد يشتكي مني العـداةُ الأبـاعـد
وذي تـرة أوجعتـه وسبقتـه ... فقصر عني سعيـه وهـو جـاهـد

وكانت الشجاعة سمة بارزة في فرسان تميم، لا في الحرب فحسب وإنما في ميادين السلم، فطريف بن تميم العنبري يرفض أن يتقنع في عكاظ، ولا يبالي بما تجره عليه جرأته من متاعب وأخطار:

---

(١) د. المعيني: شعر بني تميم ٣٤٧.
(٢) عدي بن زيد: ديوانه ١٠٧
(٣) المصدر السابق نفسه ١٠٦.
(٤) أوس بن حجر: ديوانه ٨٢.
(٥) العسكري: ديوان المعاني ١/٨١، وانظر شعره في بني نهشل من دارم.

أو كلما وردت عكـاظ قبيلـة بعثـوا إلى رسـولهم يتـوسم[1]
فتـوسمـوني انني أنـا ذاكم شـاك سلاحـي في الحوادث معلم
تحتي الأغـر وفـوق جلـدي نثرة زغـف تـرد السيـف وهـو مثلم

وبنو سعد يلبون النداء، وهم نصير الخائف المفجوع، ويهرعون لاجارة المستغيث بالنوق السريعة، والخيل الكريمة، والفرسان الأشداء.

كنـا إذا مـا أتـانـا صـارخ فـزع كان الصراخُ له قرعَ الظنـابيـب[2]
وشدَ لِبْدٍ على جـرداءَ سُـرُحُـوبِ وشـدَكُـورٍ على وجنـاء نـاجيـةٍ

وإذا كانت تميم قد امتازت بكثير من الفضائل والسجايا الكريمة، فقد كانت فيها عادات ذميمة، ولعل أشد ما وصمت به تميم هو مسألة وأد البنات.

وتتناقض الأقوال، وتتضارب الآراء حول الوأد، فالأخبار تروي أن القبائل قاطبة كانت تئد قبل الإسلام، ولها مذاهب شتى فيه، وعندما جاء الإسلام قلّ الوأد إلا في بني تميم[3] ويقول صاحب الأغاني[4] ان الوأد حدث قبل الإسلام عند تميم، وذلك لأن النعمان بن المنذر حاربهم، وأسر نساءهم، ولما أرادت تميم افتداء النساء، رفضت احداهن، وهي بنت قيس بن عاصم العودة إلى منازل تميم مفضلة البقاء مع آسرها، فقررت القبيلة وأد كل بنت تولد.

ويؤيد هذا الراي المبرد[5] إذ يرى أن الوأد كان في تميم وأول من سنّه فيها قيس بن عاصم.

وتقول الأخبار: أن الوأد عادة قديمة، وأول قبيلة وأدت هي ربيعة.[6]

---

(١) د. المعيني: شعر بني تميم ٤٥٨.
(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ١١٢.
(٣) الألوسي: بلوغ الأرب ٤١/٣.
(٤) الأصفهاني: الأغاني ١٤٤/١٢.
(٥) المبرد: الكامل في اللغة والأدب ٢٨٨/١.
(٦) د. على عبد الواحد وافي: الأسرة والمجتمع ١١٩.

ويعيد الدكتور علي عبد الواحد وافي[1] أسباب الوأد إلى عقيدة دينية قديمة تقول بأن البنت رجس من الشيطان، بينما يرى الدكتور الحوفي أن العار أبرز بواعث الوأد[2].

والذي نفهمه أن الوأد عادة قديمة مارسها الجاهليون، وأن أسباباً كثيرة ادت إلى ذلك منها: الفقر والأسر والعار.

والذي نستغربه أن يكون قيس بن عاصم أول من سن الوأد في تميم وفي غير تميم وهو أمر نرفضه كما نرفض أن تكون تميم أول قبيلة مارست الوأد في الجاهلية لأسباب منها: أولاً: لم نجد في شعر تميم ما يدل على أنها باشرت الوأد وشغلت به دون سواها.

ثانياً: الروايات تميل إلى أن الوأد عادة قديمة، وجدت عند كثير من القبائل العربية كربيعة وكنده وتميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل.

فَلِمَ نخصّ تميماً وحدها من بين هذه القبائل لتكون أول قبيلة وأدت؟ ولماذا انفرد قيس بن عاصم من بين أفراد القبائل الأخرى ومن تميم ليكون أول من يباشر هذه العادة الذميمة؟.

وكانت تميم قوة حربية مفزعة، لا تجرؤ القبائل على أن تسبي نساءها لأنها لا تنام على مثل هذه الاهانة، وفي أحد الأيام التي حدث فيها سبي لبني يربوع أسرع عتيبة بن الحارث، ولم يبرح منازل بكر بن وائل إلا وجميع السبي بين يديه.

وشارك قيس بن عاصم في أيام وغارات، فلم يحلق بأهله وذويه أذى أو أسر، وعرف عن قيس بأنه رجل حليم، وصاحب خلق طيب، وأنه سيد تميم، وأنه ما هم بملأمة، ولا حمل على تهمة، والرسول عليه السلام أثبت له منزلة عظيمة، وهو يرحب به قائلاً «هذا سيد أهل الوبر» فكيف يلجأ قيس وهذه أخلاقه إلى هذه العادة الذميمة؟ وإلى أن يكون أول المباشرين لها؟

---

(١) د. الحوفي: الغزل في الجاهلية ٢٩٦.

(٢) الألوسي: بلوغ الأرب ١/١٤١.

وقد نرضى أن يكون بعض افراد من تميم قد وأدوا لسبب أو لآخر، ولكن حسب تميم فخراً أن يكون أحد رجالها وسادتها، صعصعة بن ناجية هو الذي يبطل هذه العادة القبيحة، ويبذل مجهوداً كبيراً، وينفق ماله الكثير في شراء المؤودات وكان ما حرره عندما جاء الإسلام أكثر من ثلاثين بنتاً.

★ ★ ★

وتروي الأخبار أن تميماً كانوا أهل غدر وقلة شكر، وفيهم ضعف وخور[1] فقد غدر عتيبة بن الحارث برجل من بني سليم كان أسيراً عنده، وأشاع هذا الغدر العباس بن مرادس عندما قال[2]:

ما ان سمعت ولا رأيت بغادر كعتيبة بن الحارث بن شهاب

وغدر عتيبة أيضاً بقوم نزلوا في بني يربوع، فأخذ أموالهم وربط رجالهم حتى افتدوا أنفسهم فقيل في الأمثال «أغدر من عتيبة بن الحارث»[3].

وبنو منقر قوم غدر، ويرى صاب الأغاني أنهم من أسوأ خلق الله جواراً، وأن فيهم بخلاً شديداً، فضيفهم يبيت عرياناً مسلوباً، وهو يلقبون بالكوادن وأعراف البغال.[5]

وغدر بنو مجاشع بالزبير بن العوام عندما تخلوا عن اجارته فقتله عمرو بن جرموز وأخذ سيفه وفرسه وخاتمه.[6]

وغدر بنو كعب بن مالك بن حنظلة بالشاعر الايادي أبي دؤاد.[2].

وغدر السعديون ببني عبس، إذ بعد حرب داحس والغبراء نزل بنو عبس

(١) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٦١/٢.
الألوسي: بلوغ الأرب ٢٢/٢.

(٢) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١١٦/٢.
الوحشيات ٢٣١. وفي رواية أخرى كثر الضجاج وما منيت بغادر.

(٣) الميداني: مجمع الأمثال ١٩/٢.

(٤) الأصفهاني: الأغاني ٨٧/١٩.

(٥) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٦٧/١.

(٦) المصدر السابق نفسه ١١٤/٢.

في منازل بني سعد، فنظر السعديون إلى قلة عبس وإلى ظعنهم وكثرة أموالهم، فاجمعوا على الغدر بهم لكن عبساً تنبهت إلى ما يبيته السعديون فارتحلوا في المساء، ولذا قيل في الأمثال «أغدر من بني سعد».[1]

والغدر شائع في بني سعد إلا أنهم يتدافعونه إلى بني منقر، وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سنان بن خالد جد عمرو بن الأهتم.[2] وزعم أبو عبيدة أن قيس بن عاصم كان من أغدر العرب فقد جاوره تاجر فربطه إلى شجرة في بيته، وأخذ متاعه، وشرب خمره[3]. واعتدى أبنا أوس بن أزنم اليربوعي على ملك معه كسوة الكعبة فَقتلاه، وأخذا ما معه، حتى إذا كانت أيام الحجيج في منى، وبلغ الناس الخبر، غدرت العرب ببني تميم، وانتهب بعضهم بعضاً، وسمي العام بعام الغدر.[4] وغدر بنو قريع بن عوف بالزبرقان بن بدر عندما أخذوا منه الحطيئة الشاعر، وفازوا بمدائحه وهجائه للزبرقان.[5]

ويبدو لي أن الكثير من هذه الأخبار حمل على تميم وألصق بها، فاعتداء ابني أوس اليربوعي على ملك من العرب أمر غير مقبول، إذ لا يعقل أن يسير الملك دونما حماية ورعاية من فرسان قومه ورجالاتهم. ثم أن أمر حماية الأسواق كان بيد تميم فكيف تلجأ إلى الاعتداء والغدر وهي التي كانت تقاوم ذلك؟

وعتيبة بن الحارث كان من السادة الفرسان، والمحاربين الأشداء، فكيف يغدر عتيبة؟ والعرب تعير بالغدر.

بان الغدر قد علمت معد | على وجارتي مني حرام[6]

وعتيبة لا يخشى الفرسان فكيف يهاب الرجال؟ ألم يطلقوا عليه سمّ الفرسان وصيّاد الفوارس؟ وربْط قيس بن عاصم لتاجر الخمر في ساحة بيته،

---

(١) الميدان: مجمع الامثال ١٩/٢.
(٢) الأصفهاني: الأغاني ٨٧/١٤.
(٣) الميداني: مجمع الأمثال ١٨/٢.
(٤) ابن حبيب: المحبر ٧.
(٥) المبرد: الكامل في اللغة والأدب ٥٣٢/١.
(٦) أوس بن حجر: ديوانه ١١٥.

فقد حدث ذلك بعد أن شرب من خمرة التاجر ولعبت برأسه لكنه بعد أن صحا حرمها على نفسه.[1]

ويبقى من كل هذه الأخبار مالا ينفي الغدر في تميم، وأن شأنها شأن غيرها من القبائل والمجتمعات: فيها خصال ذميمة وفيها أيضاً خصال طيبة.

وعيّرت تميم بالفجور وقلة العفاف، فقد تردد صرد بن جمرة اليربوعي إلى امرأة أبي سواج الضبي، فاحتالت عليه مع زوجها وأسقته شراباً سيئاً انتفخ به بطنه فمات.[2]

وتردد مالك بن عمرو بن تميم إلى جندله بنت فهر امرأة حنظلة بن مالك ابن زيد مناة، وكانت امرأة خليقة جميلة، فخرجت ذات ليلة تسوي طنب بيتها فوقع عليها.[3]

وقلة العفاف والفجور قصص فردية، يلجأ إليها أفراد في سائر القبائل والمجتمعات إذ يتسللون تحت جنح الظلام، يأتون الفاحشة، ويدنسون الأثواب.

وحارب شعر تميم هذه العادات القبيحة، ودافع عن مكارم الأخلاق[4]، فأوس بن حجر يحرم الغدر بالجارات، والتسلل ليلاً لاختلاس المنكرات.[5]

بأن الغدر قد علمتْ معدّ عليَّ وجارتي منّى حَرامُ
ولستُ باطلسِ الثوبين يُصْبى حليلته اذا هَجَعَ النيام

وأشاد متمم بن نويرة بعفة أخيه مالك وطيب أخلاقه فقال:[6]

لا يضمر الفحشاء تحت ردائه حُلوّ شمائلُهُ، عفيفُ المئزر

ولتميم أندية معروفة، ومجالس مشهورة، يسمر فيها شيخ القبيلة ويلتقي

---

(١) د. المعيني: شعر بني تميم ١٤٣.
(٢) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/١٩٣.
(٣) المصدر السابق نفسه ١/٢١١.
(٤) انظر شعر الأخلاق في الدراسة الموضوعية.
(٥) أوس بن حجر: ديوانه ١١٥.
(٦) مالك ومتمم: شعرهما ٩٢.

عليها ساداتها وفرسانها ورجالها، وفي العادة تضرب للسيد خيمة كبيرة: فسيحة الأرجاء، تفرش بالبسط الفاخرة، وتطيب بالطيوب والزعفراس، وتكون مقراً لتلك الأندية والمجالس.

وفي هذا المقر تبحث القبيلة أمور حياتها، وتتم فيه مشاورات رجالها في مختلف أمورها، من سلم، وحرب، وحلف، وزواج، وصلح، ومعاهدة واحتفالات بالنصر، وأوامر بالرحيل، وفي مجالسهم يتم انشاد الشعر، وعرض الفصاحة، ويذكر سلامة بن جندل مجالس تميم التي يتقرر فيها أمر الحرب وفيها ينشد الشعر:[1]

يومان، يومُ مَقامات وأندية ويومُ سير الى الأعداء تأويبِ

والسيد الفارس يؤّم النادي في حالة السلم فقيس بن عاصم يحدث عن نفسه في الجاهلية فيقول: «لم أر إلا في خيل مغيرة أو نادي عشيرة».

ويكون في مجالسهم وعيد وتهديد وغضب وصخب فالأسود بن يعفر يحدّث عن مجالس قومه بني نهشل الذين تنكروا له ذات يوم.[2]

أحقا بنى أبناء سلمى بن جندلٍ وعيدُكُمُ اياي وسطَ المجالس

ويتنافرون في مجالسهم، فقد تنافر القعقاع بن معبد، وخالد بن مالك الى أكثم بن صيفي في أيهما أقرب الى المجد والسؤدد فقال أكثم «لست مفضلاً أحداً من قومي على أحد فكلهم سواء».[3]

وكانوا ييسرون في تلك المجالس فإذا اشتد الزمان وامتد الجدب الى الديار يَسَرَ الأغنياء فَأَكَلَ الفقراء وكان ضمرة بن ضمرة كثير الايسار والمقامرة حتى أنه يَسَرَ بماله كله ذات يوم[4]. والأسود بن يعفر قامر بني قيس بن ثعلبة فقمروه[5].

---

(١) سلامة بن جندل: ديوانه ١١٥.
(٢) الأسود بن يعفر: ديوانه ٤٢.
(٣) السجستاني: المعمرون ١٨.
(٤) الألوسي: بلوغ الأرب ٢٩٨/١.
(٥) الأغاني: ١٩/١٣.

وكانت العرب تمدح من يقامر ويأخذ بالقداح وتعيب من لا ييسر، وتسميه البَرِم فمالك بن نويره كان ييسر في الجاهلية:[1]

ولا بَـرِمـاً تهدى النسـاء لعـرسـه   اذا القشع من بـرد الشتـاء تقعقعـا

وعلقمة الفحل ييسر بخيله اذا دعا الأمر[2]:

وقـد يسرت اذا مـا الجوعُ كلّفـه   معقَّبٌ مـن قِـداح النبـعِ مقـرومُ
لـو ييسرون بخيـل قد يسرت بها   وكـل مـا يَسَـر الأقـوامُ مغـرومُ

وكانوا في مجالسهم ينهبون الملذات، ويعاقرون الخمور، ويشهدون حلبات الرقص، ويستمعون إلى أنغام المزهر وغناء الجواري.[3]

قد أشهد الشرب فيهم مِزْهَرٌ رَنِـمٌ   والقومُ تصرعهـم صبـاءُ خـرطـومُ

وأبعد من المجالس، كان فتيان القبيلة في بواكير الشباب العارم، يترددون على الحانات، ويعبّون من الصهباء، ويختلفون الى الغيد الحسان فالأسود بن يعفر يسّرح شعره، ويهندم زيه، ويمتطي حصانه الى حانة بالقاعة، فيلهو، ويعاقر الخمر، ويجالس الساقيات الفاتنات[4].

ولقـد أروح على التّجـارِ مـرجَّلا   مَـذِلا بمالي لينـا أجيـادي
ولقـد لهوت وللشبـاب لـذاذةٌ   بسُلافـةِ مـزجـت بماءِ غَـوادي
والبيض تمشي كالبدور وكالـدمـى   ونـواعـمٌ يمشين بـالأرفـاد

* * *

وظاهرة الوفود في تميم كما في غير تميم، فالقبيلة تختار وفودها من السادة وذوي الشرف فيها، فقد اشترك أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة في وفد القبائل الذي اختاره النعمان بن المنذر ممثلا للفصاحة العربية، وليكون رداً سريعاً على كسرى عندما تنقص من شأن العرب وهجّن أمرهم[5]. ووفد حاجب بن زرارة، على كسرى عندما طلب اليه أن يسمح لبني تميم باستخدام

---

(١) مالك ومتمم: شعرهما ١٠٧، البرم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، ومالك ليس من الذين تعطى نساء الحي زوجه لحماً في شدة البرد.

(٢) علقمة الفحل: ديوانه ٧٨.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٦٨.

(٤) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٩، الأغاني ١٣/١٩.

(٥) العمدة: ابن رشيق ٢/٢٢٠، وفي بلوغ الأرب للألوسي ١/١٥١.

المرعى في سواد العراق[1]، وتروي الأخبار أن أكثم بن صيفي وفد على بلاط المناذرة معزياً بوفاة أخي عمرو بن هند[2]، ومرة أخرى في وفدٍ استشفع لأسرى بني تميم[3]. ووفد علقمة الفحل في جماعة من تميم الى بلاط الغساسنة مستشفعاً في أخيه شأس، وأسرى بني تميم[4]. ويقال إن كثيرين من رجالات تميم وشعرائها وفدوا على المناذرة، ومنهم: نهشل بن دارم، ومجاشع بن دارم، وزرارة بن عدس، وقيس بن عاصم، والأقرع بن حابس، وأوس بن حجر وغيرهم[5]، ووفد عتيبة بن الحارث على بني بكر بن وائل لفلك أسرى تميم[6]. وفي الاسلام تكّون وفد تميم من رجال امتازوا بالشرف والسيادة وبالشعر والخطابة ومنهم: قيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، والزبرقان بن بدر، وعطارد بن حاجب، والأقرع بن حابس وغيرهم.[7]

وبعد فلسنا نريد أن ندوّن تاريخاً لحياة تميم الاجتماعية، فنحن ندرك ان قبيلة ضخمة كتميم تضم، غير ما ذكرنـــا، فئات من صنوف المجتمعات كاللصوص، والشذاذ، والخلعاء، والفقراء، والمستجيرين، وآخرين ممن قعدت بهم هممهم عن بلوغ مكانة رفيعة في ظلال القبيلة، ولكننا أردنا أن ندرس القبيلة دراسة مميزة تجمع سمات موحدة لبطونها وعشائرها، وتبرز خصائص مشتركة لفئات مجتمعها، فانتهينا الى أن مجتمع تميم مجتمع سيد في حربه وشعره وسجاياه، وبذلك نقف - بحذر - من الدراسات التي أظهرت مجتمع تميم بأنه مجتمع البدو الذين يتخطفون الناس، ويعتدون على التجارة، ويتزعمون الفتن، وينهبون الأموال[8]، كيف نقبل بهذا؟ وقد رأيناهم أصحاب رياسة حربية

---

(١) الألوسي: بلوغ الأرب ١٢٤/١.
(٢) السجستاني: المعمرون والوصايا ١٤.
(٣) انظر شعره في شعر بني تميم ٤٧٥
(٤) علقمة الفحل: ديوانه ٤٨.
(٥) انظر نسب تميم.
(٦) انظر شعره في شعر بني تميم ٢٠٣
(٧) ابن سعد: الطبقات ١١٨/١.
(٨) د. نعمان طه: جرير حياته وشعره. ص ٨٢.

وشعرية في المواسم والأسواق، تلك الرياسة التي أقرّتها لهم القبائل، ثم أن في تميم معارف لا يجوز تجاهلها، أو تجاوزها، تدفع عنهم ما يفسده بعض أفرادها وأرهاطها.

وتظل تميم في دراستنا هذه قبيلة لها الرياسة في الحرب والشعر والأمن ويظل مجتمعها مجتمع هذه القبيلة.

الحياة الأقتصادية

تتوزع الحياة الاقتصادية في تميم أمور كثيرة في مقدمتها: المرعى والحرب، والتجارة، وعرفنا أن تميماً قبيلة رعوية، ذات مراع وماشية، والتميميون محاربون أشداء، يغنمون في أيامهم وحروبهم، وقد أصابوا منها ثراء ومالاً وفيراً ولم تترك لهم تلك الحروب والأيام فرصاً لأعمال تجارية أو زراعية أو صناعية واسعة، لكنهم عملوا في النواحي التجارية فما هذه الأعمال؟ وكيف كانت تجارتهم؟

امتازت بلاد تميم بموقع تجاري هام على طرق القوافل التجارية البرية بين فارس والحيرة، واليمن وقلب الجزيرة، والحجاز والبحرين، وهذا الموقع أبرز عاملين هما: الأول حراسة القوافل، والثاني محطات تلك القوافل.

وكانت تميم تجاور قبائل تمرست في التجارة كعبد القيس في البحرين[1]. ولم تكن بعيدة عن مكة مركز قريش التجاري، فلا بد لها من ارتياد تلك المراكز شرقاً وغرباً، والتعامل معها، وهذا عامل ثالث في تجارة تميم.

والأخبار تنقل الينا أن بلاد فارس كانت تتاجر مع اليمن، وأن كسرى «أنو شروان» أرسل عيراً إلى عامله هناك تحمل نبعاً وأسلحة[2]، وكانت العير تبذرق من المدائن الى الحيرة، ثم يبذرقها النعمان حتى تصل إلى هوذه الحنفي في اليمامة، ثم تدفع الى بني تميم، وتجعل لهم جعالة فيوصلونها الى اليمن، فأراد هوذة الحنفي أن يلغي دور تميم لتكون الجعالة له، واتفق مع الأساورة الذين يرافقون القافلة على ايصالها الى اليمن.

وعندما وصلت العير الى نطاع[3] عرفت تميم ما صنعه هوذه، فساروا الى

---

(١) الأحسائي: تحفة المستفيد ١/٦٠.

(٢) جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية ص ٢.

(٣) نطاع: واد نخيل ومياه لبني مالك بن سعد، وقيل ماء في بلاد بني تميم دون تخصيص بطن منهم، وقيل أيضاً أنها قرية من قرى اليمامة. وهي ركية عذبة غزيرة المياه «معجم البلدان ٨/٢٩٦».

العير وانتهبوها، وقسموا ما أخذوه بينهم: وقتلوا قسماً من الأساورة، وأسروا هوذه الحنفي، وبعد لأى فدى هوذه نفسه، ومضى إلى كسرى، وأخبره بما حدث، وأشار عليه أن ينتقم من بني تميم فكان يوم المشقر ويوم الصفقة.

وفي رواية أخرى[1] أن باذام عامل كسرى على اليمن أرسل لطيمة تحمل ثياباً ومسكاً وعنبراً وطرفاً واموالاً الى كسرى وبعث فيها خفراء، وعندما وصلوا الى «الحمض» من بلاد بني حنظلة أغار عليها التميميون، وانتهبوها، وكان فيهم ناجية بن عقال المجاشعي، وعتيبة بن الحارث اليربوعي، وجزء بن سعد، وقعنب بن عتاب، والنطف بن جبير، وأسيد بن حناءه، وعبدالله بن الحارث وغيرهم من تميم، وصار أصحاب اللطيمة الى هوذه الحنفي فكساهم وحملهم الى كسرى، فأعجب به كسرى وعقد تاجه على رأسه.

ونستنتج من هذه الأخبار بالرغم من تعدد رواياتها أن بني تميم كانوا يتولون حراسة القوافل التجارية، وهي تعبر الطرق التجارية المعروفة، والتي تمر في بلادهم وديارهم، وحسب الرواية الأولى فإن حراسة تميم لهذه القوافل تكون في منطقة تمتد بين اليمامة واليمن، وتستعين القبيلة بأدلاء مهره، ورجال أشداء في خفارة القوافل.

وكانت القوافل تستريح في محطات تجارية معروفة في بلاد تميم، ومنها «نطاع» كما تقول الرواية الأولى «وحمض» كما في الرواية الأخرى.

وكان لتميم جعالة وأجر على دورها في حراسة القوافل، ولم تقبل الغاء هذا الدور من قبل هوذه الحنفي، وتعاونه مع الذين يقودون القافلة فحدث ما حدث من أمر النهب والقتل والأسر.

ولم تكن تميم خاضعة لنفوذ فارس أو لسيطرة المناذرة، وإنما هي تبذرق التجارة كما يفعل أصحاب النفوذ، وهي لم تتردد في نهب قافلة كسرى عندما

---

(١) الأصفهاني: الأغلاني ٢٣٧/١٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٦٩/٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٦٨/١. ابن عبدربه: العقد الفريد ٢٢٤/٥.
الحمض: واد قريب من اليمامة وقيل الحمض في شرق الدهناء وهو منهل ماء وفيه قرية وعليه نخيلات لبني مالك بن سعد «معجم البلدان ٣٤٢/٣».

فكر الفرس في الغاء دورها والأعتداء على نصيبها من البذرقة. فتميم قبيلة ذات قوة حربية، وهي صاحبة السيادة في ديارها ومنازلها، ولها ـ دون سواها ـ أمر البذرقة في أراضيها.

وإلى جانب هذا الطريق التجاري بين فارس واليمن، عرفت ديار تميم طرقاً تجارية أخرى من المراكز التجارية التي تمر بها فقد كانت البحرين بزعامة قبيلة عبد القيس تتاجر مع الحجاز واليمامة وغيرها وتصدر إلى تلك المناطق المنسوجات القطرية، والملاحف، والطيوب الهندية، والاسلحة، وتمر بالدهناء من منازل تميم.[1]

وكانت البحرين تتاجر مع العراق، وتمر تجارتها بالأجواف، والستار، وطويلح، وثيتل، والسيدان، وكاظمه، وغيرها. وكلها من منازل تميم في الجاهلية[2]

ولطائم النعمان في طريقها من الحيرة إلى عكاظ والحجاز لا بد لها من المرور في منازل تميم.[3]

وهذا المرور التجاري من اليمن وفارس والحيرة والبحرين والحجاز وبصرى وغير ذلك هو الذي جعل تميماً تقوم بالدورين البارزين اللذين أشرنا إليهما وهما: حراسة القوافل وحمايتها، وتقديم الخفارة المناسبة، والأدلاء الخبيرين بمسالك الطرق، والأمر الثاني تلك المحطات المشهورة في تميم: كنطاع والحمض والستار وطويلح وغيرها، وتقوم تلك المحطات بتقديم ما يلزم القوافل التجارية من راحة وطعام وشراب وتبادل تجاري وغير ذلك.

وندرك أن هذين العاملين كانا يتطلبان قوة حربية، ومكانة عسكرية، وهو أمر ربما يتوفر لتميم أكثر من سواها من القبائل.

---

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب ١٣٦. المسلم: ساحل الذهب الأسود ١٧١، ابن سعد: الطبقات ١٦/١.
(٢) لغدة: بلاد العرب ٣٤٤. البكري: معجم ما استعجم ٧٧١.
ياقوت: معجم البلدان ٥٠٧/١.
(٣) الأفغاني: أسواق العرب ٧١. والأغاني ٧٥/١٩.

الأسواق التجارية:

توسطت تميم بموقعها أسواق العرب ذات النفوذ الأجنبي كالبحرين، وذات النفوذ العربي كعكاظ[1]، وقد عرفنا أن رياسة عكاظ كانت لتميم، فقد اجتمع الموسم والقضاء في عكاظ لتميم أيام الجاهلية، وكان فيها ثمانية رؤساء بدايتهم سعد بن زيد مناة وآخرهم الأقرع بن حابس.[2]

وكانت السوق متجر الناس، ومقر عقودهم، ومكان بيعهم، وتبادل سلعهم ومقايضة بضاعتهم، ثم هي مرتاد رؤسائهم، ومنتجع قبائلهم، وعشائرهم، للفخر والمباهاة، والمصالحات، والثارات، والأحلاف. وإلى جانب هذا تكون السوق منبراً للخطابة، وموقعاً للفصاحة، ومهرجاناً للشعر.

فالسوق تضم النواحي التجارية، والاجتماعية، والأدبية، والفكرية، أما الناحية الأدبية والشعرية فكانت تميم ترأسها، وكان رؤساؤها من الشعراء وأرباب الفصاحة والبيان فيها.[3]

وأما الناحية الأجتماعية فتميم ترأس القضاء وتفصل في كثير من المنازعات والمظالم والمصالحات.[4]

ويذكر المرزوقي أن القاضي الذي يلي أمر السوق كان له ثلاثة أيام: يوم ينشد الناس شعراً، ويوم يحكم فيه بينهم، ويوم يقعد فيه يستقبل الزوار.[5]

وأما التجارة فلم يكن لتميم باع فيها، فهي ليست متاجرة ولم يكن التميمون تجاراً وإنما كانوا يقومون بحماية أرواح الناس في السوق، وخفارة الأمتعة،[6] وأماكن البيع، والسلع التجارية، نظراً لمكانتهم العسكرية وقوتهم وشأنهم.

---

(١) الأفغاني: أسواق العرب ١٨٦، المرزوقي: الأزمنة والأمكنة ١٦٨/٢.
(٢) ابن حبيب: المحبر ١٨١.
(٣) انظر الحياة الاجتماعية للقبيلة.
(٤) انظر الحياة الاجتماعية للقبيلة.
(٥) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة ٢٧٤/٢.
(٦) المصدر السابق نفسه ١٦٧/٢.

ومن هنا نستطيع أن نقول أن تميماً كانت لها رياسة الناحية الأدبية والحكم على الشعر، ورياسة القضاء في الناحية الاجتماعية ورياسة الأمن في مجالات الخفارة والحراسة والحماية.

ولذا روت الأخبار أنّ رياسة الموسم والقضاء في عكاظ اجتمعت لتميم.[١]

أما الأسواق التجارية في منطقة البحرين فأهمها هجر، والمشقر، والجرعاء والزارة، ودارين، وثاج، وكاظمة، وغيرها.

وتذكر الأخبار أن سوق هجر كانت بزعامة المنذر بن ساوى أحد بني عبدالله بن دارم بن تميم، وأنه كان يعشّر التجارة ويلي أمر الناس في السوق[٢] كما تذكر بعض الروايات الأخرى أن تميماً كانت ترتاد أسواق هجر، والمشقر، للميرة واللقاط[٣]. فإذا وردت إبلهم بالميرة كثر عندهم الحنطة والتمر[٤]، وفي الأخبار كذلك أن الفرس كانوا يسيطرون على أسواق البحرين وعمان وهجر والحيرة.[٥]

ويقول الأفغاني أن سوق المشقر تجاورها قبائل العرب من تميم وعبد القيس، وجميع من يقصدها لا يستغني عن الخفارة والحراسة وكان ملوك هذه السوق من بني دارم[٦]. ومن منازل تميم عرفنا أن فيها أسواقاً كالجرعاء وثاج وكاظمة وغيرها.[٧]

وأمام هذه الأخبار والروايات نتساءل: ما دور تميم في هذه الأسواق التي كانت على أرض البحرين؟ أرأست تميم هذه الأسواق أو بعضاً منها كما هي الحال في عكاظ؟ ام كانت ترتادها للمتاجرة والميرة؟ ثم أكانت ذات أسواق

---

(١) انظر الحياة الاجتماعية للقبيلة.
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٦٨/١.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩٨٥/٢، وابن الأثير ٤٦٨/١ وفي الأغاني ٧٦/١٦.
(٤) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٢/١.
(٥) الأحسائي: تحفة المستفيد ٣٥/١.
(٦) الأفغاني: أسواق العرب ٦٧.
(٧) الأصفهاني: صفة جزيرة العرب ١٣٧.
لغدة: بلاد العرب ٣٢١.

خاصة بها؟ أم تشترك مع غيرها من القبائل في الأسواق؟ وأيضاً ما دور الناحية الأدبية؟ ومن كان يتزعمها؟

والذي نراه أن دور تميم في هذه الأسواق أيضاً كان دور الرياسة لكنها ليست رياسة الناحية التجارية، وإنما رياسة الأمن والخفارة والحراسة فتلك ناحية هامة في أسواق البحرين كما في عكاظ ويبدو أنها أسندت لتميم القبيلة القوية.

أما رياسة الناحية التجارية وأدارتها فكانت لعبد القيس تجار البحرين وأصحاب رؤوس الأموال فيها، وكانت لهم أسواقهم الداخلية والخارجية، وتجارتهم البرية والبحرية، وكانت عبد القيس تمون أسواق الجزيرة العربية بالمواد الغذائية، وتصدر إليها الأسلحة والملابس وتحمل إليها الطيوب[1].

وهذه الرياسة التجارية للعبديين، لا تتنافى والأخبار التي تجعل للفرس مجال السيطرة على أسواق البحرين، فتلك سيطرة لم تكن إلا اسمية، إذ ليس لها ما يدعمها، ولم تكن بلاد عبد القيس خاضعة للنفوذ الفارسي، في أغلب الأحيان، بل ليس للفرس سيطرة فعلية إلا في حصن المشقر الذي كان لهم فيه حامية فارسية.[2]

أما المنذر بن ساوى فهو عبدي[3] وليس تميمياً، ولكننا لا نستبعد أن يكون قد استعان ببني دارم من تميم في حراسة السوق لقوتهم الحربية[4] ولذا كانت تميم تفد إلى أسواق البحرين للميرة وشراء الأسلحة في ظل هذه الحراسة التي يتزعمها بعض بطونها.

وأما الناحية الأدبية فسوق عكاظ كانت تستأثر بها أكثر من أي سوق سواها، فأسواق البحرين أسواق محلية، وأما عكاظ فسوق جامعة، تؤمها

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٣٨٢.
(٢) انظر الحياة التجارية في شعراء عبد القيس «جمع وتحقيق ودراسة» ٨٦
(٣) ابن حبيب: المحبر ٢٦٥.

القبائل العربية القريبة منها والبعيدة عنها، ويشهدها كل العرب ففيها شعر، وأدب، وتجارة، وقضاء، وأحكام، وغير ذلك من شؤون العرب وحياتهم آنذاك.

وهكذا نرى أن قبيلة تميم لم تكن متاجرة، وإنما هي تختص برياسة الأمن، وحماية الأرواح في طرق التجارة وأسواقها، أما الرئاسة التجارية فكانت لقريش في عكاظ، وللعبديين في البحرين.

الحياة الدينية

توزعت عرب الجاهلية أديان شتى، فالوثنية تؤله الأصنام، وتعبد الأشجار والاحجار، والدهرية تنسب التصرف في المخلوقات إلى الدهر، والمجوسية تعبد النار، والنصرانية لها تعاليمها، واليهودية تسير على تعاليم موسى في التوراة بعد تشويه وتبديل، والحنيفية ترتد إلى تعاليم ابراهيم الحنيف.

فأين تقف ديانة تميم؟ وإلى أي من هذه الأديان تتبع؟ هل انفردت بدين واحد من تلك الأديان؟ أم توزعتها أديان شتى كما توزعت تلك الأديان عرب الجاهلية؟

وقبل أن نمضي في محاولة الاجابة، ومعرفة عقيدة تميم، والديانة التي كانت عليها، نقف عند آراء المؤرخين، والباحثين في أديان العرب.

فاليعقوبي[١] حين يتحدث عن الوثنية يضم تميماً اليها، ويضعها مع فئات الحلة، ويورد تلبيتها التي امتازت بها بين القبائل الاخرى، ويوافق ابن حبيب[٢] اليعقوبي في أن تكون تميم وثنية، ويذكر أصناماً لها.

أما الشهرستاني[٣] فيجعل تميماً في عداد الحنيفية، والجاحظ[٤] يجعل قبائل مضر وثنية على دين العرب، فلم تغلب عليها النصرانية أو المجوسية، أو اليهودية، وابن قتيبة[٥] يذكر المجوسية في تميم ويقول: «كانت المجوسية في تميم ومنهم زرارة بن عدس وابنه حاجب بن زرارة، وقيل بأنه تزوج ابنته، ثم ندم ومنهم الأقرع بن حابس».

والبكري[٦] يرضى أن تكون تميم وثنية فهي تعبد الصنم عبد نهم، وابن

---

(١) اليعقوبي: تاريخه ١/٢٩٦.
(٢) ابن حبيب: المحبر ٣١٦.
(٣) الشهرستاني: الملل والنحل ٣/٣٣٣.
(٤) الجاحظ: رسالة الرد على النصارى ١٥.
(٥) ابن قتيبة: المعارف ٢٦٦.
(٦) البكري: سمط اللالي في شرح أمالي القالي ١٢٢.

قتيبة[1] يقبل أن يكون عدي بن زيد أشهر الشعراء المسيحيين، ولويس شيخو[2] ينصّر تميماً، ويضمها إلى القبائل النصرانية.

وأمام هذه الروايات نتساءل ما منطلقات تميم الدينية؟ وما عقيدتها؟

والأمر عندنا أن تميماً كانت تدين بالوثنية عقيدة لمعظم بطونها، وعشائرها، وأفرادها لأسباب كثيرة أهمها:

اتفاق أكثر الروايات على أن تميماً وثنية كما أورد اليعقوبي وابن حبيب، والجاحظ، والبكري.

ووردت إشارات للاوثان عند تميم، فأوس بن حجر يحلف باللآت والعزى[3]، والأسود بن يعفر يقسم باللات[4]، وسلامة بن جندل يذكر الأنصاب[5]، وعتيبة بن الحارث، والأقرع بن حابس يحلفان بالأصنام[6]، وأوس بن مغراء يحدث عن الافاضة في الجاهلية[7].

وذكر الاخباريون أسماء الأصنام التي كانت تعبدها ومنها:

الصنم رضا: وكان له بيت يقوم على سدنته بنو ربيعة بن كعب بن زيد مناة ابن تميم بن مر[8]، وبقي قائماً حتى جاء الإسلام، وقيل ان الذي هدمه المستوغر بن ربيعة وقال[9]:

ولقد شددت على رضاء شدة　　فتركتها تلا تنازع اسحما

الصنم شمس[10]: وكان له بيت تفد اليه تميم فتعظمه وتعبده، وكان بنو أسيّد، ومنهم بنو أوس بن مخاشن بن شريف بن جردة بن أسيّد بن عمرو

(1) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٧٦.
(2) لويس شيخوا: النصرانية وآدابها ١٢٦.
(3) اوس بن حجر: ديوانه ٣٦.
(4) الأسود بن يعفر: ديوانه٢٣.
(5) سلامة بن جندل: ديوانه ٩٨.
(6) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٧٠، ١/١٢٨.
(7) د. المعيي: شعر بني تميم ٩٧.
(8) ابن الكلبي: الأصنام ٣٦.
(9) د. المعيني: شعر بني تميم ٤٤
(10) صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ١٨٧. ويسميه عبد شمس

ابن تميم سدنته[1]، وكانت تعبده مع تميم قبائل أد كلها وهي ضبه، وعدي وثور وعكل[2]، وسمّت تميم عبد شمس باسم هذا الصنم[3] وكانت التلبية عنده «لبيك اللهم لبيك، ما نهارنا نجره، ادلاجه وحره وقره، ولا نتقي شيئاً ولا نضره، حجا لرب مستقيم بره[4]»

وكسّره في الإسلام هند بن أبي هالة وسفيان بن أسيّد بن صلصل بن أوس بن مخاشن من بني أسيّد[5].

الصنم نهم: صنم عبدته تميم، وكان من أصنامها في الجاهلية ويقول ابن حبيب[6] «إن تميماً كلها كانت تسمى في الجاهلية عبد نهم، ونهم صنم كانوا يعبدونه» ويذكر البكري[7] «أن هذا الصنم «نهم» اسم رجل من تميم، وعبد نهم هم رهط عبده بن الطيب».

وقال أبو عبيدة[8] مؤيداً ابن حبيب «تميم كلها في الجاهلية تسمى عبد نهم» أما صاحب الأغاني[9] فيقول ان الصنم «تيم» بدلاً من نهم وان قبائل أخرى عبدت هذا الصنم مع تميم وهي الرباب.

الصنم مناة: شاركت تميم سائر قبائل مضر في عبادة هذا الصنم الذي كان على هيئة صخرة كبيرة منصوبة قرب مكة، وكانت العرب جميعاً تعظم مناة، وتذبح حولها، وتحج اليها، وكانت مراسيم التعظيم عند مناة تجري بعد عرفات ومنى، وسمّى تميم - جد القبيلة - ولده «زيد مناة» باسم هذا الصنم لمكانته عند تميم وسائر مضر[10].

---

(١) اليعقوبي: تاريخه ١/٢٢٥.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) انظر انساب تميم.
(٤) ابن حبيب: المحبر ٣١٦.
(٥) ياقوت: معجم البلدان ٣/٣٦٢.
(٦) البكري: سمط اللالىء ١٢٣.
(٧) البكري: معجم ما استعجم ١/١٢١.
(٨) المصدر السابق نفسه، وابو عبيدة في النقائض ١/١٢٨.
(٩) الأصفهاني: الأغاني ٢١/٢٥.
(١٠) ابن دريد: الإشتقاق ٢١٧ وابن الكلبي: الأصنام ١٦، ٦٢، وفي معجم البلدان ٤/١١٦.

الصنم سعد: وكسائر القبائل العربية عبدت تميم الصنم سعداً وسمى زيد مناة ولده باسم هذا الصنم[1].

ذات الودع: يبدو أنه أحد الأصنام التي عبدتها تميم[2]، وذكره الشاعر عدي ابن زيد[3]:

كلا يمينا بذات الودع لو حدثت فيكم وقابل قبر الماجد الزارا

ذو الكعبات: وهو بيت ضم أصناماً عبدتها تميم وقبائل أخرى من ربيعة وذكره الأسود بن جعفر[4]

أهل الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ والبيتِ ذي الكعبات من سنداد

وعبدت تميم أصناماً أخرى، وعظمتها كسائر عرب الجاهلية. مثل «ود وفلس. واللات والعزى» وغيرها. فقد ورد في منافرة جرير البجلي وخالد الكليبي من تميم ان خالداً قال كفيلي «ود ومناة وفلس ورضا» وهي من أصنام تميم وفي نفس المنافرة قال الأقرع بن حابس. وكان يومها في الجاهلية ـ لخالد التميمي «واللات والعزى لو فاخرت قيصر الروم وكسرى عظيم فارس، والنعمان ملك العرب، لنصرتك عليهم»[5]

وقال عتيبة بن الحارث اليربوعي لبسطام بن قيس بعد أن أسره في يوم أعشاش[6] «أما واللات والعزى لا أطلقك حتى تأتيني أمك بحملها وحدجها».

وكانت تميم تطوف بالأنصاب والأصنام، وتدور حولها، وتذبح عندها[7] ففي مواسم الحج تفد إلى أصنامها، وتقدم القرابين اليها، وتلبي حولها[8]

---

(١) ابن الكلبي: الأصنام ٣٦.
(٢) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٨٥/٦.
(٣) عدي بن زيد: ديوانه ٥٣.
(٤) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٧ وفي رواية أخرى والقصر ذي الشرفات من سنداد.
(٥) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٢٨/١.
(٦) المصدر السابق. ٧٠/١.
(٧) ابن الكلبي: الأصنام ٣٣.
(٨) اليعقوبي: تاريخه ٢٩٦.

« لبيك اللهم لبيك، لبيك عن تميم تراها، فقد أخلقت أثوابها، وأثواب من وراءها، وأخلصت لربها دعاءها».

وتولت تميم إجازة الحجيج في الافاضة من مكان إلى آخر بعد قضاء المناسك وتولى هذه الإجازة فيها بنو سعد بن زيد مناة وكانت في بني صفوان ابن شجنة[1]

وأشار إلى ذلك شاعرهم أوس بن مغراء[2]:

ولا يريمونَ في التعريف موقفهم   حتى يقال أجيزوا ال صفوانا
مجد بناه لنا قدما أوائلنا   وأورثوه طوال الدهر أخرانا

ومن تلك الروايات ندرك أن تميماً قبيلة وثنية كسائر القبائل المضرية ولكن أكانت كلها وثنية؟ أم أن بعض عشائرها، وقليلاً من أفرادها توزعتهم أديان أخرى كالمسيحية والمجوسية والحنيفية وغيرها؟ ونمضي إلى هذه الديانات لنرى أثرها في هذه القلة من تميم.

النصرانيـــة:

روت الأخبار أن النصرانية كانت شائعة في نجران[3]، ومتفشية في عرب الغساسنة والمناذرة، وعرفت هذه الديانة قبائل عربية من بينها ربيعة وقضاعة وعاملة وتغلب وكلب وجذام وأياد[4]. فتميم ليست بين هذه القبائل، والمؤرخون لا ينسبون النصرانية اليها، لكن الجاحظ يذكر في عبارة صريحة أن النصرانية لم تفش فيها إلا ما كان من قوم نزلوا الحيرة يسمون العبّاد، فانهم كانوا نصارى[5]، وإذا ما علمنا أن عدي بن زيد كان من هؤلاء، أمكننا أن ندرك أن العباد قوم عـــدي، هم الذين تنصروا من تميم:

وكنا نكتفي بتنصير هؤلاء القوم أو بعضهم لولا أن جواد علي[6] بذكر

(١) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٥٤/٢.
(٢) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة ١٦٩/٢ وانظر شعره في بني سعد.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١١٩/٢.
(٤) اليعقوبي: تاريخه ٢٩٨/١، وفي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩١/٦.
(٥) الجاحظ: رسالة الرد على النصارى ١٥.
(٦) دكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦٢٣/٦

أن النصرانية كانت في اليمامة وقراها وقبائلها، وأن بني امرىء القيس بن زيد مناة قد اعتنقوا هذه الديانة لأن قراهم قريبة من اليمامة، ومن هذا أصبح في وسعنا أن نضيف قسماً آخر من تميم إلى النصرانية، فهل ثمة من آخرين في تميم تنصروا؟ أما لويس شيخو[1] فيدخل في عداد شعراء النصرانية سبعة من تميم، خمسة قبل الإسلام هم: عدي بن زيد، وأوس بن حجر، وسلامة بن جندل، والأسود بن يعفر، وعلقمة الفحل، واثنين بعد الإسلام هما: اكثم بن صيفي والزبرقان بن بدر.

فنحن الآن أمام ثلاثة أقسام من تميم أدخلت النصرانية، القسم الأول وهم عباد الحيرة ومنهم عدي بن زيد العبادي، والقسم الثاني أحد بطون القبيلة، وهم بنو امرىء القيس بن زبد مناة، والقسم الثالث شعراء من تميم.

فماذا نفعل؟ أنسلّم بهذا ونقرر إدخالهم جميعاً النصرانية؟ أم نكتفي بإدخال بعضهم فيها؟ ثم هل في إمكاننا أن نقول بأن هؤلاء جميعاً لم يتنصروا وإنما حمّلوا من النصرانية ما لم يحمّلوا؟

أما القسم الأول وهم العباد الذين سكنوا الحيرة، فهل كانوا كلهم نصارى بحكم هذه المنازل؟ أم أن أشهرهم الشاعر عدي بن زيد هو الذي تنصر فقيل أن أمه وأباه وأهله وقومه قد تنصروا؟

ابن قتيبة[2] يرى أن أشهر شعراء المسيحية في الجاهلية عدي بن زيد، والأصفهاني[3] ينصّر عدياً لأنه تردد على دور العبادة النصرانية في المواسم والأعياد، وآخرون ينصرونه لأنه ذكر الصليب والكنيسة، وغيرهما من الإشارات النصرانية فقال:[4]

سعى الأعداء لا يألون شراً   إليكَ وربِ مكةَ والصليبِ
بزجاجةٍ ملْ اليدين كأنها   قنديلُ فصحٍ في كنيسةِ راهبِ

(١) شيخو: شعراء النصرانية ١/٤٩٣، ١/٤٧٥، ١/٤٨٦، ١/٤٩٨، ٢/١٠، ٢/٩٢.
(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/١٧٦.
(٣) الأصفهاني: الأغاني ٢/١١١.
(٤) المصدر السابق نفسه ٢/١٣٤، والالوسي في بلوغ الأرب ٢/٢٨٨.

ومحمد علي الهاشمي[1] يجعل ديانة عدي مزيجاً بين الوثنية العربية والنصرانية الخالصة، وليت الأمر يقف عند هذا الحد، وإنما نجد الجاحظ الذي أدخل العباديين في عداد النصرانية يزعم أن عدي بن زيد من الموحدين في قصيدته اللامية[2].

ونجد أنفسنا في حيرة من أمر عدي بن زيد، فهو نصراني تارة، وتارة أخرى موحد، وثالثة بين الوثنية والنصرانية، وماذا أيضاً؟

عندما مضينا نفتش عن أثر النصرانية في أشعاره وجدنا عجباً، فلم يرد من هذه الديانة عنده سوى هذه الكلمات، الصليب، الفصح، الكنيسة، الراهب، النصارى[3].

ووجدنا كلمة الله وكلمة رب تترددان كثيراً، رب قريب مستجيب، رب مفضل، وثقت ربي، ربي، رب، ربها، تقى ربك، لم ينهه ربه، والحمد لله، وظن بالله، ولدى الله، وعون الله، ورحمة الله، وكتاب الله، وعند الله، وان الله، وخصه الله، وفرق الله، وان يشأ الله، وفلاطها الله، ويأبى الله، ورب الحل والحرم، والمسبح الخلاّق، وذو العزة[4].

ونتساءل كيف يكون عدي نصرانياً ولم ترد من هذه الديانة عنده سوى بضع كلمات؟ وبماذا نفسر ورود كلمات الله، ورب، والأسماء الحسنى الأخرى أكثر من ثلاثين مرة في أشعاره؟

وماذا يعني ورود كلمة «الدهر» عنده أكثر من عشرين مرة، خمس منها في قصيدة واحدة[5] ويبقى أمامنا سؤال آخر: كيف وصل عدي إلى هذه المنزلة الرفيعة عند الفرس أصحاب الديانة المجوسية وهو نصراني؟

---

(١) محمد علي الهاشمي؛ عدي بن زيد العبادي ٦١.

(٢) الجاحظ: الحيوان ٤/١٩٧.

(٣) عدي بن زيد: ديوانه ١٨٨.

(٤) عدي بن زيد ديوانه: ٤١، ٦٢، ٩١، ٩٢، ٩٤، ١٥٩، ٥٢. ٥٥. ١٤٧. ١٦٣. ٩٣. ١٣٨. ١٥١، ١٦٠، ١٧١، ١٥٠، ١٣٤.

(٥) المصدر السابق نفسه: ٦٤.

والإجابة على هذه التساؤلات أمر بالغ الصعوبة، وقد يجوز لنا أن نقول أن عدياً تأثر بالنصرانية وقرأ تعاليمها، وأعجب بها، ولكنه لم يكن نصرانياً، ومشاركته في الأعياد والاحتفالات، وتردده على دور العبادة، وورود إشارات وكلمات للنصرانية في شعره، لا تنهض أدلة قوية تثبت أمام التقصي والبحث الدقيق.

ويتجلى الجانب الديني عند عدي في مواعظه، وسبحاته الروحية، وتأملاته الإنسانية، فقد عرف الكثير من أمور الدهر والحياة، وتأمل في أحوال الإنسان، ومصيره المحتوم في نهاية رحلة الحياة، فآلمه وأفزعه هذا المصير وقال:[1]

أيـن أيـن الفـرار مما سيـأتي   لا أرى طـائـراً نجا ان يطيرا

أما القسم الثاني وهم بنو امرىء القيس فقد أدخلوا النصرانية لقرب منازلهم من اليمامة، واذا ثبت أن اليمامة كانت نصرانية، وليس في أيدينا أخبار تثبت هذا أو تدعمه، فلا يعني انتشارها بين بني امرىء القيس، ذلك لأن قرب المنازل، أو بعدها، ليس دليلاً أكيداً على حمل شعار النصرانية. ثم كيف تكون النصرانية قد انتقلت إلى اليمامة من المراكز التي يقول المؤرخون بوجودها فيها، وهي فعلاً بعيدة كل البعد عن المراكز الجنوبية في نجران، والشمالية في الحيرة؟ وكيف وصلت اليها، قبل أن تصل إلى قبائل أو بطون أخرى من تميم؟ الأمر الذي نستبعده ونستبعد تنصير بني امرىء القيس تبعاً لذلك.

أما القسم الثالث وهم شعراء من تميم فقد أدخلهم شيخو في النصرانية للإشارات الشعرية عندهم أو لترددهم على بلاط المناذرة أو وفود بعضهم ـ على الأقل ـ إلى الحيرة، أو إلى بلاط الغساسنة.

فأوس بن حجر يذكر عيد الفصح الذي يحتفل به النصارى، فيوقدون المشاعل، ويضيئون الكنائس بالقناديل والمصابيح ويقول:[2]

---

(١) المصدر السابق نفسه: ٦٥.

(٢) أوس بن حجر: ديوانه ٨٤.

عليه كمصباح العزيز يشبه   لفصح ويحشوه الذبال المفتلا

والأسود بن يعفر يذكر نبراس الراهب فيقول:[١]

وفاقدِ مولاهُ اعارت رماحنا   سناناً كنبراسِ النهاميّ منجلا

وعلقمة وفد على الغساسنة وذكر الروم النصارى في قوله[٢]:

يوحى اليها بانقاضٍ ونقنقة   كما تَراطَنُ في أفدانها الروم

وهذه الإشارات الشعرية إلى الطقوس النصرانية لا تعدو النواحي الفنية وهي ليست دليلاً على عقيدة دينية آمن بها هؤلاء الشعراء أو غيرهم، وإنما نواح فنية لا تعني أكثر من مجرد التشبيه والوصف، وهذا ما يستخدمه الشعراء في مجالات الرؤيا الشعرية.

واذا استثنينا عدياً من شعراء النصرانية عند لويس شيخو يتبقى لدينا ثلاثة شعراء من تميم غير الذين ذكرناهم: سلامة بن جندل واكثم بن صيفي والزبرقان بن بدر.

أما سلامة بن جندل فقد أعفانا الدكتور قباوة من البحث في نصرانيته، فقد أخرجه منها، وجعل له ديناً وسطاً بين الوثنية المغرقة والحنيفية المسترشدة[٣].

وأكثم بن صيفي حكيم العرب، وسيد تميم، فلم ترو الأخبار أو الأشعار[٤] شيئاً عن نصرانيته، الأمر الذي يجعلنا نستبعده أيضاً من النصرانية.

ويتبقى الزبرقان من بدر[٥] وأخباره في الجاهلية أيضاً لا تشير إلى اتصاله بالمناذرة، أو نجران، وأشعاره التي بين أيدينا ليس فيها أية إشارة إلى النصرانية، وأما في الإسلام فنحن نعرف منزلته ومكانته عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) الأسود بن يعفر: ديوانه ٥٦.
(٢) علقمة الفحل: ديوانه ٦٢.
(٣) د. فخر الدين قباوة: سلامة بن جندل ١٢١.
(٤) د. المعيني: شعر بني تميم ٤٧٥.
(٥) د. المعيني: شعر بني تميم ٣٥

وبعد، فهل بقي نصارى في تميم؟ وهل وجدنا تميمياً يتنصر ويحمل النصرانية اليها أو إلى أحد بطونها وعشائرها ويبشر بها بينها؟ أما نحن فلا نزعم هذا ولا نتبناه.

أما المجوسية: فتدين بعبادة النار، وبوجود الهين يديران العالم، هما: النور والظلمة والخير والشر فهل انتشرت المجوسية بين تميم؟ وتمجس بعض بطونها أو رجالها؟.

ابن قتيبة يقول «كانت المجوسية في تميم ومنهم زرارة بن عدس التميمي، وحاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم، ومنهم الأقرع بن حابس، وأبو الأسود جد وكيع بن حسان التميمي[1].

ويتابعه في تمجيس تميم أبو عبيده فيقول «كان دين مجاشع المجوسية»[2] ويرى آخرون أن المجوسية كانت متفشية في تميم، ودان بها بنو دارم ومنهم عبدالله بن الاسبذ[3].

والجاحظ كما عرفنا ينفي أن تكون تميم مجوسية[4]، ويتابعه في هذا قباوة الذي يعتقد أن تميما وصمت بالمجوسية[5]، والذين ينشرون المجوسية بين تميم يميلون إلى أن منازلها قريبة من منازل فارس وأن الأثر الفارسي كان أوضح في عمان والبحرين، وكذلك ورود إشارات للمهارق الفارسية في شعر تميم.

أما نحن فنرى أن تمياً قد وصمت بالمجوسية وان بعض بطونها قد أدخلت المجوسية دونما أدلة ثابتة، فالعلاقة بين فارس وتميم من حيث طلب السماح لهم بالرعاية في سواد العراق لا يشكل دليلاً على اتباع المجوسية، والأقرع بن حابس في الجاهلية كان يحلف باللات والعزى، ويدين بدين تميم الوثنية فليس مجوسياً، أما زواج حاجب بن زرارة بدختنوس فتلك دعوى باطلة ذلك أن

---

(١) ابن قتيبة: المعارف ٢٦٦.
(٢) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/٤٩.
(٣) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/٦٩٣، ٦/٢٨٤.
(٤) الجاحظ: رسالة الرد على النصارى ١٥.
(٥) د. فخر الدين قباوه، سلامة بن جندل ١٠٣.

دختنوسا، كانت ابنة أخيه لقيط، وأنها تزوجت من عمرو بن عدس، ثم تزوجها عمير بن معبد بن زرارة[1] وليس في شعرها ما يدل على زواجها من حاجب أو تمجسها[2].

وأما قرب منازل تميم من بلاد فارس، ومن البحرين التي كانت تتعامل بكثرة مع الفرس فقد عرفنا أن قرب الدار أو بعدها، ليس دليلاً أكيداً على إتباع ديانة معينة.

والاسبذيون كانوا من عبد القيس وهم جماعة من الفرسان وليسوا مجوساً[3].

والإشارات في شعر تميم التي وردت عند سلامة بن جندل في قوله[4]:

لبس الروامسُ والجديــــدُ بلاهما ... فتُركـن مثـلَ المُهـرق الأخلاقِ

اكـبَّ عليـهِ كـاتـبٌ بـــداوتـــهِ ... وحـادثُـهُ في العينِ جـدَّهُ مُهـرقِ

وعند الأسود بن يعفر النهشلي في شعره[5]:

سطـــورُ يهوديين في مُهــــرقيهما ... مجيدين مـن تيماء أو أهـلِ مـديـن

فـرحنـا اصيلاناً تـرانـا كـاننـا ... ذوو قيصرِ أو آلُ كسرى بن سوسنِ

وعند أوس بن حجر:[6]

على جَـازعٍ جـوزِ الفلاةِ كـانــهُ ... اذا ما علا نَشزاً من الأرض مُهرقُ

هذه الإشارات إلى المهارق وإلى قيصر وكسرى ليست أكثر من وسائل فنية يستحدمها الشعراء في تشبيهاتهم، معبرين عن أحاسيسهم دون أن يصبغوها باتجاه ديني معين.

ثم كيف نرضى تمجيس الدارمين ونقبل به؟ وهذا أوس بن حجر شاعر تميم يطعن المجوسية عند أعدائه بني بكر بن وائل ويقول في هجائه لهم:[7]

---

(١) ابن حبيب: المحبر ٤٣٦.
(٢) انظر شعرها في شعر بني تميم ٣٣٣
(٣) الحياة الدينية في شعراء عبد القيس ٨٧.
(٤) سلام بن جندل: ديوانه ١٤٩.
(٥) الأسود بن يعفر: ديوانه ٦٣/٦٤.
(٦) أوس بن حجر: ديوانه ٧٧.
(٧) المصدر السابق نفسه ٧٥.

والفـارسيــةُ فيهــم غيرُ مُنكــرةٍ   فكلهــم لأبيــه ضيــزنٌ سِلــفُ

فأوس يعيب من تمجسوا فكيف نفسر قبوله في أن يكون بنو دارم جيران قومه بني أسَيد فيهم مجوسية؟

ويبقى أن نقول أن أفراداً من تميم ربما تأثروا بالمجوسية، وعرفوا شيئاً من تعاليمها.

والأحناف هل كان لهم اتباع في تميم؟ الشهرستاني يجعل تميماً رواد الحنيفية في العصر الجاهلي[١]. والجاحظ يجعل عدياً كما علمنا حنيفياً في قصيدته اللامية[٢].

وابن حبيب يدخل في الحنيفية كل من حرم على نفسه الخمر والازلام في الجاهلية ومن هؤلاء قيس بن عاصم[٣]. وأدخل الحنيفية نفر من الذين ذكروا يوم الحساب كعلاف بن شهاب التميمي الذي قال[٤]:

وعلمــت ان الله جــاز عبــده   يــوم الحســاب بــاحســن الأعمال

والحنيف هو المائل عن دين آبائه[٥] والحنفاء هم الذين لم توافق عبادة الأصنام هوى في نفوسهم، وإنما راحوا ينشدون روحانيتهم في الله، والنظر إلى مخلوقاته، ودائرة المعارف تضع كل إنسان رفض النصرانية واليهودية والوثنية مع الأحناف[٦].

ومن كل هذا ندرك أن الحنيفية مظهر توحيدي في الجاهلية، تميز من الشرك، وابتعد عن النصرانية وتجنب اليهودية والمجوسية، وارتد إلى تعاليم ابراهيم الحنيف، وأعتقد أن الله مسيطر على الوجود. ومن هذا المفهوم فإن في تميم نفراً تأثروا بالحنيفية واعجبوا بها، ومنهم سلامة بن جندل، واكثم بن صيفي، وعلاف بن شهاب، وسفيان بن مجاشع، وقيس بن عاصم، وعدي بن

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل ٣٢٣/٢.
(٢) الجاحظ: الحيوان ١٩٧/٤.
(٣) ابن حبيب: المحبر ٢٣٧.
(٤) الالوسي: بلوغ الأرب ٣٠٤/٢.
(٥) د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ٩٦.
(٦) دائرة المعارف الإسلامية ١٢٩/١.

زيد، وأوس بن حجر، وغيرهم.

فقد وجدنا في شعر هؤلاء إيماناً بأن الله مسيطر على الوجود وهم سادة حكماء، بصيرون بالحياة وتجاربها، وفيهم اتزان وتعقل، وعند بعضهم اعراض عن الخمر ومجالسها، وبعد عن العادات الذميمة ومفاسدها.

فأوس بن حجر يخص الله بانزال المزن وهو مظهر توحيدي فيقول:[1]

ألم تر أن الله أنزلَ مزنةً وعفْرُ الظباء في الكناس تَقَمَّعُ

وفي شعر عدي قرب من الحنيفية التي تقول بسيطرة الله على الوجود، وأفعال العباد، فعدي بن زيد يكل أمره إلى الله ويطلب توفيقه في ملمات الأمور والخطوب التي داهمته فيقول:[2]

وما هذا بأول ما ألاقي من الحدثان والعرض القريب
يجاوبه يسار الله عني وصبري في ملمات الخطوب
وإني قد وكلت اليوم أمري إلى رب قريب مستجيب

وحرم قيس بن عاصم على نفسه الخمر في الجاهلية لما فيها من أمور تفسد المروءة، وتفضح خصال الكريم، وتسفه أفعال الحليم[3].

وجدت الخمر جامحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي ولا أدعو لها أبداً نديما
اذا دارت حُمياها تولت طوالعُ تسفه الرجل الحليما

وقد يقال في مثل هذا الشعر أنه قيل بعد الإسلام وحمل على هؤلاء لكني فيما أعلم لم أجد أحداً يشير إلى هذا، ويبقى أن هذا الشعر وأمثاله في الجاهلية يقرب من مفهوم الحنيفية كمظهر توحيدي في الجاهلية.

وكان أصحاب «الحلة» من الحنيفيين ولهم تعاليم خاصة بهم كتحريم الصيد، وعدم لبس الجديد من الثياب وأكل اللحوم والسمن والتواصل بين الناس

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ٥٧.
(٢) عدي بن زيد: ديوانه ص ٤١.
(٣) د. المعيني: شعر بني تميم: ١٤٣

والوقوف بعرفة وغيرها من تعاليم الحلة أيام النسك وتميم قبيلة من «الحلة» ففيها جانب يقرب من الحنيفية[1].

وغير النصرانية والمجوسية والحنيفية فقد رُوي أن تميماً عبدت الكواكب، والهت الشمس وتعبدت الدبران من الكواكب، وسمت الشمس آلهة[2] وهذا وارد في شعرهم[3]:

تروحنا من اللعباء عصرا وأعجلنا الالاهة أن تؤوبا

ولسنا في حاجة إلى إعادة أن مثل هذه الأشعار لا تنهض دليلاً على عبادة الكواكب عند تميم.

وعندما جاء الاسلام بادرت تميم الوثنية، إلى اعتناق الدين الجديد وقدم وفدها إلى المدينة في السنة التاسعة للهجرة ونادى الوفد الرسول عليه السلام فنزلت سورة الحجرات. رمن رجالات الوفد قيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، والزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس، وعطارد بن حاجب، ونعيم بن سعد، ورياح بن الحارث، وقيس بن الحارث، وربيعة بن رفيع، وسبرة بن عمرو، والقعقاع بن معبد،ووردان بن محرزومالك بن عمرو، وفراس بن حابس، وحنظلة بن دارم، والحتات بن يزيد وغيرهم. وكان شاعر الوفد الزبرقان بن بدر وخطيب الوفد عطارد بن حاجب.

وأسلمت تميم وحسن اسلامها، وقال عليه السلام تميم أشد أمتي[4]

(١) د. صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب ٢١٤.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٤٩/٥. بروكلمان: العرب والامبراطورية العربية ٢٧.
(٣) انظر شعر يربوع في شعر بني تميم ٢٠٣
(٤) ابن هشام: السيرة النبوية ٣٦٢/٢، ٤٠٢/٢. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٧٨/٢. ابن سعد: الطبقات ٢٩٤/١.

العلاقات الخارجية

موقع تميم، ومركزها الإجتماعي، ومكانتها العسكرية، أمور جعلتها تتعامل مع مراكز الحضارات القديمة عربية وغير عربية، فتناولت ما ينفعها، وأخذت ما يفيدها، وأعطت غيرها، ولكن الناحية الحربية ظلت أبرز علاقاتها مع القبائل المجاورة، والأمم المتاخمة.

فعلاقاتها مع بلاد فارس، كانت تتعرض لرياح العداء أحياناً وأحياناً تميل الى الموادعة والمسالمة، ويتمثل هذا العداء الشديد الذي كان العرب جميعاً - يرفضونه ولا يرضون به، عند بني تميم في اتجاهين:

الاول: اعتداء تميم على قوافل التجارة الفارسية المتجهة من المدائن الى اليمن أو من اليمن الى المشقر وفارس.

والثاني: اشتراك تميم في الدفاع عن العرب وأمجادهم وديارهم ضد فارس في داخل وخارج بلاد الأكاسرة.

أما اعتداء تميم على قوافل فارس التجارية فأمر عرفناه في حياتها الاقتصادية لكن المهم هنا أن الفرس انتقموا من تميم في يوم الصفقة أو يوم المشقر لانهم كانوا قلة جاءوا للميرة واللقاط[1] ولم تكن تميم بأسرها في هذا اليوم ورغم ذلك فقد ابلى التميمون بلاء حسناً، وكسروا باب المشقر، ودارت حرب عظيمة افتخر بها شاعرهم[2]:

ألا هل أتى قومي على النأي أنني حميت ذماري يوم باب المشقر
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربةً تفرج منها كل باب مضبر

وليس هذا ما أردناه فحسب، وإنما وجدنا أن تميماً لم تكن تخاف الفرس،

---

(١) ابو عبيده: النقائض بين جرير والفرزدق ١٢/١، وابن الاثير: الكامل في التاريخ ٤٦٨/١.
(٢) انظر شعر عبيد بن وهب في بني سعد.

وهي ليست ضمن مناطق نفوذهم[١]، وإلا لما أقدمت على الاعتداء على قافلتهم وقتل أساورتهم؟ والا أيضاً لما أقدم الفرس على قتل فئة صغيرة منها في يوم المشقر ولم يتجهزوا لقتالها في معقلها بالدهناء؟

فالعلاقة بينهما لا تقوم على الخضوع أو السيطرة أو التحكم وإنما على معرفة مكانة تميم وقوتها، بل وصل الأمر بالفرس في بعض الأخيان الى حد الخوف من هؤلاء التميميين الذين تزايدت اعدادهم، واتسعت بلادهم، وتعاظمت قوتهم، خصوصاً من بني يربوع الذين كانوا يغيرون على العراق، ومناطق عمال الاكاسرة، فصالحهم المناذرة على أن جعلوا الردافة فيهم. وقال هوذة الحنفي لكسرى إن أرضهم لا تطيقها أساورتك، وهم يمتنعون بها[٢].

وصدت تميم سابورا الفارسي عندما اجتاح شرق الجزيرة واجبرته على التراجع عن ديارها:

رددنـا جمع سـابـور وانتم   بمهـواة متـالفهـا كثير[٣]

واشتراك تميم في الدفاع عن العرب وأمجادهم، يبرز في منع الفرس من التغلغل داخل الجزيرة العربية، والسيطرة على مواردها الاقتصادية، فقد عرفنا أن رياسة الاسواق التجارية ذات النفوذ الفارسي كانت لتميم[٤].

ومن جانب آخر شاركت تميم مع الوفود العربية التي جمعها النعمان بن المنذر في الدفاع عن العرب الذين تنقص الفرس شأنهم، وعيروهم بخفة الأحلام، وقلة العقول[٥]، واشترك في الوفد أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة، ووصي النعمان رجالات الوفد وقال لهم: «ليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي، فخطب أكثم وأعجب به كسرى وقال له: «ويحك يا أكثم ما أحكمك وأوثق كلامـك، لو لم يكن للعرب غيرك لكفى»[٦].

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥/٢٢٤. وابن الاثير في الكامل ١/٤٦٨.
(٢) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/٧.
ابن قتيبة: المعارف ٦٥١.
(٣) د. المعيني: شعر بني تميم ٤٧١
(٤) انظر الحياة الاقتصادية.
(٥) ابن قتيبة: المعارف ٥٨١.
(٦) الالوسي: بلوغ الارب ١/١٥٢.

والصلات السلمية بين فارس وتميم تمثلت في المنح والهبات التي قدمها الفرس لتميم، فقد وهبوا زرارة بن عدس أمَةً فارسية تزوجها أحد بني دارم، وانجبت قفيرة أم صعصعة بن ناحية[1] ومنحوا حاجب بن زرارة حق الرعاية في سواد العراق عندما أجدبت اراضي تميم[2].

ومثل هذه الصلات أمر طبيعي يحدث في أكثر الأحيان لكنه ليس دليل علاقات سلمية متينة مع بلاد فارس.

والعلاقات بين تميم والمناذرة قامت على أساس مكانة تميم العسكرية، وسيادتها الحربية، ومنزلتها الأدبية، وكانت لبني تميم الردافة عند المناذرة، والردافة بمنزلة الوزارة، يجلس الرديف عن يمين الملك، وله ربع الغنائم، وأتاوة عن كل من دخل في طاعة الملك، وفي أيام المنذر بن ماء السماء كانت الردافة في بني يربوع من تميم ولعتاب بن هرمي الرياحي وفي أولاده من بعده.

وبعد حين أشار بنو دارم على المناذرة بنقل الردافة من يربوع الى مجاشع عندما توفي عتاب، وكان ولده صغيراً، وأبدى المناذرة استعدادهم لتغير المنصب، ولم يقبل بنو يربوح وقامت بينهم وبين المناذرة حرب « طخفة »[3] وانتصر اليربوعيون في هذا اليوم انتصاراً كبيراً واسروا قابوس بن المنذر وعمه حسان. وهزم جيش المناذرة. وتباهى شعراء يربوع وفخروا فخراً عظيماً.

قسطنا يـوم طخفـة غير شـك ... على قابوس اذكـره الصبـاح[4]

فـرحنـا تخفـق الرايـات فينـا ... وأبنـا والملـوك لهم احـاح

وعادت الردافة لبني يربوع عند المناذرة وظلت فيهم حتى انتهت دولة المناذرة.

---

(١) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢٠٥/١.

(٢) المصدر السابق نفسه ١٦٥/٢.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٣٩٦/١ وانظر شعر الحرب عند تميم.

(٤) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٦٣/١ وانظر شعر بني تميم ٢٠٣

ولسنا ندري سبباً متيناً لهذه الردافة في تميم، هل هو حقاً كثرة غاراتهم على تخوم المنـاذرة فـاغـروهـم بهذا المنصـب وصـار في أقـوى بطـونهم بني يربوع؟[١] أم أن أسباباً أخرى كانت تدفع تميماً لتلك الهجمات المتتالية؟ هل كانت تفكر في أن تكون لها السيادة على قبائل الجزيرة ولو من خلال الحيرة؟ أم يكون لها ذلك بالاستيلاء على الحيرة ـ مملكة المناذرة؟

والمسألة ليست بالأمر السهل فكان علينا أن نقبل بأن يكون لتميم شأنها مع المناذرة، وتكون لها ردافتها، وهو أمر يمنحها السيادة بين سائر القبائل، ويعطيها مكانة لائقة عند المناذرة.

وخلال فترة الردافة كانت العلاقات حسنة بين تميم والمناذرة، ولم تهب عليها رياح العداء، الا بعد مقتل شقيق عمرو بن هند، وكان مسترضعاً في بني وزارة، عندها خرج ابن هند يطلب بني دارم في جبل أوارة ويقتـل مئة منهم[٢].

وما عدا أوارة وطخفة، كانت العلاقات بين تميم والمناذرة علاقات طيبة، يسودها الود والصفاء، حتى أن تميماً شاركت النعمان بن المنذر في حربه ضد عامر بن صعصعة يوم السلان[٣] وشاركت المنذر بن ماء السماء في قتاله ضد الغساسنة يوم حليمة[٤].

وفي بلاط المناذرة التقى كثير من رجالات تميم وشعرائها أمثال مجاشع بن دارم وأخيه نهشل[٥]. وقيس بن عاصم، والأقرع بن حابس[٦] وحاجب بن زرارة وشهاب بن عبد القيس[٧] وسلامة بن جندل[٨] وأوس بن حجر[٩].

---

(١) المصدر السابق نفسه ٢/٧.
(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/٣٦٤. وفي أيام العرب في الجاهلية ١٠٠
(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/٣٩١.
(٤) المصدر السابق نفسه ١/٣٢١.
(٥) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٧١.
(٦) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦/٣٩.
(٧) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/٣٩٦.
(٨) بروكلمان: تاريخ الادب العربي ١٠/١١٩.
(٩) المصدر سابق نفسه ١/١٢.

وأكثم بن صيفي[١] وعلقمة الفحل[٢]، والحارث المجاشعي[٣] وآل عتاب أصحاب الردافة. وعدي بن زيد وغيرهم.

أما عدي بن زيد التميمي فعلا صيته، وارتفعت منزلته عند المناذرة وكانت له اليد الطولى في تتويج النعمان بن المنذر ملكاً على الحيرة. لكن الخصوم أوغروا صدر النعمان على عدي فسجنه، ومن السجن أرسل شعراً يصور الأرق والقلق والعذاب، ويجسد الألم والخوف، ويحكي أنات النفس المكروبة في ظلمات السجن الرهيب.

وأما أوس بن حجر وسلامة بن جندل وعلقمة الفحل فالمصادر تذكر ترددهم على الحيرة واتصالهم بملوك المناذرة، أما أشعارهم فلا تشير الى مثل هذا التردد على المناذرة، أفلا يدعونا هذا الى النظر بشيء من الحذر والحيطة لتلك الأخبار؟ ثم ألا يحق لنا بعد هذا أن ننفى ترددهم على بلاط المناذرة أو سفرهم الى مملكة الحيرة؟

أما العلاقة مع الغساسنة فتشير الأخبار الى وفود علقمة الفحل شاعر تميم على بلاط الغساسنة هو وجماعة من تميم في شفاعة أخيه شأس بن عبده وأسرى تميم. وأنشد علقمة الحارث الغساني قصيدته التي مطلعها[٤]

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بعيد الشباب عصرَ حانَ مشيبُ

وسرّ الملك، واعجب بمديح علقمة، فصفح عن شأس، وأطلق سراحه، وأسرى بني تميم، وأعطاه كساء وحباء وزود الأسرى بزاد كثير.

أما هؤلاء الأسرى فتضطرب الروايات في شأنهم، فهم أسرى معركة حليمة[٥] التي انتصر فيها الغساسنة على المناذرة، وهم أسرى معركة عين أباغ[٦] التي حدثت بين المنذر بن ماء السماء والحارث الغساني وانتصر فيها الغساسنة.

---

(١) انظر شعر بني تميم ٤٧٦.
(٢) بروكلمان: تاريخ الادب العربي ١/٩٦.
(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/٣٩٦.
(٤) علقمة الفحل: ديوانه ٣٣.
(٥) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/٣٩٦. وفي العمدة ١/٥٧.
(٦) جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية ٥١.

وفي رواية أخرى أنهم أسرى جيوش الحارث الأصغر التي كانت تشتبك مع القبائل النجدية في حروب دامية[1].

وتقول روايات غيرها أن جيوش النعمان وأولاده كانت تجوب نجداً، وتخضع القبائل لتدين لها بالولاء والطاعة[2].

واذا عرفنا الاضطراب البائن في هذه الجيوش المتجولة في شمالي نجد لتخضع القبائل، أهي غسانية أم لخمية؟ أمكننا أن نتجاوزها الى الروايات الأخرى. فاراء بعض المؤرخين تتفق على أن يوم عين أباغ هو نفسهيوم حليمة فكلاهما بين المنذر بن السماء ملك الحيرة، والحارث الغساني ملك الغساسنة[3] ويكون أسرى تميم قد حاربوا الى جانب المناذرة، ونميل الى هذا الرأي الذي يذهب الى أن العلاقات بين المناذرة وتميم كانت حسنة آنذاك، وكانت ردافة عتاب بن هرمي قائمة[4] بين المناذرة وتميم، وهي الفترة المعاصرة ذاتها لعلقمة وعتاب ولذا رحل علقمة الفحل مستشفعاً الى الحارث الغساني في أخيه شاس وأسرى تميم.

وكانت العلاقات بين كندة وتميم علاقات حسنة، وقام حلف بين كندة وبني ربيعة بن مالك بن زيد مناة، وأن عوير بن شجنة أجار أهل الملك شرحبيل بن الحارث عندما قتل.

والعلاقات مع القبائل داخل الجزيرة العربية سيطرت عليها الحروب والأيام، فقد خاضت تميم اياماً كثيرة[5].

حاربت قبائل اليمن في أكثر من ستة أيام، والتقت مع قبائل قيس عيلان وقاتلتها في أكثر من عشرة أيام، وتقابلت مع عبس في خمسة أيام، ومع بني حنيفة في أربعة أيام، ومع بني أسد وتغلب وعبد القيس في أكثر من يوم.

---

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٣٩٦/١.
(٢) المصدر السابق: الموضع نفسه.
(٣) د. نبيه عاقل: تاريخ العرب والاسلام ٢٩٦.
(٤) انظر نسب تميم. والحياة الاجتماعية للقبيلة.
(٥) انظر شعر الحرب فقد درسنا الايام هناك.

وكان العداء شديداً بينها وبين بكر بن وائل، فخاضت معها أكثر حروبها وأعصب أيامها وكان ذلك في أكثر من عشرين يوماً.

وفي كل هذه الأيام كانت تميم تحارب وتظفر ،وتأسر وتغنم، وفي القليل منها كانت تهزم ويؤسر منها ويغنم، لكن الساحة الحربية ظلت قيادتها بيد تميم وبقي لها عليها السيطرة والسيادة.

فالعلاقة بينها وبين القبائل علاقة حروب وأيام لا للنهب والسلب والغارة فحسب، وانما لتظل لتميم السيادة، وزمام القيادة، في مختلف الميادين الإجتماعية والعسكرية والاقتصادية والأدبية.

لقد طامنت من هيبة الفرس، وأبت أن تخضع لهم، ورفضت سيطرتهم وقاتلت المناذرة، وأجبرتهم على احترامها وقبولها في منصب الردافة دون سائر القبائل في أكثر أيامها وحروبها مع القبائل.

الفصل الثاني
الشعـــــراء

١ ـ الشعراء ـ «ثبت باسمائهم»
٢ ـ مصادر شعرهم.
٣ ـ ظاهرة الضياع.
٤ ـ ظاهرة الانتحال والاختلاط.
٥ ـ توثيق الشعر.

ـ الشعراء ـ «ثبت باسمائهم»

أنجبت قبيلة تميم عدداً وفيراً من الشعراء، أستطعت أن أتعرف الى ما يربو على مئة شاعر منهم فيهم الفحول وأصحاب المطولات، وفيهم المقلون وأصحاب المقطعات.

وليس غريباً أن يكون في تميم شعر كثير، وشعراء كثيرون، ما دمنا عرفنا أنها قبيلة ممتدة البطون والعشائر، ضخمة العدد، واسعة المنازل، وانها قبيلة محاربة وفي الحروب يكثر الشعر.

وقد استطعت أن أجمع من شعرهم ما تيسر لي، وعثرت عليه، مستثنياً الشعراء الذين صدرت لهم دواوين شعرية محققة تحقيقا علمياً وهم:

أوس بن حجر، وسلامة بن جندل، وعلقمة الفحل، وعدي بن زيد والأسود بن يعفر، وعبده بن الطيب، ومتمم ومالك ابنا نويرة.

والشعراء الذين قمت بجمع شعرهم، أجريت ترتيب أسمائهم في «شعر بني تميم» تبعاً لقبائلهم وبطونهم من حيث كثرة هذا الشعر على النحو التالي:[1]

شعر بني سعد، شعر بني يربوع، شعر بني دارم، شعر البراجم، شعر بني مازن، شعر بني طهية، شعر بني الهجيم، شعر بني العنبر، شعر بني اسيّد.

وهؤلاء الشعراء حسب الترتيب الهجائي هم:

١ ـ الأحبش بن قلع.
٢ ـ الأحمر بن جندل.
٣ ـ الأضبط بن قريع.
٤ ـ الأقرع بن حابس.
٥ ـ أكثم بن صيفي.
٦ ـ الأهثم بن سمي.

---

(١) د. المعيني: شعر بني تميم ٢٣

٧ - أوس بن غلفاء.
٨ - أوس بن مغراء.
٩ - أوفى بن مطر.
١٠- بجير بن أوس.
١١- البراء بن قيسٍ.
١٢- توبه بن مضرس.
١٣- ثعلبة بن صعير.
١٤- ثور بن شحمة.
١٥- جابر بن قطن.
١٦- جارية بن مشمت.
١٧- جريبة بن أوس.
١٨- جشيش بن نمران.
١٩- جندب بن العنبر.
٢٠- جندل بن عبد عمرو.
٢١- جهينة بن جندب.
٢٢- جوّاس بن نعيم.
٢٣- جويرية بن بدر.
٢٤- حاجب بن زرارة.
٢٥- حاطب بن مالك.
٢٦- حذيفة بن بدر.
٢٧- حرى بن ضمرة.
٢٨- حريث بن سلمة.
٢٩- حريثة بن عمرو.
٣٠- حزن بن كهف.
٣١- حطائظ بن يعفر.
٣٢- حكيم بن جذيمة.

٣٣- حيان بن قرط.
٣٤- خالد بن مالك.
٣٥- خفاف بن غصين.
٣٦- خفاف بن مالك.
٣٧- ذؤيب بن زنيم.
٣٨- ذؤيب بن كعب.
٣٩- ذو الخرق الطهوي.
٤٠- ربيعة بن طريف.
٤١- ربيعة بن مالك.
٤٢- الزبرقان بن بدر.
٤٣- زهير بن عروة.
٤٤- زيد بن عمرو.
٤٥- سحيم بن وثيل.
٤٦- سعد بن زيدمناة.
٤٧- سفيان بن مجاشع.
٤٨- السلبك بن عمرو.
٤٩- شعبة بن قمير.
٥٠- شمّاس بن الاسود.
٥١- شميت بن زنباع.
٥٢- صعصعة بن ناجية.
٥٣- ضابىء بن الحارث.
٥٤- ضمرة بن جابر.
٥٥- ضمرة بن ضمرة.
٥٦- طريف بن تميم.
٥٧- عاصم بن قيس.
٥٨- عباد بن شداد.

٥٩- عبد القيس بن خفاف.
٦٠- عبيد بن وهب.
٦١- عبيده بن ربيعة.
٦٢- عتيبة بن الحارث.
٦٣- العدل بن الحكم.
٦٤- عصمه بن حدره.
٦٥- عقبة بن حوط.
٦٦- عقفان بن قيس.
٦٧- علاثه بن جلاس.
٦٨- علقمة بن سهل.
٦٩- عمرو بن الأسود.
٧٠- عمرو بن أسيّد.
٧١- عمرو بن الأهتم.
٧٢- عمرو بن حوط.
٧٣- عميره بن طارق.
٧٤- العنبر بن عمرو.
٧٥- عياض بن ديهث.
٧٦- قراد بن حنيفة.
٧٧- قطن بن نهشل.
٧٨- قيس بن عاصم.
٧٩- قيس بن مقلد.
٨٠- الكلحية اليربوعي.
٨١- لقيط بن زرارة.
٨٢- مالك بن حطان.
٨٣- المجذام السعدي.
٨٤- مخارق بن شهاب.

٨٥- المخبل السعدي.
٨٦- المستوغر بن ربيعة.
٨٧- مصاد بن جناب.
٨٨- معاوية بن الحارث.
٨٩- نعيم بن عتاب.
٩٠- نقيع بن جرموز.
٩١- هريم بن جواس.
٩٢- همام بن رياح.
٩٣- وداك بن ثميل.
٩٤- يربوع بن حنظلة.
٩٥- يزيد بن فهده.

وغير هؤلاء مجموعة من الشاعرات هن:

٩٦- آمنة بنت عتيبة.
٩٧- الحمراء بنت ضمرة.
٩٨- دختنوس بنت لقيط.
٩٩- السلكة أم السليك.
١٠٠- العوراء السليطية.

ووراء هؤلاء جميعاً مجموعة أخرى من الشعراء والشاعرات لم أستطع معرفة أسمائهم لكنهم جاهليون من تميم.[١].

---

(١) انظر شعر بني تميم ٣٥، ٢٠٣، ٣٧٩.

مصادر شعر تميم

إذا ما ذهبنا نفتش عن مصادر شعر قبيلة تميم، نجد أنفسنا أمام ثلاثة أقسام منها:

١ - ديوان القبيلة:

تؤكد المصادر الشعرية، والأخبار المروية أن القبائل كانت تحافظ على شعر شعرائها، وتقوم على العناية بهذا الشعر، فهو الذي يصور أمجادها، وبطولاتها، وانتصاراتها. ولذا كانت تكرم شعراءها وتروي شعرها في مجالسها وأنديتها، وتذيعه في أسفارها و تجوالها وتباهي به غيرها. وإلى جانب الشعر حرصت القبائل على الاهتمام بأيامها وأنسابها ومناقبها، وغير ذلك من أمور حياتها. والشعر والايام والاخبار تسجل في كتاب القبيلة (ديوانها).

وفي شعر بن أبي خازم الأسدي اشارة الى كتاب بني تميم حين يقول:[1]

وجـــدنـــا في كتـــاب بني تميم «أحقُّ الخيل بالـركـضِ المُعـارُ»

فبشر وجد كتاباً لبني تميم، وأخذ منه ما تتصف به الخيول السريعة. فما هذا الكتاب الذي وجده الشاعر بشر؟ هل هو ديوان قبيلة تميم ومجموعة شعرها؟ أم هو كتاب في أخبارها وأنسابها ورجالاتها؟

والذي تذكره مصادر الشعر الجاهلي أن القبائل كانت تجمع شعر شعرائها، وحكم حكمائها، وأقوال خطبائها، بالإضافة إلى أخبارها ومآثرها وأنسابها، ويكون كتاب القبيلة على هذا النحو سجلاً لحوادثها ووقائعها، وديواناً لمفاخرها ومناقبها، ومعرضاً لشعرها وشعرائها[2]. ويؤكد الدكتور ناصرالدين الأسد أن بيت بشر يشير إلى مجموعة مدونة عن مآثر تميم وأشعارها.[3]

---

(١) المفضل الضبي. المفضليات ٣٤٤

(٢) دكتور ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ٥٥٥.

(٣) المصدر السابق نفسه ٥٦١.

وحدّث القدامى عن دواوين القبائل وكتبها وأشعارها، فالآمدي يذكر مجموعة من أشعار تميم وكتبها، فهو حين يذكر الخرق الطهوي يقول: «وله أشعار جياد في كتاب بني طهية»[1]، وعن زيد بن عمرو، وله في كتاب بني يربوع أشعار جياد[2]، وعن أبي الخضير أحد بني الهجيم «ولم يرفع نسبه في كتاب بني الهجيم»[3]، وعن توبة بن مضرس «وقتل أخواه في قصة مذكورة في كتاب بني سعد»[4]، وعن أبي الغول النهشلي «وانه شاعر ولم أر له ذكراً في كتاب بني نهشل»[5].

وذكر صاحب الفهرست[6] ثمانية وعشرين ديواناً من دواوين القبائل، وكلها منسوبة الى صانعيها ومنها: أشعار بني تميم عمل السكري، وأشعار بني نهشل، واشعار بني يربوع وهما أيضاً من عمل السكري.

وكثير من الرواة جمعوا شعر القبائل، فعمل أبو عمرو الشيباني شعر نيف وثمانين قبيلة، وجمع الأصمعي أشعار القبائل، وجمع أبو عبيدة أشعار القبائل في كتاب واحد.[7]

فالعصر الجاهلي أوصلنا كتباً للقبائل، ومن بينها كتاب بني تميم، وبعد الاسلام نشط الرواة لجمع الشعر، وتصنيف الكتب فكانت كتب القبائل والبطون في تميم هي:

كتاب بني سعد، وكتاب بن نهشل، وكتاب بني الهجيم، وكتاب بني يربوع، وكتاب بني طهية.

وكانت أشعار القبائل والبطون في تميم أيضاً هي: أشعار بني تميم، وأشعار بني يربوع، وأشعار بني طهية.

---

(١) الآمدي: المؤتلف والمختلف ١٥٦.
(٢) المصدر السابق بفسه ٦١.
(٣) المصدر السابق نفسه ١٢١.
(٤) المصدر السابق نفسه ٩١.
(٥) المصدر السابق نفسه ٢٤٦.
(٦) ابن النديم: الفهرست ١٠١.
(٧) المصدر السابق نفسه ١٠٢، وفي مصادر الشعر الجاهلي ٥٤٥.

وضاع كتاب بني تميم، ولم يصل إلينا ديوان القبيلة، وضاعت كتب وأشعار نسبت إليهم، وكان شأنها شأن كثير من كتب وأشعار ودواوين القبائل والبطون العربية الأخرى التي ضاعت.

ولم ينج من هذا الضياع غير ديوان هذيل، فماذا ضمَّ هذا الديوان؟ الذي نعرفه أن هذا الديوان يجمع عدداً كبيراً من شعراء هذيل وفيه كثير من أيام هذيل وأخبارها، ويحدث عن أمور ترتبط بحياتها. فهو ديوان كبير يضم أكثر من ثلاثين شاعراً، وأكثر من ثمانين قصيدة، وقرابة مائة وثمانين مقطوعة شعرية، فهو في رأي الباحثين أضخم ديوان في مجموعة دواوين القبائل.(١)

ونتوقع أن يكون ديوان تميم على غرار ديوان هذيل، لأن عمل الرواة وأسلوب تصنيفهم لدواوين القبائل كانت تعتمد تلك الطريقة أو قريباً منها، وعلى هذا فديوان تميم يجمع شعراء القبيلة وشعرها، وفيه جانب من أيامها وأخبارها وربما ضم أنسابها، وأموراً عن حياتها الاجتماعية، والدينية والاقتصادية، «وعلاقاتها الخارجية».

وإذا كان ديوان هذيل ضخماً بين مجموعة دواوين القبائل، فماذا يكون الأمر إذا علمنا أن شعر تميم «ديوانها» يضم أكثر من مئة شاعر وأكثر من مئة وخمسين قصيدة وثلاثمائة مقطوعة؟.

ومن هذه العجالة نخلص الى القول أن المصدر الأول من مصادر شعر تميم هو كتابها وديوانها، وليس غريباً أن يكون هذا الكتاب في الجاهلية مدّوناً، فهي قبيلة امتازت بكثرة كتّابها، وليس مستبعداً أن يكون الديوان، قد ضم جانباً كثيراً أو قليلاً من شعر تميم وأخبارها وأنسابها ورجالاتها، وربما حوى أيضاً قسماً من شعر غيرها من القبائل الأخرى جاء ثناء عليها، ومدحه فيها.

وبذلك يكون كتاب تميم أو ديوانها قد اعتمد القبيلة نفسها في رواية

---

(١) د. احمد كمال زكي: شعر الهذليين ١٢٠.

شعرها، وعوّل على الشعراء في اذاعة شعرهم، وأشعار غيرهم، وعن هذا الطريق طريق القبيلة وشعرائها وشعراء غيرها، وصل إلينا شعر تميم في أول مصدر من مصادره وهو ديوان القبيلة.

٢ ـ الدواوين الشعرية:

وإذا كان كتاب بني تميم وأشعارها، وكتب وأشعار بطونها لم تصل الينا فإن مجموعة من دواوين شعراء القبيلة وصلت إلينا أهمها:

(١) ديوان أوس بن حجر:

جمع الدكتور محمد يوسف نجم شعر أوس بن حجر وحققه في ديوان صدر في بيروت عام ١٩٦٠م، وكان المستشرق جاير قد طبع ديوان أوس في فينا عام ١٨٩٢م، ويعترف الدكتور نجم بأنه لم يقع على مخطوطة كاملة لديوان أوس، وإنما عثر على مجموعة من أشعاره، وجد أكثرها في كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب»، وعمد الى جمع بقية شعر الديوان من مصادر الشعر الجاهلي الأخرى.

وقد ورد ديوان أوس بن حجر بشرح ابن السكيت، وظل متداولاً في أيدي العلماء حتى القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، ووردت اشارات اليه في شرح الشواهد وفي خزانة الأدب.(١)

ويضم الديوان أربعا وخمسين قصيدة، عدا أبيات مختلطة من شعر الشعراء الآخرين، وبين هذه القصائد مجموعة من «المطولات» تصل في بعضها إلى ستين بيتاً من الشعر.(٢)

وكان مجموع مادة شعر الديوان أكثر من خمسمائة بيت من الشعر.

(٢) ديوان علقمة الفحل:

لقى ديوان علقمة عناية فائقة من القدامى والمحدثين، فقد شرحه الأعلم

---

(١) د. محمد نجم: مقدمة ديوان أوس بن حجر.
(٢) أوس بن حجر: ديوانه رقم ٣٠ ص ٦٣

الشنتمري المعروف بأبي الحجاج يوسف بن سليمان عن رواية الأصمعي ورواية أبي علي القالي.

واعتنى به المستشرقون، فالمستشرق فيستنفلد طبع ديوان علقمة في ليدن عام ١٨٥٨م، والمستشرق آلورد طبعه ثالثة في غريفزولد عام ١٨٦٩م في مجموعة العقد الثمين.

ثم طبع ديوان علقمة في بيروت ضمن خمسة دواوين.

وطبعه أحمد صقر في القاهرة بالمطبعة المحمودية عام ١٩٣٥م.

وطبع ديوان علقمة بشرح الأعلم الشنتمري في القاهرة عام ١٩٢٤م.

وطبع الديوان في الجزائر بعناية ابن أبي شنب عام ١٩٢٥م.

وقام لطفي الصقال ودرّيه الخطيب بتحقيق ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري ضمن مجموعة كنوز الشعر العربي وصدر في حلب عام ١٩٦٩م، واعتمد المحققان على مخطوطتين في دار الكتب المصرية الأولى: المخطوطة الشنقيطية رقم ٨١ أدب ش، وشعر علقمة «١١» صفحة منها، والثانية: المخطوطة التيمورية رقم ٤٥٠ أدب شعر تيمور وشعر علقمة «١١» صفحة منها أيضاً. وبذل المحققان جهداً طيباً.[١]

كما وردت شروح موجزة على شعر علقمة ضمن مجاميع منها أشعار الشعراء الستة ومختارات الشعر الجاهلي، ومختار الشعر الجاهلي.[٢]

وقام الدكتور محمد النويهى بدراسة ميمية علقمة دراسة مطولة[٣] وشرح الدكتور عبدالله الطيب بائية علقمة شرحاً وافياً.[٤]

وطبقاً لشرح الأعلم بروايتي الأصمعي والقالي فإن ديوان علقمة يضم تسع قصائد وإذا استثنينا ثلاثاً منها: واحدة لأبنه علي[٥] والثانية لأبنه خالد[٦].

---

(١) لطفي الصقال ودرية الخطيب: المقدمة لديوان علقمة ص ١٤.

(٢) السقا: مختار الشعر الجاهلي ٤٥٣.
ومقدمة ديوان علقمة ١١.

(٣) محمد النويهي: الشعر الجاهلي ٢٩٧ - ٤٣٢.

(٤) عبدالله بن الطيب: شرح بائية علقمة ٣ - ٣٨.

(٥) علقمة الفحل: ديوانه ١٠٦.

(٦) المصدر السابق نفسه ١٠٩.

والثالثة لحفيده عبد الرحمن بن علي[1]، يكون مجموع قصائد علقمة ست قصائد تبلغ مجموع مادتها الشعرية ما يقرب من مئة وخمسين بيتاً من الشعر. وفيها ثلاث مطولات كل واحدة منها تبلغ أربعين بيتاً.

(٣) ديوان عدي بن زيد العبادي:

قام محمد عبد الجبار المعيبد بتحقيقه في كتاب صدر عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية، في مجموعة سلسلة التراث عام ١٩٦٥م، واعتمد المحقق نسخة وحيدة مخطوطة، تحتفظ بها المكتبة العباسية في البصرة تحت رقم ١٥٢ ـ أ، أما باقي شعره فقد جمعه من كتب اللغة ومعاجمها ومصادر الشعر الجاهلي الأخرى.[2]

وقد وردت إشارات إلى ديوان عدي بن زيد عند الكلبي ت ٢٠٤هـ وابن النديم ت ٣٨٥هـ، وأبي العلاء المعري ٤٤٩هـ، وابن خير الأشبيلي ٥٧٥هـ، والبغدادي ت ١٠٩٣هـ[3].

وتشير المصادر إلى أن ديوان عدي ظل متداولاً بين أيدي العلماء حتى أواخر القرن الحادي عشر، وأشارت تلك المصادر إلى أن الديوان صنع صنعتين: إحداهما: لابن الأعرابي ت ٢٣٠هـ، والثانية لأبي سعيد السكري ت ٢٧٥هـ[4].

وقبل المعيبد قام محمد علي الهاشمي بجمع شعر عدي، وأشار في دراسة اتسعت لجمع شعره وتحقيقه ودراسته، إنه جمع الشعر من مصادره ومظانه العديدة[5] ويضم الديوان الذي حققه المعيبد مائة واثنتين وأربعين قصيدة من الشعر بلغ مجموع أبياتها ما يقرب من تسعمائة بيت منها خمسمائة بيت في المخطوطة العراقية. وفي ديوان عدي مجموعة من المطولات الشعرية يصل أطولها إلى واحد وخمسين بيتاً.[6]

---

(١) المصدر السابق نفسه ١١١.
(٢) محمد جبار المعيبد: التمهيد لديوان عدي ص ٢٢.
(٣) المصدر السابق نفسه ص ٣٠.
(٤) محمد علي الهاشمي: عدي بن زيد العبادي ٧٩.
(٥) المصدر السابق نفسه المقدمة ٣.
(٦) عدي بن زيد العبادي: ديوانه ٥٠.

(٤) ديوان سلامة بن جندل:

قام الدكتور فخر الدين قباوة بتحقيقه في كتاب صدر عن المكتبة العربية عام ١٩٦٨م.

وقد رجع الدكتور قباوة في تحقيقه لديوان سلامة الى أربع مخطوطات: الأولى نسخة بغداد كشك وقد وصفها بأنها أفضل النسخ وأقومها وتقع في ٣٦ ورقة، وكانت أصلاً أولياً في التحقيق، والثانية نسخة أيا صوفيا في مكتبة أيا صوفيا باستانبول، في مجموعة رقمها ٤٩٠٤، والثالثة النسخة الشنقيطية، مخطوطة بدار الكتب المصرية في مجموعة تحت رقم ١٢ ش أدب ش، والرابعة نسخة الاسكندرية في مكتبة البلدية رقم ٨٣٥ أدب وكل هذه النسخ جاءت برواية الأصمعي ت ٢١٦ امام البصرة، والشيباني ت ٢٠٦ إمام الكوفة.[١]

وطبع ديوان سلامة بن جندل عدة طبعات في باريس وبيروت، فقد طبعه المستشرق الفرنسي هيوار في باريس عام ١٩١٠، كما طبعه الأب لويس شيخو في بيروت عام ١٩١٠ وقد جمع الدكتور قباوة أكثر من مائتي بيت من الشعر لسلامة بن جندل، منها مائة وستة وثلاثون بيتاً من أصل الديوان. ويضم هذا الأصل ثلاث مطولات يبلغ أطولها أربعين بيتاً.

(٥) شعر الأسود بن يعفر:

قام الدكتور نوري حمودي القيسي بجمعه في ديوان صدر عن وزارة الثقافة والاعلام العراقية ضمن سلسلة كتب التراث عام ١٩٧٠.

وكان المستشرق جاير قد جمع شعر الأسود بن يعفر ضمن ديوان الأعشى عام ١٩٢٧م، وبلغ مجموع ما جمع من الأبيات قرابة مائة وسبعين بيتاً[٢].

وجمع الأب لويس شيخو مائة بيت للأسود بن يعفر في كتابه شعراء النصرانية[٣] وظل شعر الأسود مروياً في إشارات كثيرة وردت عند البكري وغيره.[٤] ويضم الديوان الذي جمعه الدكتور القيسي أكثر من ستين قصيدة.

---

(١) د. فخر الدين قبادة: سلامه بن حندل ١٢٥

( ) د. نوري القيس: الأسود بن يعفر مقدمة ديوانه ١٤

(٣) شيخو: شعراء النصرانية ٥٠٨.

(٤) د. نوري القيسي: الأسود مقدمة ديوانه ١٤ ، سمط اللآلئ للبكري ١ ٢٠١

بلغت المادة الشعرية فيها أكثر من ثلاثمئة وسبعين بيتاً أي بزيادة مئة بيت على ما جمعه المستشرق جاير.

وفي قصائد الأسود مجموعة من المطولات، تصل في بعضها إلى ستة وثلاثين بيتاً[1] أما أغلب القصائد فجاءت مقطعات شعرية.

(٦) شعر عبْده بن الطيب:

قام الدكتور يحي الجبوري بجمعه في كتاب صدر عن دار التربية في بغداد عام ١٩٧١م.

وتشير الروايات الى أن شعر عبدة، كان في جملة كتب الشعر التي حملها ابو علي القالي معه الى الاندلس عام ٣٣٠هـ.[2]

ونشط الدكتور يحي الجبوري الى جمع شعر عبده بن الطيب من مصادر الشعر الجاهلي ولم يقف على مخطوطات أو أصول لشعر عبده. ويضم هذا الشعر ست عشرة قصيدة، بلغت أبياتها الشعرية أكثر من خمسين ومائة بيت بينها مطولته اللامية، التي بلغت واحداً وثمانين بيتاً.[3]

(٧) مالك ومتمم ابنا نويره اليربوعي:

قامت الدكتورة ابتسام مرهون الصفار بجمع شعرهما في كتاب صدر عن مطبعة الارشاد في بغداد عام ١٩٦٨، ولم تخف الدكتورة ابتسام إعجابها بعينية متمم بن نويره، الأمر الذي دفعها إلى جمع شعره وشعر أخيه، وتقديم دراسة عنهما[4]، بيد أنها لم تشر إلى المنهج الذي اتبعته في تحقيق وتخريج شعرهما، أو وقوفها على مخطوطات شعرية لهما.

وبلغ مجموع مادة شعر مالك بن نويرة «١١٢» بيتاً بينما بلغ مجموع شعر متمم «٢٢٥» بيتاً. وكانت أغلب قصائد متمم مطولات إذ وصل بعضها إلى

---

(١) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٥

(٢) د. يحي الجبوري. شعر عبده بن الطبيب «٣٤».

(٣) عبده بن الطيب. شعره ص ٥٦.

(٤) د. ابتسام الصفار: مالك ومتمم ابنا نويرة المقدمة ٣.

سبعة وخمسين بيتاً[١] بينما جاءت غالبية شعر مالك في مقطوعات.[٢]

٣ ـ المصادر القديمة:

أما وقد فرغنا من مجموعة الدواوين الشعرية من شعر تميم، يتبقى أمامنا مشكلة شعر بقية شعراء القبيلة، فأين نعثر على هذا الشعر؟ لا مفر لنا من الرجوع الى مصادر الأدب العربي القديم المطبوعة منها والمخطوطة، وتضم تلك المصادر مجموعة من المختارات الشعرية والحماسات، ومجموعة تاريخية وجغرافية ولغوية، ومجموعة كتب التراجم والدراسة الأدبية، وكتب الشواهد وغيرها.

وأشهر مجموعة المختارات الشعرية المفضليات والأصمعيات، وتضم المفضليات مائة وثلاثين قصيدة من عيون الشعر العربي، ونصيب شعر تميم في هذه المجموعة احدى وعشرون قصيدة، يبلغ مجموع مادتها الشعرية أكثر من ستمائة بيت، وعدد الشعراء ثلاثة عشر شاعراً، وأهم ما يميز شعر تميم في المفضليات: أن هذه المجموعة من شعر تميم موثقة، وراويتها ثقة، فالمفضليات أقدم مجموعة شعرية، وأوثق النصوص الجاهلية.[٣]

وكان نصيب تميم من حيث الشعراء والمادة الشعرية أكبر من نصيب أية قبيلة أخرى.

وإذا استثنينا ثلاث قصائد من شعر تميم[٤]، فإن بقية شعرهم جاء في مطولات، وصل مجموع أبيات بعضها سبعة وخمسين بيتاً من الشعر.[٥]

أما الأصمعيات فضمت اثنتين وتسعين قصيدة من الشعر العربي، كان نصيب شعر تميم منها، احدى عشرة قصيدة، بلغ مجموع أبياتها ما يقرب من مائتي بيت، وعدد الشعراء تسعة، بينهم ثلاثة من أصحاب المفضليات، وتكون الأصمعيات قد انفردت عن المفضليات بذكر ستة شعراء آخرين هم: طريف

---

(١) مالك ومتمم ابنا بنويره: شعرهما ١٠٦.

(٢) المصدر السابق نفسه ٥٥ ـ ٨٢.

(٣) دكتور ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ٥٧٢.

(٤) المفضل الضبي: المفضليات ٣١، ٣٣، ٣٨٦.

(٥) المصدر السابق نفسه ٣٩٦.

ابن تميم، وذو الخرق الطهوي، ومالك بن نويرة، وسحيم بن وثيل، وضابىء ابن الحارث، وعمرو بن الأسود. وجاءت الأصمعيات ٨٩، ٤٢، ٦٣، ٨٧، ٢١، ٦٧ من شعر تميم في مطولات بلغ عدد أبيات بعضها أربعين بيتاً.[١]

وإذا مضينا الى الحماسات، فإن حماسة البحتري أكثرها احتفالاً بشعر تميم وشعرائها، فقد ذكر البحتري أكثر من ثلاثين شاعراً من شعراء تميم، وضمت حماسته أكثر من مائة مقطوعة شعرية لهم، تميزت بتنوع أغراضها، وتبويب موضوعاتها، ومن شعراء هذه الحماسة - غير الذين ذكروا في المفضليات والأصمعيات: -

المستوغر بن ربيعة، وأكثم بن صيفي، والبَرَاء بن قيس، والزبرقان بن بدر، وعقبة بن حوط، وقيس بن عاصم، والسليك بن عمرو وشعبة بن قمير، وصعصعة بن ناجية، وتوبة بن مضرس وغيرهم.

وجاء في ديوان الحماسة لأبي تمام بضع مقطوعات، لبضعة شعراء منهم: حطائط بن يعفر، وجندل بن عبد عمرو، ووداك بن ثميل، وحري بن ضمرة، وعبد القيس بن خفاف، والسلكة أم السليك.

أما الحماسات الأخرى: الحماسة البصرية والحماسة الشجرية وحماسة الظرفاء، والحماسة الصغرى «الوحشيات». ففيها قلة من القصائد، وهي جميعها تتقدم بالباحث الى شعر تميم بقليل ضئيل.

ويبرز بين مجموعة المصادر الجغرافية مصدران: الأول معجم ما استعجم للبكري، والثاني معجم البلدان لياقوت الحموي، وهما من مؤلفات القرنين الخامس والسادس الميلادي، ويعتبران من أعظم المعاجم الجغرافية قدراً، وأعمها فائدة، وأغزرها مادة، وأكثرها تفصيلاً، واحتوى المصدران مجموعة ليست قليلة من شعر تميم.

ومن المصادر التاريخية أيضاً مصدران: الأول تاريخ الرسل والملوك، والثاني

---

(١) الأصمعي: الأصمعيات ١٤٢.

الكامل في التاريخ لابن الأثير، وهما مصدران غزيرا المادة، جزيلا الفائدة، وفيهما قليل من شعر تميم.

ومن المصادر اللغوية: لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، وجمهرة اللغة لابن دريد، وكلها مصادر لغوية غنية لا في الطريق الى تميم فحسب، وإنما إلى سائر القبائل والشعراء، وقد عولت على هذه المجموعة أتناول منها الأشعار ووجدت فيها كثيراً من الأبيات والمقطوعات الشعرية لتميم.

وفي مجموعة كتب الأدب والتراجم كثير من مصادر شعر تميم وأهمها: طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ويضم عشرة من شعراء تميم: أوس بن حجر من الطبقة الثانية، وعلقمة الفحل وعدي بن زيد من الطبقة الرابعة، والأسود بن يعفر والمخبل السعدي من الطبقة الخامسة، وسلامة بن جندل من الطبقة السابعة، وأوس بن غلفاء من الطبقة الثامنة، وضابىء بن الحارث من الطبقة التاسعة، وحريث بن سلمة من الطبقة العاشرة، ومتمم بن نويرة في أول طبقة المراثي، وقيمة هذا الكتاب أنه أقدم ما وصلنا من تراجم الشعراء وفيه مشاهير شعراء تميم إذ يبلغون ربع فحول شعراء الجاهلية.

وأنه قد وثق جانباً من غرر وروائع وحسان شعر تميم، فقد ذكر ابن سلام روائع وجياد علقمة[١]، وغرر وروائع عدي بن زيد[٢]، ورائعة الأسود ابن يعفر[٣]، وبقية روائع تميم.

وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة يذكر من المشهورين في تميم أكثر من عشرين شاعراً وشاعرة، وقيمة هذا الكتاب أن مؤلفه من العلماء الذين نطمئن الى تدوينهم وروايتهم، فيكون الكتاب قد حفظ مجموعة صالحة من شعر تميم.

وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني مصدر اتسع لكثير من شعر تميم. وترجم لعدد من شعراء القبيلة منهم: الأضبط بن قريع وقيس بن عاصم،

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١٣٧/١.
(٢) المصدر السابق نفسه ١٤٠/١.
(٣) المصدر السابق نفسه ١٤٧/١.

والسليك بن عمرو، وعبد القيس بن خفاف، ولقيط بن زرارة، وآخرون غيرهم.

والنقائض بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة مصدر قيم وخصب في طريق الشعر الى تميم، فقد ضم أكثر من ثلاثين شاعراً من شعراء وشاعرات القبيلة، وأذاع أكثر من سبعين قصيدة ومقطوعة لهم. وانفرد هذا الكتاب بين المصادر الأخرى في ذكر مجموعة من شعراء تميم منهم: مالك بن حطان، وعصمة بن حدره، وعميره بن طارق، ونعيم بن عتاب وشميت بن زنباع، وجشيش بن نمران، وغيرهم.

وأهم المصادر الأخرى: البيان والتبيين، والحيوان للجاحظ، والمعمرون والوصايا للسجستاني، والعقد الفريد لابن عبدربه، والمؤتلف والمختلف للآمدي، ومعجم الشعراء للمرزباني، والأمالي للقالي، وسمط اللآلىء في شرح أمالي القالي للبكري، والاشباه والنظائر للخالديين، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي وغيرها، وجميعها ضمت جانباً ليس باليسير من شعر تميم، وكانت دروباً بائنة المعالم الى شعر تميم وشعرائها.

ظاهرة الضياع:

وضياع جانب من الشعر الجاهلي حقيقة قائمة، وشعر تميم شأنه شأن سائر الشعر الجاهلي ضاع جانب منه، وتنهض أدلة هذا الضياع عند الرواة وعلماء اللغة.

فابن سلام ـ وهو من أوائل الذين شكوا في الشعر الجاهلي ـ بعد أن أورد قصيدة الأسود بن يعفر الدالية يقول: «وله شعر جيد ولا كهذه» ويضيف قائلاً «وذكر بعض أصحابنا أنه سمع المفضل يقول عن الأسود وله ثلاثون ومائة قصيدة، ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروي، ويتجوزون في ذلك بأكثر من تجوزنا».[1]

ويورد ابن سلام في موضع آخر «واسمعني بعض أهل الكوفة شعراً زعم

---

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٣٤ ـ ١٢٣.

أنه أخذه عن خالد بن كلثوم، يرثي به حاجب بن زرارة فقلت له، كيف يروي خالد مثل هذا الشعر، وهو من أهل العلم، وهذا شعر متداع فقال: أخذناه عن الثقاة»[1].

وفي أسرة زرارة يمضي الجاحظ قائلاً: «وكان في ولد زرارة لصلبه شعر كثير كشعر لقيط وحاجب وغيرهما من ولده».[2]

وحين يتحدث الآمدي عن أبي الغول النهشلي يقول: «وهو شاعر ولم أر له شعراً» ويقول عن الكروس الهجيمي «وجدت له شعراً دون أن يرويه».[3]

ويعترف أبو العلاء المعري بأن مراثي توبه بن مضرس كانت كثيرة في أخويه طارق ومرداس.[4] وروى أبو العلاء أيضاً عندما كان في بغداد، أنه شاهد بعض الوراقين يسأل عن قافية عدي، وزعم بعضهم أن طلاب الشعر سأل عن هذه القصيدة - القافية - وطلبت في نسخ الديوان فلم توجد.

ويرى الأصمعي[5] أن أشعر الفرسان السليك بن السلكة، ومالك بن نويره، والزبرقان بن بدر، وفي المصادر أن مرة بن ربيعة السعدي كان شاعراً[6] وذكر ابن حبيب أن رياسة عكاظ كانت لتميم وأن حكاماً للشعر كانوا فيها.[7]

فروايات ابن سلام، والجاحظ، والآمدي، والمعري، والأصمعي، وابن حبيب تؤكد ضياع قسم من شعر الأسود بن يعفر النهشلي، ولقيط بن زرارة الدارمي، وحاجب بن زرارة، والسليك بن عمرو، ومالك بن نويرة.

---

(١) المصدر السابق نفسه ١٢٣.
(٢) الجاحظ: الحيوان ٤/٣٨٢.
(٣) الآمدي: المؤتلف والمختلف ٢٤٦، ٢٦٠.
(٤) المعري: رسالة الغفران ٥٧٩.
(٥) الأصمعي: فحولة الشعراء ١٧.
(٦) الجاحظ: الحيوان ٤/٣٧٩.
(٧) انظر الحياة الاجتماعية.

والزبرقان بن بدر، وتوبه بن مضرس. وضاع أيضاً كل شعر أبي الغول النهشلي وشعر أبناء زرارة ـ غير لقيط وحاجب ـ، وشعر مرة بن ربيعة السعدي وغيرهم. وهكذا ضاع جانب من شعر تميم.

ونقل إلينا ابن حبيب وأبو عبيدة والزبيدي ثبتاً بأسماء قضاة الشعر في الجاهلية من تميم، ومن بينهم سعد بن زيد مناة، والأضبط بن قريع، وذؤيب ابن كعب، لكننا لم نعثر إلا على مقطوعات وأبيات من شعر هؤلاء، بل لم نجد شعراً لكثيرين منهم أمثال مخاشن بن معاوية، فأين ذهب شعر هؤلاء؟

وكثير من الشعراء الذين جمعنا شعرهم لم نعثر لهم إلا على بيت أو مقطوعة شعرية فأين بقية قصائدهم وأشعارهم؟

كل تلك الروايات وهذه الأمثلة تضعنا امام ظاهرة ضياع الكثير من شعر تميم ولهذا الضياع أسباب منها: رحلة الشعر الطويلة التي قطعها حتى وصل الى عصر التدوين، والرواة الذين سجلوا الشعر فمنهم من روى للفحول مغفلاً غيرهم كابن سلام، ومنهم من اقتطع أبياتاً من القصيدة فضاع سائرها كالبحتري، ومنهم من أراد التخفيف فلم يذكر شيئاً من شعر الشاعر عند ترجمة حياته كالآمدي والمرزباني.

وعوادي الزمان، وأحداث الحياة، ونهب المراكز الحضارية كل ذلك ينهض أسباباً في ضياع الشعر عند تميم وعند غير تميم.

ظاهرة الانتحال والاختلاط:

وفي شعر تميم ككل الشعر الجاهلي منحول وموضوع، فابن سلام حين يتحدث عن عدي يقول: «وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ومراكز الريف، فلان لسانه، وسهل منطقه، فحمل عليه شيء كثير، وتخليصه شديد، واضطرب فيه خلف الأحمر، وخلط فيه المفضل فأكثر».[1]

وحين يتحدث صاحب المزهر عن هذا المنحول يقول: «أخبرني أبو

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٣١.

عبيدة، أن داود بن متمم بن نويرة، قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميره، فأتيته أنا وابن نوح، فسألناه شعر أبيه متمم، وقمنا له بحاجته، فلما نفذ شعر أبيه، جعل يزيد في الأشعار، ويضعها لنا، وإذا كلام دون كلام متمم، وإذا هو يحتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم، والوقائع التي شهدها، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله».[1]

وجلس عبد القيس بن خفاف البرجمي، ومرة بن سعد بن قريع فعملا هجاء في النعمان ملك الحيرة على لسان النابغة الذبياني.[2]

وقيل أن الأصمعي قرأ على أبي عمرو بن العلاء قصيدة المخبل السعدي الميمية، وسمع أعرابياً من بكر ينشدها لطرفه[3].

وهذه الروايات والأخبار تشير إلى أنّ هناك منحولاً وموضوعاً جاء في شعر تميم، والنحل والوضع ظاهرة بائنة لا في شعر تميم فحسب وإنما في سائر الشعر الجاهلي، كما تشير رواية الأصمعي الأخيرة الى أن في شعر تميم اختلاطاً في نسبة بعض قصائده إلى أصحابها.

وتنهض أدلة مختلفة على هذا الاختلاط:

* القصيدة التي مطلعها:

اني أرقت ولم تأرق معي صاح   لمستكف بعيد النوم نوّاح

تنسب الى أوس بن حجر في ديوانه وتبلغ سبعة وعشرين بيتاً[4] وتنسب إلى عبيد بن الأبرص وهي في ديوانه.[5]

وفي اللسان[6] من القصيدة بيتان لعبيد بن الأبرص وهما من قصيدة له في مختارات ابن الشجري. والبيتان:

فمن بنجوته كمن بعقوته   والمستكنُ كمن يمشي بقرواح

(١) السيوطي: المزهر ١/١٧٥.
(٢) الجاحظ: الحيوان ٤/٣٧٩.
(٣) ياقوت: معجم البلدان ١/٢٢٤.
(٤) أوس بن حجر: ديوانه رقم ٥ ص ١٣
(٥) عبيد بن الأبرص: ديوانه ص ١٣ رقم ٢٨.
(٦) ابن منظور: لسان العرب ٢/٢٧٨.

دان مسف فويق الأرض هيدبُه — يكاد يدفعُه من قامَ بالراحِ

* قصيدة أوس بن غلفاء في وصف القطاه ومطلعها:[1]

أما القطاةُ فاني سوف أنعتُها — نعتاً يوافقُ نعتي بعضَ ما فيها

فهي تنسب الى كثير من الشعراء منهم: مزاحم العقيلي، والعباس الكندي، والعجير السلولي، وعمرو بن عقيل، وغيرهم[2].

ويعترف القالي بأنه لم يستطع بيان اسم قائلها عندما ذكر «لقد كثر مدعو هذه القصيدة فما أدري لمن هي؟»[3]

* وسمع أهل البادية بني سعد يرددون بيت النابغة للزبرقان بن بدر وهو:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له — وتتقي مربض المستثغر الحامي[4].

* وأنشد بنو سعد من تميم لرجل منهم يسمى شقة:

ولست بمستبق أخا لا تلمه — على شعث أي الرجال المهذب

أريتك ان رابتك خلة — فابعد مني شيمة لك اريب

والبيتان المنسوبان الى أوس بن غلفاء وهما:[5]

أجاعلةٌ أمُ الحصين خزايةً — على فراريٍ أن لقيتُ بني عبس

فليس الفرارُ اليومَ عاراً على الفتى — اذا عرفت منه الشجاعةُ بالأمس[6]

وهما منسوبان الى أوس بن حجر في ديوانه[7].

* وهذا البيت من قصيدة لاوس بن حجر[8]:

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا — أصبت حليماً أو أصابك جاهل

ينسب الى زهير بن أبي سلمى[9] في قصيدته التي مطلعها:

---

(١) انظر شعر بني تميم ٤٤٠.
(٢) الاصفهاني: الاغاني ٨/٢٥٥.
(٣) القالي: ذيل الامالي ٢٠٩.
(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٥٧.
(٥) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٥٧.
(٦) انظر شعر بني تميم ٣٤٦
(٧) اوس بن حجر: ديوانه رقم ٢٥ ص ٥١.
(٨) اوس بن حجر: ديوانه رقم ٣٨ ص ٩٩.
(٩) ثعلب: شرح ديوان زهير. طبع دار الكتب ٢٩٣.

لسلمى بشرقي القَنانِ منازل ... ورسم بصحراء اللّبيين حائل

وتنسب قصيدة ضمرة بن ضمرة البائية رقم (١٠) تارة لهمام بن مرة وتارة أخرى لبعض شعراء مذحج، وثالثة لزرافة الباهلي[١].

والاختلاط في هذه الأمثلة نوعان:

الاول: اختلاط بين شعراء تميم وشعراء من قبائل أخرى غير تميم.

الثاني: اختلاط بين شعراء تميم أنفسهم.

أما الأول فقد أدت أسباب الى هذه الاختلاط ومنها التشابه في الوزن والقافية، والمعاني، والمناسبة، والرواية.

وأبيات أوس بن حجر وعبيد بن الابرص تشابهت في الوزن والقافية والمناسبة، فالوزن بحر البسيط، والقافية حرف الحاء، والمناسبة وصف غيث سقط على بلاد نجد.

وقد يبدو لنا أن القصيدة تجمعت من القصيدتين، أو من عدة قصائد، لأنها وردت مصرعة في ثلاثة أماكن، هي:[٢]

ودع لميسَ وداعَ الصارمِ اللاحي ... اذ فنكت في فَسادٍ بعد إصلاح

هبت تلومُ وليست ساعةَ اللاحي ... هلا انتظرت بهذا اللوم إصباحي

إني أرقت ولم تأرق معي صَاحِ ... لمستكفٍ بعيدَ النوم لواح

وقد لا يكون التصريع دليلاً على تجمع القصيدة من عدة قصائد، فعند امرىء القيس مثل هذا في معلقته[٣]. واذن يتبقى أمامنا نسبتها الى أوس بن حجر لسببين:

أولاً: لان المفضل الضبي والأصمعي يجعلناها لأوس بن حجر وهما لا يطعن في روايتهما[٤] ويؤيد هذا ويدعمه الجاحظ في كتابه الحيوان[٥]

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢١٦

(٢) أوس بن حجر: ديوانه ١٣، ١٤، ١٥.

(٣) امرؤ القيس: ديوانه ٣٨.

(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٧٧، ٩٣.
الاصفهاني: الاغاني ١٠/٥.

(٥) الجاحظ: الحيوان ٦/١٣٢.

وثانياً: لأن أماكن ومنازل تميم وردت في القصيدة مثل شطب وهو جبل معروف في بلاد تميم ذات المطر الغزير والمرعى الخصيب[1].

وقصيدة أوس بن غلفاء الهجيمي تعود الى نفس أسباب التشابه في الوزن والقافية، والمناسبة، فهي حائية، ومن بحر البسيط، وفي وصف القطاة، وقد يبدو أن القصيدة تجمعت من أبيات شعراء تبارزوا في وصف القطاة، كما أضيفت اليها أبيات أخرى، فأصبحت مطولة تحمل روحاً غير جاهلية كهذا البيت[2].

بني لـه في بيـوت المجـد والده   وليس من، ليس يبنيها، كبـانيهـا

الأمر الذي يدعونا الى استبعاد مثل هذه الأبيات، أما إدعاء بني سعد لأبيات النابغة الذبياني، مرة لشقه، وأخرى للزبرقان فشقه ليس منهم وإنما اذا صح ذلك فهو من بني نهشل مما يجعلنا في حل من نسبة البيت اليهم، وكذلك الأمر بالنسبة للزبرقان فقد يكون استعان ببيت النابغة ورواه على هذا الوجه[3]:

إن الذئاب ترى من لا كلاب لـه   وتحتمي مـربـض المستنفـر الحامـي

والأمر في بيت أوس أنه جاء نتيجة للرواية والتلمذة، فعند أوس ما يماثله وليس عند زهير كذلك.

أما قصيدة ضمرة فالذي أراه أن ضمرة لم يقل هذا الشعر، لأننا لا نعرف له أخا اسمه جندب وكان ضمرة باراً بأمه فلا يعقل أن تؤثر أحداً من اخوته عليه وكيـف تفعـل؟ وـضمـرة منيـع الجانـب، عظيم الشـأن، في رهطه وعشيرته. ثم ان القصيدة مختلف في قائلها، والذي نقبله ان يكون هذا الشعر لرجل كان أهله يؤثرون عليه أخاه جندباً[4].

ونخلص من كل هذه الأمثلة الى أن نثبت لأوس قصيدته الحائية، ونضيف

---

(١) البكري: معجم ما استعجم ٤٣٩.
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٤٦.
(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٥٦.
(٤) د. المعيني: شعر بني تميم ٢٩٠.

اليه البيت الأخير من قصيدته اللامية، ونبقى على جانب من قصيدة أوس بن غلفاء في وصف القطاة، وننفي نسبة البيتين ال الزبرقان، كما ننفي نسبة القصيدة البائية لضمرة بن حمزة.

وهناك أسباب أخرى لهذا الاختلاط فتشابه الأسماء أحد تلك الأسباب، وقصيدة عمرو بن الاهتم السعدي رقم (٥) من اشعاره منسوبة الى عمرو بن الايهم التغلبي[١]، وليس عندنا إجماع على أنها لاحدهم.

وأما القسم الثاني، وهو الاختلاط بين شعراء تميم أنفسهم فهو أمر ميسور، ولا يشكل معضلة، بل هو لا يهمنا في كثير أو قليل، ما دام من شعر تميم. ويدخل ضمن نطاق دراسة الشعر عندها، فاوس بن حجر، وأوس بن غلفاء من شعراء تميم.

ومثل هذا المختلط كثير في اشعارهم، اذ نجد اختلاطاً بين شعراء البطون والعشائر في تميم فالمقطوعة رقم (٤) من شعر حريث بن سلمة المازني تنسب الى الأشهب بن رميلة السعدي[٢]، والمقطوعة رقم (٥) من شعر دختنوس الدارمية منسوبة الى ثعلبة بن يربوع[٣]، وشعر ذي الخرق الطهوي يختلط بشعر ذي الخرق اليربوعي أو شعر ذي الخرق الدارمي[٤].

ونجد اختلاطاً في شعر شعراء العشيرة الواحدة أو البطن الواحد. فقصيدة زيد بن عمرو الرياحي في يوم طخفة تنسب الى شريح بن الحارث الرياحي[٥]، ورجز قيس بن عاصم السعدي رقم (١٠)، من أشعاره منسوب الى رجل من بني سعد[٦]، ورجز لقيط بن زرارة في ابنته دختنوس منسوب الى ابن عمه عمرو بن عمرو بن عدس[٧].

---

(١) انظر شعر بني تمم ١٦٥

(٢) انظر شعر بني تميم ٢٠٥

(٣) انظر شعر بني تميم ٣٣٣

(٤) انظر شعر بني تمم ٤١٣

(٥) انظر شعر بني تميم ٢٥٤.

(٦) د المعني شعر بني تمم ١٤٢

(٧) المصدر السابق نفسه.

ويكـون الاختلاط في شعـر شعـراء الأسرة الواحـدة، والبيـت الواحـد فمقطوعة لقيط بن زرارة رقم (٨) تنسب الى أخيه حاجب بن زرارة[١]، وقصيدة ذؤيب بن كعب منسوبة الى أبيه كعب بن عمرو[٢]، ومقطوعة ربيعة ابن مالك منسوبة الى ابنه سعد بن ربيعة[٣]، والقصيدة رقم (٦) في ديوان علقمة منسوبة الى ابنه علي، ورقم (٨) منسوبة الى ابنه خالد ورقم (٩) منسوبة الى حفيده عبد الرحمن[٤].

ومن كل ما ذكرنا في ظاهرة الضياع، وفي ظاهرة الانتحال والاختلاط ندرك أن جانباً من شعر تميم قد ضاع، وهو أمر يتفق وضياع سائر الشعر الجاهلي، ولسنا معنيين بامره ما دام قد ضاع ولم يصل الينا، وندرك أن جانباً ثانياً قد اختلط مع غيره ونحله الاخرون وقلنا فيه الرأي.

ويبقى جانب ثالث من شعر القبيلة وهو الذي يحتاج الى تدقيق وتوثيق، فما السبيل الى توثيقه؟

---

(١) انظر شعر بني تميم ٣١١.
(٢) انظر شعر بني تميم ٤٨٣.
(٣) انظر شعر بني تميم ٣٥.
(٤) علقمة الفحل: ديوانه ١٠٦، ١٠٩، ١١١.

توثيق الشعر

مادة شعر تميم التي وصلت الينا كثيرة، وهذه الكثرة متوقعة في قبيلة كثيرة البطون والعشائر، وفيرة الشعراء مثل تميم. وهذه الكثرة ليست مستغربة في قبيلة لها رياسة أدبية في عكاظ، ولغتها لها مقامها عند علماء اللغة، اذ كانت أبرز لغات القبائل في الجانب الشرقي من جزيرة العرب.

لكن هذه المادة الشعرية، وهذا المجموع من شعر تميم، لم يسلم من الشك، وإنما عرفنا من يمد اليه اصابع الإتهام، فكيف ندفع عنه الظنون، ونبرزه موثقاً سليماً ؟

ونحن ندرك أن العلماء القدامى ذكروا مقاييس التوثيق فما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج عنه[1]، ونعلم أيضاً أن المحدثين ابانوا مناهج في التوثيق، وعالجوا القضية، ووقفوا عندها طويلاً[2].

وفي توثيقنا لشعر تميم نتناول من مقاييس القدامى، ومناهج المحدثين، سبيلين نرتضيهما: الاول: الرواة. والثاني: النصوص الشعرية.

وأول ما يقابلنا من شعر تميم شعر الدواوين التي وصلت الينا برواية علماء اللغة، فديوان علقمة الفحل برواية الأصمعي والقالي، وديوان سلامة بن جندل برواية الأصمعي والشيباني، وديوان عدي بن زيد برواية ابن الأعرابي والسكري، وديوان أوس بن حجر برواية ابن السكيت وديوان الأسود بن يعفر برواية البكري، وشعر عبده بن الطبيب برواية القالي.

وهؤلاء العلماء جميعاً من الرواة الثقات، ومن البصيرين بالشعر واللغة، ومن أئمة البصريين والكوفيين، ولذا نطمئن الى أن الشعر الذي ورد برواياتهم في هذه

---

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٢٣، وفي الشعر والشعراء ١/١٤، وفي الحيوان ٣/٤٩. ٤/٢٤٨. وفي السيرة النبوية ١/٢٤٧.

(٢) دكتور ناصر الدين الاسد: مصادر الشعر الجاهلي ٤٦٥، دكتور طه حسين: في الادب الجاهلي ٢٦٥. دكتور شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٦٥، وفي مجلة المجلة ١٩٧٠، وفي اللغة الشاعرة ١٢٣. وفي الحياة العربية في الشعر الجاهلي ٣٦.

الدواوين شعر موثق وسليم.

واذا أردنا أن نكون أكثر حذراً، واستثنينا قلة من الأبيات والمقطوعات المنسوبة الى غير الشعراء أصحاب الدواوين[1]، فانه يتبقى لدينا مجموعة موثقة وصالحة تبلغ أكثر من نصف شعر تميم.

وبعد هذا الاطمئنان الى توثيق اكثر من نصف شعر تميم نتقدم الى النصف الآخر وأمامنا من مصادره مجموعة المختارات والحماسات، فقصائد أوس بن غلفاء، وثعلبة بن صعير، وضمرة بن ضمرة، وعبد القيس بن خفاف، وعمرو بن الاهتم، والكلحبة اليربوعي، ومتمم بن نويرة، والمخبل السعدي، وكلها في المفضليات[2].

وقصائد طريف العنبري، ومالك بن نويرة، وذي الخرق الطهوي وسحيم ابن وثيل، وضابىء بن الحارث، وعمرو بن الأسود، وكلها في الأصمعيات[3].

ومقطوعات أكثم بن صيفي، والبراء بن قيس، وضمرة بن جابر، والمستوغر ابن ربيعة، وتوبة بن مضرس، وعمرو بن الأسود، والسليك بن عمرو، وصعصعة بن ناجية وغيرهم وكلها في الحماسة للبحتري[4].

واذا استثنينا قصيدة عمرو بن الأسود الطهوي في الاصمعيات[5] لاختلاف الروايات حولها، ولانها جاءت في يوم ذي قار، وتميم لم تشترك في

---

(١) علقمة الفحل: ديوانه ١١١، ١٠٩، ١٠٦، ١١٧، ١٣٦ سلامه بن جندل: ديوانه ذيل الديوان أرقام ٨، ٩، ١٤، ٢٧ الاسود بن يعفر: ديوانه ٦٤، ٦٢، ٦١.
عبده بن الطبيب: شعره ٨٤، ٩٣، ٩٤.
عدي بن زيد: ديوانه ١٠٧، ١٠٥، ١١٧، ١٠٣.
أوس بن حجر: ديوانه ٥١، ٩٢، ١٣٣، ١٣٦.

(٢) انظر شعرهم في شعر بني تميم. وقد اغفلنا قصيدة السفاح اليربوعي في المفضليات لاضطراب الروايات حولها، ولاننا لم نستطع أن نرفع نسب الشاعر الى جد القبيلة، ولم نثبت من الزمن الذي عاش فيه.

(٣) انظر شعرهم في شعر بني تميم. واغفلنا كذلك قصيدة دوسر بن ذهيل في الاصمعيات لأننا لم نتمكن من معرفة زمن الشاعر ونسبه.

(٤) انظر شعرهم في شعر بني تميم.

(٥) انظر شعر بني تميم ٤١٣.

هذا اليوم، وأضفنا الى كل هذه القصائد قصيدتين للمخبل السعدي احداهما في الاختيارين[١] والأخرى في منتهى الطلب من أشعار العرب[٢] فان مجموع المادة الشعرية التي وجدناها في الاختيارات والحماسات تبلغ أكثر من خمسمائة بيت، وقيمة هذا المجموع الشعري أنه جاء برواية المفضل الضبي والأصمعي والبحتري والأخفش وابن المبارك وكلهم من الرواة الثقاة، فهو اذن مجموع شعري موثق وصحيح.

وهذا المجموع الشعري الموثق في المختارات والحماسات يبلغ ما يقرب من ثلث مادة الشعر الذي قمنا بجمعه لقبيلة تميم.

ووجدنا ثلثاً آخر من شعر تميم في النقائض لابي عبيدة[٣] وفي الأغاني للأصفهاني[٤] وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة[٥] وفي النوادر لابي زيد[٦] الأنصاري، وفي الأمالي للقالي[٧]، وهؤلاء العلماء من القرنين الثالث والرابع الهجري. وهم ثقاة عدول وبذلك نضيف هذا القسم الى الشعر الموثق السليم.

ومن شعراء تميم في هذه المصادر غير الذين ذكروا، عتيبة بن الحارث وعميرة بن طارق، ومالك بن حطان، وحذيفة بن بدر، وعمرو بن حوط، ونعيم بن عتاب، وقيس بن عاصم، وزيد بن عمرو وجويرية بن بدر، والحكم ابن عمرو، وقيس بن مقلد، وعصمة بن حدره وشميت بن زنباع، وسفيان ابن مجاشع، وحريث بن سامة، وأوفى بن مطر، والعوراء السليطية، ودختنوس بنت لقيط، وحرى بن ضمرة، وشمّاس بن الأسود وغيرهم.

---

(١) انظر شعر بني تميم ١٠٣، وفي الاختيارين ٦٩٣.

(٢) انظر شعر بني تميم ٢١٠٣، وفي منتهى الطلب، مخطوط ١٢٦٣٢ أدب ش.

(٣) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق، صفحات ١/٤، ١/٢٣، ١/٤٤، ١/٦٣، ١/٦٥، ١/٦٦، ١/٦٧، ١/٧٠، ١/١٣٢، ١/١٣٧، ١/١٤١، ٢/١٦، ٢/١٧، ٢/٢٢، ٢/٣٥، ٢/٣٤، ٢/٤٥، ٢/١٢٣، ٢/١٣٩، ٢/١٥٨، ٢/١٩٦.

(٤) الأصفهاني: الاغاني ١٢/١٤٩ بولاق، ١٤/١٦ ثقافة، ٧/١٥٢ بولاق، ٨/٢٤٤ ثقافة، ١٨/١٣٣، بولاق، ٢٠/٣٤٦ ثقافة، ١٢/٤٠ بولاق، ١٣/١٩٠ ثقافة، ١٦/١٥٩ بولاق، ١٨/٦٠ ثقافة

(٥) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢/٦٣٣، ٢/٦٣٢، ١٢/٢٦٧، ١/٣٨٤، ١/٣٨٢، ١/٢٤٨.

(٦) أبو زيد الأنصاري: النوادر في اللغة ١٦١، ٥٥، ٢٥٣، ٢، ١٥٥، ٦٦، ١٤٦، ١٤٣، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٢٣، ١١٩، ١١٨، ١١٤٠.

(٧) القالي: الأمالي ١٠٧، وفي ذيل الامالي ٨١، ٩٢.

ويبقى أمامنا الثلث الأخير من شعر تميم، ونعترف أن فيه مجموعة موضوعة فهي مرفوضة منها:

- قصيدة ضمرة بن ضمرة التي مطلعها[١]

يا جندب أخبرني ولست بمخبري   واخوك ناصحك الذي لا يكذب

فهي منسوبة الى بعض بني مذجج، والى زرافة الباهلي، والى ابن أحمر الكناني، وهي تخبرنا بأن أم ضمرة كانت تؤثر عليه أخاه جندباً ونحن لا نعرف جندباً هذا بين اخوة ضمرة وننكر أن يكون في اخوته من يتفوق عليه في الشعر والفروسية والجاه والا لما أغفل الرواة ذكره، ولهذا قلنا أن هذا الشعر ليس لضمرة وإنما هو لرجل كان أهله يؤثرون عليه أخاه جندباً.

- وقصيدة أوس بن غلفاء في وصف القطاة فكثير من أبياتها ليس لابن غلفاء وبعض أبياتها لا تمثل الروح الجاهلية[٢].

- وبيت أوفى بن مطر[٣]

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر   لبست ولا من غدره اتقنع

ففيه الروح الاسلامية بائنة.

- وقصيدة جندب بن العنبر التي بدايتها[٤]:

ليس زين الفتى الجمال ولكن   زينه الضرب بالحسام التليد

ففيها سهولة بائنة.

- وقصيدة لقيط في يوم رحرحان ومطلعها:[٥]

فأما نهشل وبنو فقيم   فلم يصبر لنا منهم صبور

فهي في هزيمة تميم وليست في انتصارها.

- وانفرد ابن منقذ برواية قصيدة لأكثم بن صيفي مطلعها[٦]:

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٧٦.
(٢) انظر شعر بني تميم ٤٤١.
(٣) انظر شعر بني تميم ٣٩٠.
(٤) انظر شعر بني تميم ٤٧٠.
(٥) انظر شعر بني تميم ٣١١.
(٦) انظر شعر بني تميم ٤٧٦.

أيسأل رسم الدار والدار قلبه   واني لها ما قد حواه من الوجد

واذا اكتفينا بهذه الأمثلة ورفضناها، ورفضنا كذلك كل شعر مختلف فيه من شعر تميم الذي جمعناه، يتبقى لدينا مجموعة ثالثة في مصادرها المختلفة، لا سبيل الى الشك أو الطعن فيها، وتصل هذه المجموعة الى أكثر من نصف الثلث الأخير من شعر تميم.

والآن وبعد أن اعتمدنا مقاييس التوثيق من حيث الرواة الثقاة العدول وفي مجال النصوص الأدبية التي لا تحمل الروح الاسلامية[1]، ولا تخضع لخلاف في روايتها، وتمثل البيئة الجاهلية، نكون قد وثقنا مجموعة صالحة من شعر تميم، وجاء قسم منها في دواوين مطبوعة ومحققة، وفيها قسم قمنا بجمعه وتحقيقه وتخريجه، الأمر الذي يجعلنا نسير إلى دراسة هذا الشعر بعد أن تحققنا من قيمته التاريخية، ونحن أكثر اطمئناناً وأوضح سبيلا.

(١) اعتبر العلماء الرواة الشعراء المخضرمين جاهليين، فابن سلام ادخل في طبقات فحول الشعراء الجاهليين المخبل السعدي، وضابيء بن الحارث، وحريث بن سلمة ومتمم بن نويرة، وعد الثعالبي في «الموشح ص ٧٥» عمرو بن الاهتم والزبرقان جاهليين، والباحثون المحدثون يعتبرون المخضرمين جاهليين أيضاً كما في «الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٣٠٥، ٣٢٦، ٤٤٩» للدكتور احمد الحوفي. وفي «شعر الحرب ٣٤١». للدكتور علي الجندي.

وعاش أكثر المخضرمين حتى خلافة عمر بن الخطاب، وهي فترة لا تزيد عن بضع عشرة سنة، ولم تؤثر تأثيراً مباشراً وقوياً في اشعارهم، بل لم يكن لظهور مبادىء الاسلام تأثير واضح في شعرهم، فقد استمروا ينهجون نهج الجاهلية في المعاني والاخيلة والموضوعات، حتى أن متمم بن نويرة في رثائه لاخيه مالك يحدث عن الخمر والميسر وغيرهما من العادات التي ابطلها الاسلام، ونهى عنها. ولهذا كله ادخلنا هؤلاء في دراستنا وجاءت شواهد من شعرهم في هذه الدراسة.

الفصل الثالث
الدراسة الموضوعية

١ ـ شعر الحرب
٢ ـ الرثاء.
٣ ـ شعر الطبيعة.
٤ ـ موضوعات أخرى.

السبيل الذي نمضي فيه الى شعر تميم هو أن ندرس هذا الشعر على أنه يمثل اتجاهاً معيناً، ولوناً متميزاً، وانه شعر مجموعة من الشعراء يجتمعون على سمات مشتركة، ويلتقون في خصائص متشابهة.

ولذا فإننا لن نتخذ الترتيب الزمني أساساً لهذه الدراسة، لأمر بسيط، وهو أننا لا نعرف تاريخ قصائد الشعر، أو الزمن الذي قيلت فيه، كما لن نعمد الى الوقوف عند الفنون الشعرية لكل شاعر في القبيلة، لأننا نريد أن ندرس الشعر على أنه يمثل «شخصية» مميزة.

واذن كيف يستقيم لنا درس هذا الشعر؟

ليس أمامنا غير القبيلة، فإن شعر تميم في أكثره جاء في موضوعات تدور حول محور القبيلة.

فالقبيلة محاربة، وشعرها يحارب، والقبيلة تفقد من فرسانها ورجالها، وشعرها يرثى موتاها. واذا تجاوزنا الحرب والرثاء، فإن الطبيعة في منازل القبيلة وديارها تكون موضوعاً مهماً، فالطبيعة تظل مهمة للشعراء، ومفجرة لينابيع الشاعرية عندهم.

وتكون الموضوعات الثلاثة: الحرب، والرثاء، والطبيعة، أكثر الموضوعات دوراناً في شعر القبيلة.

فإذا قبلنا هذا السبيل يتبقى لدينا بقية من موضوعات تناولها الشعر في مجالات الأخلاق والهجاء والغزل بنتظيمها قسم واحد فيكون عندنا أربعة أقسام هي: الحرب، والرثاء، والطبيعة، وموضوعات أخرى.

شعر الحرب:

عرفنا أن قبيلة تميم كانت ذات رياسة، وفيها شرف وعزة، ولها أمجاد، فهي تحتاج القوة أبداً، لتحافظ على هذه المفاخر الكبيرة، وأية قوة هذه التي

تحتاجها القبيلة؟ هل ثمة قوة أمنع من الحرب والقتال؟

لقد انبرى الفرسان والرجال في القبيلة يقاتلون في «الايام والحروب» وعلى جميع الجبهات، ويحققون الانتصارات، ويرفعون رايات الفخار.

وراح الشعراء يتغنون بهذه الانتصارات، ويفخرون بهذه البطولات، ويشيدون بهذه «الايام»، وكاد شعر تميم يكون كله شعر حرب، وكأن هذا الشعر لم يترك صغيرة، ولا كبيرة الا ذكرها وأبرزها.

فقد تحدث شعر القتال في تميم عن أيام القبيلة، وجبهات قتالها، وساحات معاركها، وفخر بفرسانها، وأشاد بانتصاراتها، ووصف أسلحتها، وخيولها، ولم ينس أسراها، وغنائمها، وأموراً أخرى تتصل بحربها.

ونحن حريصون على أن نتتبع أيام القبيلة من خلال شعرها، وفي كل جبهات قتالها لتكون «وثيقة» في «سجل» القبيلة وانتصاراتها، وتفوقها الحربي الذي مكنّها من رياسة المواسم والأسواق، وحفظ لها الهيبة بين سائر القبائل المجاورة، والدول المتاخمة. وكان القتال على كل الجبهات من حول تميم، في مناطق النفوذ الفارسي، وعلى تخوم المناذرة والغساسنة: وفي أعماق اليمن القحطانية، وبين مضارب القبائل، كل هذه الأماكن كانت ساحات حرب وأرض قتال.

ونبدأ بأولها مع فارس، ففي يوم الصفقة[1] لم يستطع صاحب حصن المشقر أن يغزو تميماً في عاصمتها «الدهناء»، وإنما عمد الى حيلة منكرة عندما حضرت تميم للميرة في اسواق المشقر، فجعل يدخل رجالها من باب الحصن، ويضرب رأس كل تميمي يلج الى الداخل، حتى اذا طالت غيبة الرجال، بدأ الشك يساور نفوس البقية خارج الحصن، ولم يطق أحدهم صبراً، فامتشق سيفه، وضرب رتاج الباب، واندفع الى الداخل، ليجد مذبحه رهيبة، ومقتلة كبيرة، ويدور قتال مخيف، تثبت فيه تميم، وتثأر لرجالها، ويعلن شاعرها

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٦/٧٥، العمدة ٢/٢١٧.

معتزاً بقوة ضربته التي حطمت رتاج باب المشقر، وحمت ذمار تميم فيقول[1].

الأهل أتى قومي على النأي انني   حميت ذماري يوم باب المشقر
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة   تفرج منها كل باب مضبر

ويبلغ مذحجا ما فعلته فارس في مذبحة المشقر، فتهتبل الفرصة لغارة على تميم قبل أن تضمد جراحها، وتجتمع همدان وقضاعة، ويقود هذه الجموع عبد يغوث الحارثي[2]، وتصل أنباء المغيرين الى مسامع رجل تميمي، فيسرع مخبراً قومه بجموع اليمن الزاحفة في يوم الكُلاب الثاني، وتعصب تميم جراحها، وتستعد للقاء اعدائها، بصلابة سيفها، وعمق ضرباتها، وتثخن اليمن جراحاً، وتفل جموعها، وتهزمها هزيمة مروعة، وتأسر قائدها، عبد يغوث، ويأخذ قيس بن عاصم على نفسه عهدا بأن لا يقتل الا الفرسان فليس من المروءة قتل غيرهم، ويطعن صدور المذحجين طعناً صائباً وهو يرتجز[3]:

لما تولوا عصباً شوازبا   اقسمت لا أطعن الا راكبا
إني وجدت الطعن فيهم صائبا

وحدث أوس بن مغراء عن يوم الكُلاب الثاني، مفتخراً بانتصار قومه بني تميم، مسجلاً هزيمة القبائل اليمنية المتحالفة: مذحج، وجرم، وهمدان، وكنده وحمير.

وفي يوم الكلاب اذ اعترانا   قبائلُ اقبلوا متناسبينا[4]
قبائلُ مذحج اجتمعت وجرمٌ   وهمدانٌ وكندةُ اجمعينا
وحميرُ، ثم ساروا في لُهام   على جُرد جميعاً قادرينا
قتلنا منهم قتلى وولى   شريدهُم شعاعاً هاربينا

وفي يوم العذيب قتلت القحطانية وعذبت، وانهزمت جموع اليمن تجر

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/١٧٠.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٣٥٤.
(٣) الأصفهاني: الأغاني ١٦/٣٣٢
(٤) انظر شعر بني تميم ٩٧.

أثواب العار، ويسجل سلامة بن جندل شاعر تميم هذا النصر قائلاً[1]:

والحي قحطانُ قدما ما يـزال لها منا وقائعُ من قتـل وتعـذيـبِ
لما التقـى مشهـدٌ منـا ومشهـدُهـم يوم العُذيب وفي أيـام تحريـب
ولى أبـو كـربٍ منـا بمهجتــه وصاحباه على قـود سراحيـب

وقبل يوم الكُلاب ويوم العذيب يتقدم الأضبط بن قريع[2]، يجر جيشاً الى قبائل اليمن[3] ويصل الى صنعاء، ويمكث حولاً كاملاً يقتل وينهب ويسبي.

وشفيـت نفسي مـن ذوي يمن بالطعـن في اللبات والضرب[4]
قتلتهــــم والجت بلــــدتهم وأقمـت حـولاً كـاملاً أسبـى

وكان لتميم أيام أخرى مع اليمن أشارت اليها المصادر ومنها يوم الذخيخ[5] ويوم نجران[6]، ويوم ذي ذرائح[7]، وفيها جميعاً كان النصر الى جانب تميم.

وهكذا كان سيف تميم حصناً قوياً في الجبهة الجنوبية، وأكثر من هذا، فقد تركت صعلوكها السليك يغير على قبائل اليمن في شكل حرب «فردية» فينهب ويقتل ويغنم، ويعود ظافراً، من أرض مراد وخثعم[8].

هذه هي تميم قبيلة حرب، تنتزع السيادة، وتبقي لها القيادة، والتفوق العسكري، مع الفرس في الشرق، ومع اليمن في الجنوب.

* * *

وكان التميميون قوماً لقاحا، ومن أشد القبائل مراسا، ومن أكثرها اغارة على تخوم الحيرة[9]. ولم يكن المناذرة بقادرين على اخضاعهم، ومنع غاراتهم،

---

(١) د. فخر الدين قباوة: سلامة بن جندل ١٣٨، وانظر ابن رشيق ٢٠٧/٢.
(٢) في يوم صنعاء اغار الاضبط بن قريع في بني سعد وبني ضبة وجموع من تميم عن اليمن في النقائض ١٥٠/٢، وانظر شعر بني تميم ٣٦
(٣) ابن حبيب: المجهر ٤٣٧ ـ الاضبط من الجرارين.
(٤) ياقوت: معجم البلدان ٢١٩/١، وانظر شعر الاضبط في بني سعد
(٥) الميدان: مجمع الأمثال ٥٢٨/٢، وفي النقائض ١٥٠/٢.
(٦) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٤٤/١ وابن رشيق في العمدة ١٢٠١/٢.
(٧) المصدر السابق نفسه ٥٣١/٢.
(٨) الأصفهاني: الأغاني ٣٧٥/٢ وانظر شعر بني تميم ٥١
(٩) ابو عبيدة: النقائض ٦/٢، ٦١/١.

فجنحوا للسلم معهم، وتقربوا اليهم، ومنحوهم منصب الردافة، وكانت في بني يربوع أقوى البطون المقاتلة من تميم، ولعتاب بن هرمي اليربوعي[1]. وفي أولاده من بعده.

وبعد زمن أراد المناذرة الغاء الردافة، أو نقلها الى بطن أخر، وكانت مجاشع تطمع فيها للحارث بن بيبه المجاشعي، وأبي اليربوعيون التنازل عن حقهم ورياستهم، فحشدوا للمناذرة، وتحصنوا في طخفة، وجاء جيش المناذرة يقوده قابوس بن المنذر وعمه حسان، وخرجت يربوع من شعاب طخفة، وأطبقت على جيش قابوس تقتل، وتطعن، وضرب طارق بن حصبة فرس قابوس، واسره وأراد جز ناصيته «لولا أن الملوك لا تجز نواصيها»، وأما حسان، فاسره عمرو بن جوين، وهُزم جيش المناذرة، وأخذت يربوع أسلابهم، وفخر اليربوعيون بهذا النصر العظيم، والشرف الضخم، ولم لا يفتخرون؟ ألم يرغموا أبا قابوس على قبولهم في منصب الردافة؟ فأي شرف أسمى وأضخم من هذا؟ وسجل شعر تميم هذا النصر الكبير، وأذاع شعراء يربوع نبأ الانتصار فقال شاعرهم[2]

وكنت إذا ما بابُ ملك قرعته	قرعت بآباء أولى شرف ضخم
بابناء يربوع وكان ابوهم	الى الشرف الاعلى بابائه ينمى
هم ملكوا املاك آل محرق	وزادوا ابا قابوس رغماً على رغم
علا جدهم جد الملوك فأطلقوا	بطخفة ابناء الملوك على الحكم

ويفخر متمم بن نويرة بيوم طخفة مصوراً هوان قابوس وكيف عاد يحمل الهزيمة للمناذرة بعد أن حمل الموت لبني يربوع[3].

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما	رأى القوم منه الموت والخيلُ تُلحَبُ

ولم يفت عمرو بن حوط الرياحي. أن يسجل نصر قومه في هذا اليوم،

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٧٦/٢، وابن الاثير: الكامل في التاريخ ٣٩٦/١، والعقد الفريد ٣٥٩/٣، والنقائض ٦١/١.
(٢) انظر شعر بني تميم ٢٥٤، ويوم طخفة هو نفس يوم ذات كهف «العمدة ٢٠١/٢».
(٣) متمم بن نويرة: شعره ٨٦.

فتباهى برفضهم سيطرة المناذرة في طخفة، وكيف ترك اليربوعيون صدور المناذرة تتميز غيظاً وكمدا، وعادوا تخفق راياتهم وترفرف أعلامهم.

قسطنا يوم طخفة غير شك على قابوس اذكره الصباح[1]
لعمر ابيك والانباء تنمى لنعم الحي في الجلّى رياح
ورحنا تخفق الرايات فينا وأبنا والملوك لهم أحاحُ

وعلى امتداد الجبهة الاطول شمالاً وغرباً مع القبائل العربية ظل سيف تميم قوياً صلباً، عنيداً شديداً، يفرض للقبيلة هيبتها، ويفسح لها مكان الصدارة ويوجد أسباب السيادة، والتفوق العسكري على غيرها.

وأكثر هذه الجبهة عنفاً وأشدها ضراوة مع بكر بن وائل فأكثر ايام تميم كانت حربا مع بكر لذا نجد الخلاف بينهما قد لج جداً، واستحكم العداء وازداد بينهما ضراوة وعنفاً حتى أن طريفاً العنبري أعلن على مسامع القبائل معاداته لكل بكرى[2]:

ولكل بكرى لدي عداوة وأبو ربيعة شأنى ومحلَّمُ

واشتد الخصام بين القبيلتن حتى صار كل بكري وتميمي اذا لقي أحدهما الآخر هم بقتله[3] ولعل التنافس القبلي، والصراع على السيادة والمكانة المرموقة، ومظاهر التفوق العسكري أهم اسباب هذا العداء بين القبيلتين وايا كانت الأسباب فإن النصر ظل حليف تميم في أكثر أيام قتالها مع بكر بن وائل.

ففي يوم الجذود[4] جمع الحارث بن شريك الشيباني ذهلاً، واللهازم، وبني شيبان من بكر بن وائل، وغزا تميماً بأرض جدود، فأصاب نعما وسبيا وعاد، وتلحق به جموع تميم، وتقتله قتالاً مريراً، وتمزق شمل بكر بن وائل فتولى الأدبار، وتلجأ الى الفرار حتى رئيسها الحارث بن شريك يطلق العنان لفرسه

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٣١.
(٢) انظر شعر بني تميم ٤٥٨.
(٣) البكري: التنبيه ١٨.
(٤) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١٣٢/١.

ويلحق به قيس بن عاصم التميمي، ويحفزه بالرمح فسمى الحوفزان. أنها سمة الهزيمة لبكر بن وائل، وراية النصر لتميم، وتعود القبيلة بكل ما أخذ منها، وبأسرى اعدائها من بكر بن وائل. ويسجل الشعر فخراً واعتزازاً لتميم على لسان سلامة بن جندل[1].

وان تسأل الحي من وائل   تنبئك عجل وشيبانُها
بوادي جدود وقد غودرت   بضيق السنابك اعطانُها

وفي هذا اليوم فخر قيس بن عاصم بقوة السعديين وحمايتهم لبني تميم فقال:[2]:

عصمنا تميماً في الحروب فأصبحت   يلوذ بنا ذو وفرها وفقيرها

وسجل شاعر تميم تلك السيادة والتفوق عندما قال[3]

قضى الله أنا - يوم نقتسم العلا   احق بها منكم فاعطى واجزلا

ومرة أخرى يتقدم الحوفزان في بني شيبان، ومعه أبجر العجلي في اللهازم، ويغيرون على تميم في أرض ذي طلوح[4]، ويسرع عميرة بن طارق، وكان متزوجاً أخت أبجر، فيخبر قومه بغارة بكر بن وائل وتستعد يربوع، وتلتقي مع البكريين في حرب قاسية، يؤسر فيها الحوفزان هذه المرة، كما يؤسر ابجر العجلي، وتأخذ تميم غيرهما أسرى آخرين، وتغنم غنائم كثيرة.

وسجل عميرة بن طارق نصر تميم في ذي طلوح على بني شيبان الذين لم يحفظوا قربه فيهم، وفضله بينهم، وكان قد نصحهم بعدم غزو تميم، الا انهم أشاحوا عنه فقال[5]:

ألا أبلغا أبا حمار رسالة   وأبجر اني عنكما غير غافلُ
نهيتكم حتى اتهمتم نصيحتي   وانبأتكم في الحي ما أنا فاعلُ
وأبلغ بني عجل الم يك فيهم   لقرباي راع أو لفضلي حاملُ

---

(1) سلامة بن جندل: ديوانه ٢٥٤.
(2) انظر شعر بني تميم ١٤٣.
(3) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/١٣٣.
(4) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٦٧، ابن رشيق: العمدة ١/٢٠١.
(5) انظر شعر بني تميم ٢١٩.

فيهديهم اذا اخطأوا قصد سبلهم ولا يبتغوا وسط العدو غوائل

ومرة ثالثة يتقدم الحوفزان بعد أن افتدى نفسه، ومعه هذه المرة بسطام ابن قيس أعظم فرسان بكر، وزحف القائدان ـ الحوفزان وبسطام ـ على تميم في صحراء فلج وغبيط المدرة[1]. واكتسحا ابل تميم، وتحشد القبيلة أقوى فرسانها من بني يربوع، وتلحق بالبكريين، وتقاتلهم قتالاً رهيباً، ويؤسر بسطام بن قيس من قبل عتيبة بن الحارث فارس يربوع الذي يسجل هذا النصر العظيم لتميم، ويفخر على شيبان بأخذ فارسهم أسيراً.

أبلغ سراة بني شيبان مألكة أني أبأت بعبدالله بسطاما[2]

قاظ الشربة في قيد وسلسلة صوت الحديد يغنيه اذا قاما

وفي يوم مخطط تُهزم بكر بن وائل وتصل الى مسامع مالك بن نويرة أخبار النصر الكبير لتميم فيقول[3]:

إلا أكن لاقيت يوم مخطط فقد خبّر الركبان ما أتودد

وفي يوم قحقح تلحق الهزيمة ببكر بن وائل، ويقتل الفارسان: عمرو بن القريم، والمجبة الذهلي، ويذيع خبر هذا اليوم سحيم بن وثيل فيقول:[4]

ونحن تركنا ابن القريمَ بقحقح صريعاً ومولاه المجبةَ للفم

وفي يوم ثيتل والنباج[5] انهزم البكريون، وظفر التميميون بقيادة قيس بن عاصم وفخر شاعرهم بهذا القائد التميمي فقال:[6]

وأنت الذي حربت بكرَ بن وائل وقد عضلت منها النباج وثيتل

وماذا أيضاً، أيام كثيرة، وانتصارات عظيمة، سجلها شعر تميم في هزائم بكر بن وائل[7]:

ألم ينه عنا فخرَ بكرِ بن وائلٍ هزيمتهم من كلِّ يومٍ لزامِ

---

(١) ا... عبدة: النقائض بين جرير والفرزدق ١/٦٩، وفي العقد الفريد ٥/١٩٦.

(٢) انظر شعر بني تميم ٢١٨.

(٣) مالك ومتمم: شعرهما ص ٥٩.

(٤) انظر شعر بني تميم ٢٥٨

(٥) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/٣٩٧، وفي أيام العرب في الجاهلية ١٧٥.

(٦) انظر شعر بني تميم ٢٦٦.

(٧) مالك ومتمم: شعرهما ٧٨

وتحدى وداك بن ثميل المازني بكر بن وائل وعين مكان المعركة بينه وبينهم في سفوان فقال:[1]

روبد بني شيبان بعضَ وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان
عليها الكُماةُ الغرُ من آل مازن ليوثٌ طعانٌ عند كل طعان

أما بقية أيام تميم مع بكر بن وائل فقد اشارت المصادر اليها ومنها: الاياد، وعاقل، وذو بيض، والجونين، والحداب، والحائر «ملهم»، ورأس العين، والعظالي، ونقا الحسن، والسلي، وفيحان، والشقيق، وغول، والوقيط، وقشاوة، وزبالة، ومبايض، والزورين، واللهيماء، والجفار، وصليب وغيرها[2].

واذا استثنينا ثمانية من هذه الأيام احرزت فيها بكر بن وائل نصراً على تميم، يبقى ثلاثة عشر يوماً ظفرت فيها تميم ببكر، ونضيف هذه الانتصارات الى «قائمة» الأيام السبعةالتي تقدمت ليكون لتميم الغلبة على بكر في أكثر الأيام والحروب.

وهكذا في جبهة القتال مع بكر بن وائل ظل سيف تميم عضباً قوياً، يقط الرؤوس، ويحز الرقاب، وظل لتميم تفوقها العسكري وسيادتها الحربية.

وعلى جبهة القتال الغربية كان بين تميم وعامر بن قيس عيلان ساحات قتال وأيام دماء، وظل لتميم التفوق الحربي.

ففي يوم ذي نَجَب[3] خرج بنو عامر بن صعصعة، يقودهم أعظم فرسانهم، ملاعب الاسنة، وطفيل بن مالك، والأحوص وابن الصعق وغيرهم يساندهم حسان بن كبشة الكندي، وزحفت جموعهم الى «ذي نجب» وتجمعت تميم يتقدمها بنو حنظلة، وفيها بنو يربوع الحي المصرم النكد[4] في

---

(١) انظر شعر بني تميم ٣٨٦

(٢) ابو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/١٣، ١/٢٠، ١/١٠٨، ٢/٢١٢.
ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥/١٨٢، ٥/١٨٥، ٥/١٩٠، ٥/١٩١، ٥/١٩٢، ٥/١٩٦، ٥/٢٠٢، ٥/٢١٠، ٥/٢١٢، وفي مجمع الأمثال ٢/٥٢٨، ٢/٥١٧، وفي العمدة ٢٠٦ وفي أيام العرب في الجاهلية ١٧٠، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٦.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/٣٦٣، وفي النقائض ٢/٩، وأيام العرب في الجاهلية ٣٦٥.

(٤) الحي العسر في القتال والصلب في الضرب.

القتال، ودارت حرب ضروس، وأنجلى القتال عن مصرع حسان بن كبشة، وعمرو بن الاحوص، وعبيد بن مالك، وفرار طفيل بن مالك، وأسر يزيد ابن الصعق، وقيمة هذا اليوم أنه يأتي بعد عام من يوم جبلة الذي هزمت فيه تميم، فها هي تستعيد مكانتها، ويسجل الشعر نصرها، ويفخر شاعرها سحيم ابن وثيل الرياحي ببسالة فرسان قومه من تميم وبطولتهم في الدفاع عن حماهم، وقدرتهم على مصرع اعدائهم، من بني عامر بن صعصعة فيقول[1]:

ونحن ضربنا هامةَ ابنِ خويلد ... يزيدٍ وضرجناه عبيدة بالدم

بذي نَجب اذ نحن دونَ حريمنا ... على كل جياش الأجاري مُرجَمِ

ويضيف أوس بن حجر استعداد تميم للحرب، وأحكام خطتها، وتقدمها [illegible] أعدائها ناراً تحرقهم، كما أشار الى فرار الطفيل بن عامر على فرسه قرزل[2]

اذ قال عمرو لبني مالكٍ ... لا تعَجلوا المِرةَ ان تُحكما[3]

قَرَوهُمُ شهباءَ ملمومةً ... مِثلَ حريق النار أو أضرما

واللهِ لولا قُزولٌ اذ نجا ... لكانَ مثوى خَدِّكَ الأخرَما

وفي يوم المرّوت[4] لحق الموت الزؤام ببني عامر، فقد أغار بجير بن عبدالله العامري، على بني العنبر من تميم، وأصاب منهم أناساً وسبياً، فأتى الصريخ بني تميم، فتجمعت بنو عمرو بن تميم، وبنو مالك بن حنظلة، وبنو يربوع وفيهم «الواقعة» نعيم بن عتاب فارس يربوع، والتقت جموع تميم ببني عامر بن صعصعة في «المروت». واشتد القتال، وضرب قعنب بن عتاب بجيرا العامري فأطار رأسه، وطعن نعيم بن عتاب المثلم العامري فصرعه، وانهزمت بنو عامر هزيمة فيها الخزي والعار، تاركة ما أخذت، ومأخوذاً منها ما لم تكن توقعت.

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٠٣

(٢) أوس بن حجر: ديوانه ١١٣.

(٣) عمرو: هو عمرو بن عمرو بن عدي. بنو مالك من تميم. قرزل: فرس الطفيل العامري. اشار عمرو عل بني مالك ان يتركوا أماكنهم ويتجمعوا مع بني يربوع لتكون لهم الغلبة على اعدائهم.

(٤) [illegible] عبيدة. النقائض بين جرير والفرزدق ٦٤/١، والكامل في التاريخ ١٧٩/٥، وأيام العرب في الجاهلية

وعادت تميم بالنصر العظيم، تضيفه الى «قائمة» انتصاراتها في جبهات قتالها.

وافتخر نعيم بن عتاب بضربه الشديد، وحذره من أن يلحق الخزي والأسر ببني تميم فقال:[1]

ما زلت أرميهم بثغرة نحرة وفارسه حتى ثأرت ابن واقد
أحاذر أن يخزى قبيلي ويؤسروا وهم أسرتي الدنيا وأقرب والد

وسجلت الشاعرة السليطية فخرها بهذا اليوم الذي قتلت فيه تميم بجبرا العامري، فارس عامر، وأسرت عبيده العامري، وتباهت السليطية، وهي ترد على يزيد بن الصعق العامري بقوة تميم، تلك القوة التي تقمع الشيوخ المحاربين من أعدائها.

فابلغ ان عرضت بني كلاب فانا نحن اقعصنا بجيرا[2]
وضرجنا عبيدة بالعوالي فأصبح موثقاً فينا أسيرا
ألم تعلم قعيدَك يا ابن عمرو بانا نقمع الشيخَ الفخورا

وفي يوم مِلزَق سالت دماء بني عامر، وحلت بهم الهزيمة، ولحقهم العار وسجل هذا النصر شاعر تميم، سلامة بن جندل فقال:[3]

فاني بيوم مثل يوم بملزقِ لكم ولقاء - ان حَييتُ - كفيلُ
غداة تركنا من ربيعةِ عامرٍ دماءً بأعلى الواديين تسيل

كما سجله أوس بن مغراء عندما قال:[4]

ونحن بملزق يوما أبرنا فوارس عامر لما لَقونا

وغير هذه الأيام الثلاثة التي كانت السيادة الحربية فيها لتميم على العامريين خاضت تميم معهم أياماً أخرى منها: جبله، ورحرحان، والرغام، والوتدات،

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٣٥

(٢) انظر شعر بني تميم ٢٤٩

(٣) سلامة بن جندل: ديوانه ١٩٢.

(٤) انظر شعر بني تميم ٩٧.

والسوبان، ومنعج، ومأسل، وقو[1].

وإذا استثنينا من تلك الأيام يومي جبلة ورحرحان حيث انهزمت تميم فيهما هزيمة منكرة وفاضحة فإن بقية الأيام مع العامريين كانت نصراً لتميم.

★ ★ ★

وفي جبهات القتال وساحات الحرب مع القبائل الأخرى، خاضت تميم أياماً كثيرة وأحرزت فيها انتصارات عظيمة، وظلت لها السيادة الحربية.

ففي يوم الصرائم[2] أغارت عبس على تميم، وأصابت أموالاً، وتنادت تميم، ولحقت العبسيين بذات الجرف، وهو مكان (الصرائم)، ودار القتال بينهما فقُتل شريح وجابر ابنا وهب(من بني عوذ بن غالب)العبسيان وأُسِرَ الحكم بن مروان بن جذيمة وولداه فروه وزنباع.

وَقَتل (عصمة بن حدره) في هذا اليوم سبعين رجلاً من عبس وكان يوم الصرائم عاراً على جبين العبسيين، وغاراً على رؤوس التميميين.

وافتخر شاعر تميم شميت بن زنباع الرياحي بهذا اليوم وقال:[3]

سائل بنا عبسا إذا ما لقيتها ... على أي حي بالصرائم دَلّت
قتلنا بها صَبراً شريحاً وجابرا ... وقد نَهلت منها الرماحُ وعلت

وسجل عصمة بن حدره، مقتل سبعين رجلاً من عبس، بعد نذر قطعه على نفسه أن يصيب منهم هذا العدد فقال:[4]

الله قد أمكنني من عبس
ساغ شرابي وشفيت نفسي
وكنت لا أقرب طهر عرس

---

(١) ابن عبدربه: العقد الفريد ١٤١/٥، ١٣٩/٥، ١٧٧/٥، ١٨٠/٥، وأيام العرب في الجاهلية ٣٤٩، ٣٤٤، ٣٧٠، ٣٧٣.

(٢) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٤٤/١، وفي أيام العرب في الجاهلية ٣٦٨.

(٣) انظر شعر بني تميم ٢٠٣

(٤) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.

ولا أشد بالوخاف رأسي
ولم أكن أشرب صفو الكأس

وقال سحيم مشيراً إلى أسر ابن زنباع وولده فروه[1]:

وافى ابنُ زنباع وفروةُ عقدنَا   وفيهم دماءُ الحي لما تَصرمِ

وتقابلت تميم مع تغلب عندما أغار حزيمة بن طارق التغلبي على تميم في يوم زرود[2]، واستاق إبلهم، ولحقت به تميم، واستردت إبلها وأسرته، وجزت ناصيته.

وذكر الكلحبة اليربوعي يوم زرود وكيف أفلت منه حزيمة في بداية المعركة.[3]

وقلت لكأس الجميها فإنما   نزلنا الكثيب من زرود لنفرعا
فادرك ابقاء العرادة ظلعها   وقد جعلتني من حزيمةَ إصبعا

ويؤسر حزيمة من قبل اثنين الأول يربوعي وهو أسيد بن حناءة، والثاني ضبي كان نقيلا في بني يربوع، هو أنيف، فأخذ أسيد مائة من الإبل وجز أنيف ناصية حزيمة وقال:[4]

أخذتك قسراً يا حزيمَ بن طَارق   ولاقيتَ مني الموتَ يومَ زرود

وهزمت تميم بني حنيفة وأحلافهم في يوم ملهم وسجل نصر تميم في هذا اليوم شاعرها مالك بن نويرة فقال:[5]

فلله عينا من رأى مثلَ خيلِنا   وما ادركت من خيلهم يومَ مُلهما

وحاربت تميم أياماً أخرى مع القبائل ومنها، أراب وبهدي واللوى والشعب مع تغلب، ويوم عنين مع عبد القيس، ويوم خو مع أسد.

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.
(٢) ابن عبدربه: العقد الفريد ٢٣٧/٥، وأيام العرب في الجاهلية ١٨٢.
(٣) انظر شعر بني تميم ٢٠٤
(٤) جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية ١٨٢.
(٥) مالك بن نويره: شعر ٧٨.

ويوم أراطي وظهر مع بني حنيفة، ويوم الفروق ويوم أقرن مع عبس[1]. وانهزمت تميم في أربعة أيام منها وانتصرت في بقيتها.

وفي كل هذه الأيام الحربية وعلى طول امتداد تلك «الجبهات» القتالية كان التفوق الحربي لتميم وبدا النصر الى جانبها، فأي شرف هذا؟ وأية قوة تلك؟ كيف تفوقت تميم في أيامها وساحات حربها؟ وما الوسائل التي مكّنتها من هذا التفوق؟ وأي الأسباب وراء انتصاراتها الباهرة؟

وينهض النسب العريق، والعدد الضخم، والعزة المنيعة، والسيادة الرفيعة، والمحاربون الأشداء، والصبر والثبات، والفروسية الماهرة وغيرها أسباباً قوية لانتصارات القبيلة، وتفوقها في أيامها، وتكون كل تلك الأسباب مادة الفخر والوصف في شعرها، فقد تباهت تميم بأسباب تفوقها، وافتخرت بكل ما أدى الى انتصاراتها.

كان الفخر بهؤلاء المقاتلين الأشداء، أبطال القبيلة وصناديدها وحياة معاركها، وشريان أيامها.

ترى كلَّ مشبوحِ الذراعين ضيغمٍ　　　يَخُبُّ به عار شَواهُ عَسُولُ[2]

اغرَّ من الفتيانِ يهتزُّ للندى　　　كما اهتزَّ عَضْبٌ باليمنِ صَقيلُ

وأبطال القبيلة هم حماتها وفرسان غاراتها:

فوارسُ غارة وحماةُ ثغر　　　إذا ما شبت الحرب العوان[3]

وبنى الفرسان للقبيلة شرفاً عالياً:

حَموا حاهم وسما بيتهم　　　في باذخات الشرف العالي[4]

وظل لرجال القبيلة مكان الصدارة في السلم والحرب:

بانا عَمادٌ في الأمور واننا　　　لنا الشرفُ الفخمُ المركب في الندى[5]

---

(1) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٢/١٧٦، ٢/٩٠،
ابن عبدربه: العقد الفريد ٥/٢٤٠، ٥/٢٤١، ٥/٢٤٩، ٥/١٥٨، وفي العمدة ٢٠٧، ٢١٤، وفي الأغاني ١٤/٨١، وفي مجمع الأمثال ٢/٥٣٠، ٢/٥٢٣، ٢/٥٣٠، ٢/٥٣٤.

(2) سلامة بن جندل: ديوانه ١٩٢.

(3) مالك ومتمم: شعرهما ١٣٨.

(4) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.

(5) انظر شعر بني تميم ٣٥

وانا ليوثُ النـاس في كـل مـأزق اذا جـز بـالبيـض الجماجـم والطلا

وجموع تميم كلها تقاتل بالسيوف وبالرماح:

قومي بنو الحرب العـوان بجمعهـم والمشرفيـة والقنـا اشعـالها[1]

وتميم محاربة، ورجالها محاربون، أنجبهم أباء عظام، فإذا بحثت عنهم ففي الحرب مكانهم، وليس في أحضان الأمهات.

بنـو الحرب لم تقعـد بهم أمهـاتهم وآباؤهـم ابـاءُ صـدق فـانجبـوا[2]

وأبناء القبيلة أسود وغى، يلبون صريخ القتال، دونما جدال، فلا يسألون عن مكان المعركة وأسبابها، وإنما يندفعون إليها وسيوفهم سبيل إلى أعدائهم:

مقاديم وصالون في الروع خطوهَـم بكـل دقيـق الشفـرتين يماني[3]

اذا استُنْجدوا لم يسألوا من دعاهـم لأيـة حـرب أم بـأي مكـان

وهم صبر في اللقاء، ليوث في الوغى:

تلاقوهُم فتعرفـوا كيـف صبرُهـم ليوث طعـان عنـد كـل طعـان[4]

واذا تناثرت الجماجم، واشتد لهيب القتال، وتطلعت نفس الجبان الى الفرار ثبت الفارس من تميم، وجاد بنفسه، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

أجـود إذا نفس البخيـل تطلعـت واصبر نفسي والجماجـم تُضرَب[5]

وعزة تميم، ومنعتها، وسيادتها تتعدى حدودها جنوباً مع اليمن، وشمالاً الى المناذرة.

الأهل أتت أنبـاؤُنـا أهـلَ مـأربِ كما قد أتتْ أهلَ الدنا والخورنـق[6]

وهذه العزة بحر متلاطم الأمواج، تُفزِع الأعداء، وتُرْهب المغيرين:

(١) انظر شعر بني نهشل في دارم.
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.
(٣) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.
(٤) انظر شعر بني تميم ٣٧٩
(٥) انظر شعر بنى تميم ٣٧٩.
(٦) سلامة بن جندل: ديوانه ١٦٠.

فعـزَّتُنــا ليســتَ بِشعــبٍ بِحَرَّةٍ ولكنَّهـا بحرٌ بصحـراءَ فَيهْــق[1]
يُقَمِصُ بـالبُـوصي فيـه غـواربٌ متى ما يخضها ماهـرُ اللُّـجِ يَغْـرَقِ

ويصل الفخر بهذه العزة والمنعة، الى حد تحريم منازل القبيلة، واستباحة منازل غيرها.

ونـرعـى حمى الأقــوام غيرَ محرم علينا ولا يُرعى حمانا الذي نحمي[2]

وهذه العزة، وتلك الأمجاد قديمة قدم عاد

من عهد عاد كـان معـروفـاً لنـا أسرُ الملـوك وقتلهـا وقتـالُهـا

والنسب الى تميم مجال فخر واعتزاز.

الى تميم حُماةِ الثغــــر نسبتُهـــم وكلُ ذي حسـبٍ في النـاس منسـوبُ[4]

والعدد الضخم من أسباب هذه المنعة والعزة.

وانـا كالحصـــى عــدداً وأنــا بنــو الحرب التي فيهـا عــرام[5]

وتميم طردت بكر بن وائل الى سواد العراق بفرسانها المساعير.

ونحن طردنا الحيَ بكـر بـنَ وائـل الى سنـةٍ مثـل السنــانِ ونــارِ[6]
ازاحتكـم عنهـا الرمــاحُ وفتيـةٌ مساعيرٌ حـربِ كـلَ يـومِ غـوارِ

ويجمع أوس بن حجر بين كثير من أسبابها منعة تميم وعزتها، فهو يفخر بأن حروب تميم تمتاز باتساعها وعظمها، وهم يركبون إليها كل صعب، ويندفعون فيها على عجل، وتزحم جموعهم الزاحفة، وأعدادهم الضخمة، «جبهات» القتال وهم يحملون الموت، ويظل سيف تميم عضباً صقيلاً يسم الأعـداء بالشنار، ويرد غائلة الديار، ويستبيح حمى الأعداء، وتقوم العوالي سياج

---

(١) سلامة بن جندل: ديوانه ١٦٠.
(٢) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.
(٣) انظر شعر بني تميم ٢٧٥.
(٤) سلامة بن جندل: ديوانه ١١٦.
(٥) المصدر السابق نفسه ٢٥١.
(٦) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.

الدفاع الحصين لمنازل تميم.[1]

أرى حربَ أقوام تـدقّ وحـربَنـا ... تجلُّ فنعـروری بها كـلَّ مُعظَـمِ
ترى الأرض منا بالفضاءِ مريضـةً ... معضلـةً منـا بجمـعٍ عـرعـرم
لنا مرجَـمٌ ننفـي بـه عـن بلادنـا ... وكـلُّ تميم يـرجُمـون بمرْجَـم
نبيحُ حِمى ذي العـز حين نـريـدُه ... ونحمي حِمانـا بـالـوَشيـح المقـوَّمِ

وهذا فخر كبير بيوم من أيام حربهم، وساحة من ساحات قتالهم، ويبدأ هذا القتال بطعن جسور، وضرب قتول، ويرتد الأعداء على أنفسهم يسحق بعضهم بعضاً، ويستمر القتال، فالسيوف تقط الرؤوس، والرماح تفلق الصدور، والأجساد تتمزق، والاشلاء تتبعثر، فترى على الساحة سيقاناً مقطوعة، وبناناً مخضوبة، وصرعى كثراً، والبقية من الأعداء تراهم فلولاً مولية أدبارها، وقد أسلمت للريح أبدانها، وألقت للخيل أرساغها، طالبة الفرار، وناجية من الموت المروع، فأي خزي وعار، هذا الذي يلحق بأعداء تميم، وما أعظم هذا النصر لها.[2]

ضممنا عليهم حـافيتهـم بصـادق ... مـن الطعـن حتى ازمعـوا بتفـرُّقِ
كأن مُنـاخـاً مـن قُيـونٍ ومنـزلاً ... بحيث التقينا مـن اكـف وأسـؤقِ
كـأن اختلاءَ المشرفيِّ رؤوسهـم ... هـويُّ جنـوبٍ في يبيس مُحَـرَّقِ
لدن غُدوةٍ حتى أتى الليـلُ دونَهـم ... ولم ينجُ الا كـلُ جـرداءَ خيفـقِ
فـالقـوا لنـا أرسـانَ كـلِ نجيبـةٍ ... وسـابغـة كـأنها متن خِـرنـقِ
فمن يك ذا ثـوب تَنلـه رمـاحُنـا ... ومن يك عُريانـاً يـوائِـلْ فيسبـقِ

وندرك أن للأسلحة أثراً فعالاً في تفوق التميمين على امتداد جبهات قتالهم، ونعلم أن أسلحتهم فيها الدفاعية والهجومية، ومنها ما يسبق المعركة وما يعقبها، وهي بسائر انواعها، وأنماطها من سيوف ورماح ودروع وسهام وبيض

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ١٢١، نعروري: نركبها عريا في أصعب احوالها، المعضلة: التي نشب ولدها في بطنها، ذرا: وقع وانكسر، تحمط: نهض. مرجم: مكان المدافعة والمنافحة، نبيح: نستبيح، الوشيح: السيف.

(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ١٦٨، جرداء خيفق: فرس سريعة.

كان لها جميعاً نصيب وافر في وصف شعر الحرب عند تميم.

فأوس بن حجر التميمي يرى أن حرباً توشك أن تقع، فيستعد لها بسلاحه، ويصف لنا أنماط هذا السلاح الذي يتألف عنده من:

رمح رديني، صلب الكعوب، ومتقن الزح، ومحكم النصل.

ودرع صولي أملس يترقرق نسجها تحت أشعة الشمس ترقرق غدير لعبت به الريح، وسيف هندي حاد القطع، يلمع لمعان البرق وسط السحاب، وقوس صلبه شديده، مقطوعة من أشجار جبل شاهق.[1]

واني امرؤٌ أعددت للحربِ بعدما ... رأيتُ لها نَاباً من الشرِّ أَعْصَلا
أصمَّ ردينيا، كأن كعوبَه ... نوى القسب عرّاصا، مُزَجّا، مُنّصلا
وأملسَ صُوليا، كنهي قرارةٍ ... أحسَ بقاعٍ، نَفحَ ريحٍ، فاجْفَلا
وأبيضَ هنديا، كأن غِرارَه ... تلألُؤُ برقِ في حبيٍ تكللا
ومبضوعةً من رأس فرع، شظيةً ... بطود تراه بالسحاب مجلّلا

وسلاح عبد القيس بن خفاف البرجمي سيف صقيل، ورمح طويل، ودرع سابغة، ولسان سليط[2]:

وأصبحت أعددت للنائبات ... عرضاً بريئاً وعضباً صقيلا
ووقعَ لسان كحد السنان ... ورمحا طويلَ القناة عسولا
وسابغةً من جياد الدروع ... تسمع للسيف فيها صليلا
فهذا عتادي وإني امرؤ ... أوالي الكريم واجفو البخيلا

ويتقدم وصف السيف في شعر الحرب عند تميم على سائر الأسلحة: فسيف ذي الخرق الطهوي يتوقد حدة، لقط العظام وبري العصب[3]

بابيضَ يهتز ذي هبة ... يقطّ العظامَ ويَبْري العَصَبْ

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ص ٨٣. اعصل: أعوج. العشب: ثمر يابس. العراص: المضطرب، مزج: له زج، منصل: له نصل. أملس: درع ناعم. النهي: الغدير. الغرار: حد السيف. الحبى: ما حبا من السحاب وارتفع، مبضوعه: مقطوعه. فرع: أعلى الشجرة. شظية: شقه وفلقه. طود: جبل.

(٢) د. المعبني: شعر بني تميم ٣٤٩.

(٣) أبو عبيدة: النقائض بين جرير والفرزدق ٩٣٣.

وسيف سحيم الرياحي يخترق عظم هامة ابن خويلد[1]:

ونحن كسونا هامة ابن خويلد حساماً اذا ما صادف العظم صمما

وسيف المازني وذاك من سيوف اليمن وهو حاد الشفرتين[2]

مقاديم وصالون في الروع خطوهم بكل دقيق الشفرتين يمان

وسيف ضمرة النهشلي يصيب الدماء ويشرب منها[3]:

هرقت دماءهم فشرعت فيهم بسيفي شرب واردة لخمس

وسيف السعدي حاد يجدع الأنف عند موضع النقاب من الوجه[4]

وقد نال حدُ السيف من حرِ وجهه الى حيث ساوى أنفه المتنقب

وسيف السليك يضرب هامات الرجال[5]

ولكن كلُ صعلوك ضروب بنصل السيف هامات الرجال

وسيف عبيد السعدي يضرب الأبواب فيشقها[6]:

ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة تفرج منها كل باب مضبر

والعوالي عند عميره بن طارق كثيفة تصيب مؤخرة الخيول:[7]

فنجته وقد كان العوالي من الصلوين مكتنع الرقيب

وعند عمرو بن حوط تقهر الأعداء، لكثرة ما ينكسر منها في صدورهم[8]

صبرنا نكسر الاسلات فيهم فرحنا قاهرين لهم وراحوا

وعند سحيم وسيلة لجذب أعناق الرجال وهوانهم:[9]

فان قناتنا مشظ شظاها شديد مدها عنق القرين

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.
(٣) انظر شعر بني تميم ٢٧٥.
(٤) سلامة بن جندل: ديوانه ٢١٧.
(٥) انظر شعر بني تميم ٥١.
(٦) انظر شعر بني تميم ٨٧.
(٧) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.
(٨) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.
(٩) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.

وعند العوراء السليطية تجبر العدو على الاستسلام[1]

وضرجنا عبيده بالعوالي فأصبح موثقاً فينا أسيرا

والرماح عند سلامة بن جندل، ثقفت بدقة وأحكم سنها، وتركيب نصالها، فهي تتوقد حدة ولمعاناً، وعليها حمرة الدماء، تخترق رؤوس السادة، لتكون مقيلاً لها، وهي في أيدي الفرسان طويلة كثيفة، وكأنها حبال تتعاورها بئر عميقة.[2]

سوّى الثِقافُ قناها فهي مُحكَمةٌ قليلةُ الزيغ من سن وتركيب

زرقا أسنتُها، حمراً، مُثقَّفةً اطرافُهن مقيل لليعاسيب

كأنها باكف القوم إذ لحقوا مواتح البئر أو أشطان مطلوب

والدرع بيضاء سابغة تترقرق تحت أشعة الشمس ترقرق غدير لعبت به الريح وهي من صنف ثمين وصناعة داود ومحرق:[3]

لبسوا من الماذيِّ كلَّ مُفاضةٍ كالنهى، يومَ رياحه، الرقراقِ

من نسجِ داودِ والِ محرّقِ غالٍ غرائبهنَّ في الآفاقِ

ودرع طريف العنبري لينة، وسهلة، ملساء، تدفع عنه ضربات السيوف:[4]

تحتي الأغر، وفوق جلدي نثرة زغف ترد السيف وهو مثلم

ودرع جربية الهجيمي فضفاضة سوداء وكأنها مجول واسع[5]

وعلى سابغة كان قتيرَها حَدَقُ الأساود، لونها كالمجول

والبيض فوق رؤوس المحاربين براق أملس وكأنه بيض النعام[6]

اذا ما علونا ظهر نشز كأنما على الهام منا قيض بيضٍ مغلّق

وبيض المحاربين من جيش أبي قابوس يترنم لكثرة ما لحقه من ضربات سيوف تميم التي صدعته[7]:

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.
(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ١١٣.
(٣) سلامة بن جندل: ديوانه ١٤٩.
(٤) انظر شعر بني تميم ٤٥٧.
(٥) انظر شعر بني تميم ٤٣٩.
(٦) سلامة بن جندل: ديوانه ١٦٤.
(٧) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.

ويوم أبي قابوس لم نعطه المنى ولكن صدعنا البيض حتى ترنما

واهتمت تميم بالخيل اهتماماً زائداً، وأولتها عناية فائقة، وفي كتابها الذي وجده بشر بن أبي خازم الأسدي دليل مبين على هذا الاهتمام.

ولعل الخيل أبرز ما في جوانب الحرب وعناصرها عند تميم وعند غير تميم فقد كانت موضع عناية الشاعر التميمي وذروة فخره، ومحط إعجابه، فهو يتعهدها بالغذاء ويتخيرها من صنف كريم، وينتخبها من عرق أصيل، وبها يطارد الأعداء، وعليها يدفع عن الحمى، وتكون رفيقاً في الصيد ورهاناً في السباق، ومتعة في جوف الصحراء.

والخيول في تميم كثيرة، فبيئة نجد حيث منازل تميم مشهورة بخيولها[1] وقد أبرز شعر تميم أهمية الخيول في جبهات القتال، ووصف لنا تلك الخيول وصفاً أخاذاً.

هذا سلامة بن جندل التميمي يصف فرسه وصف خبير بهره هذا النموذج المتكامل فراح يدقق في أجزاء جسمه المتناسق، من شعر سابح، وخد طويل، وعنق مشرف، وصدر رحب، ولون صاف، وعرق كريم، وهو يقدم له غذاءً مفيداً، وحين تندلع الحرب يندفع مسرعاً بقوائم متساوقه تصب الجري صباً، وتنهب الأرض نهباً.[2]

من كل حتّ اذا ما ابتلَّ مُلْبَدُهُ ضافي السبيبِ، اسيلِ الخدِ، يعبوبِ
ليس باقنى ولا اسغى ولا سَغِلٍ يُسقى دواءَ قَفِي السَّكنِ مربُوبِ
في كلِّ قائمةٍ منه إذا اندفعتْ منه أساوٍ كَفرغ الدلوِ أثْعوبِ
تَمَّ الدسيعُ الى هادٍ له يتعٍ في جُؤجوءٍ كمداكِ الطيبِ مَخْضوبِ
تظاهر النَّيُ فيه فَهْوَ مُحتفِلٌ يُعطي اساهيَّ من جري وتقريبِ
مما يُقدِّمُ في الهيجا اذا كُرِهَتْ عند الطعان ويُنجى كلَّ مكروبِ

و « العرادة » حصان الكلحبة اليربوعي بني اللون، أبيض الجبهة، يكر على

---

(١) د. كامل سلام الدقس: وصف الخيل في الشعر الجاهلي ٢٤٧.
(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ٩٨.

الأعداء غير هياب، ويأخذ طريقه إليهم، وسط الرماح الكثيفة:[1]

تسائلني بنو جشم بن بكر ... أغراء العرادة أم بهيمُ

هي الفرس التي كرت عليهم ... عليها الشيخ كالأسد الكليم

اذا تمضيهم عادت عليهم ... وقيدّها الرماح فما تريم

كميث غيرُ محلفة ولكن ... كلون الصرف علّ بها الأديم

و «ذو الخمار» فرس مالك بن نويرة اليربوعي يظهر له الود، وينزله من نفسه وحبه منزلة عظيمة، فيخصه بالغبوق، ويعلل أهله عن الطعام، ويشغلهم عن شرب اللبن حتى يأخذ «ذو الخمار» كفايته من الطعام واللبن.[2]

جزاني دوائي ذو الخمار ومنعتي ... بما يأت أطواءً بنيَّ الاصاغرُ

رأى انني لا بالقليل أهورهُ ... ولا أنا عنه في المواساةِ ظاهر

اعللهُم عنه ليغبقَ دونَهم ... واعلمُ علم الظنِ اني مُغاورُ

ولم يكن لمالك فرس واحد وإنما كان له خيول كثيرة، منها «العُباب» الذي أنقذ إبل تميم بشدة عدوه.[3]

تدارك أرخاء العُباب ومَرُّه ... لبونَ ابن حُتَّى وهو اسفانُ كامدُ

ومنها «الجون» الذي استخدمه مالك يوم أنقذ أخاه متمما من الأسر:[4]

ولولا دوائي «الجون» قاظَ متممٌ ... بأرض الخزامي وهو للذلِ عارفُ

وحصان متمم بن نويرة اليربوعي يتعهده بالغذاء، ويسقيه اللبن الخالص، فتراه متفجر القوة نشيطاً، وإذا اندفع مسرعاً تطايرت خصل عرفه.[5]

ضافي السبيب كأنَّ غصنَ أباءة ... ريانُ ينفضُها إذا ما يُقْدَعُ

تَئقٌ إذا أرسلتَهُ متقاذفٌ ... طمّاحُ اشرافٍ إذا ما يُنْزَعُ

---

(١) د. المعيني: شعر بني تميم ٢٠٤.

(٢) مالك ومتمم: شعرهما ٦٩، أهور: اختصه وأقدم اليه، الغبوق: شراب العشى.

(٣) المصدر السابق نفسه ٦٥، ارخاء: سرعة، لبون: نياق.

(٤) المصدر السابق نفسه ٧٥ قاظ: أقام بالمكان صيفاً، الدواء: الطعام الجيد للحصان.

(٥) متمم ومالك: شعرهما ٩٧، الضافي ـ الطويل الشعر في الذنب، التئق: السريع الجري وهو فرس نشيط، الضريب: اللبن الخالص، الشول: الابل، السؤر: بقية اللبن، الجل: غطاء الفرس، مريب: يلقى تغذية وعناية فائقة.

فلـه ضريـبُ الشَـوْلِ الا سُــؤْرَهُ   والجِلُّ فهـو مَـربّــبٌ لا يُخلَـعُ

ويبلغ مدى حفاظ الشاعر على فرسه واعجابه به حد التهديد والوعيد حتى لأعظم الناس شأناً، أما ترى عبيده بن ربيعة التميمي، يهدد الملك إذا سولت له نفسه انتزاع حصانه منه؟ فهو فرس نفيس وصاحبه شغوف به، فأصله كريم، يتقدم أهله في الغذاء وإذا اشتد القتال ودارت المقارعة، أبت عزته إلا أن يندفع في ساحة الميدان.[1]

أبيت اللعن ان «سكاب» علـق   نفيس لا تعــار ولا تبــاع
مفــداة مكــرمــة علينــا   يجوع لها العيـــال ولا تجاع
سليلـة ســابقين تنـاجلاهـا   اذا نسبـا يضمهـا الكـــراع
ففيهـا عــزة مــن غير نفـر   يحيـدهـا إذا حـرّ القــراع
فلا تطمـع أبيـت اللعـن فيهـا   ومنعكهـا بشيء يستطـــاع

وينطلق ثعلبة بن صُعير بسلاحه على ظهر فرس جم النشاط، حديد البصر، يرد المغيرين عند الصباح.[2]

ومغيرة ســوم الجراد وزعتهـا   قبل الصبـاح بشيئـان ضـامـر
تئـق كجلمـود القـذاف ونثره   لقـف وعـراص المهـزة عـاتـر

وجياد بني مازن لا تفر من أرض المعركة، وإنما تصبر عليها في أرض سفوان:[3]

رويـد بني شيبـان بعـض وعيـدكم   تلاقـوا غــدا خيلي على سفــوان
تلاقوا جياداً لا تحيد عـن الوغـى   إذا مـا غـدت في المأزق المتــداني

وكان لعتيبة بن الحارث فرس يدعى «المكسّر» وذكره مالك بن نويره فقال:[4]

ولو زَهِمَ الأصلاب منـا لـزاحمت   عتيبــة إذ دمّــى جبين المكسّــر

---

(١) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.
(٣) انظر شعر شعر بني تميم ٣٨٦
(٤) مالك ومتمم: شعرها ٧١، زهم: دن والمكسر: من خيل بنى حنظلة لعتبة بن الحارث

وتصدى الأسود بن يعفر لغارة شعْواء بفرس ملهب في سرعته[1]

وغارةٍ شعواء ناصبتها ... يسابح ذي حضر ملهب

وخيول عبْده بن الطبيب طويلة الأعراف كأنها المناديل[2]

ثمة قمنا الى جرد مسومة ... أعرافهن لايدينا مناديل

واتسع شعر تميم لذكر خيول القبيلة ومنها:

أشقر: فرس لقيط بن زرارة خاطبه قائلا[3]

أأشقر ان لم تَتَقَدْم تُنْحرْ

والأغر: فرس طريف بن تميم العنبري[4]

تحتي الأغر وفوق جلدي نثره ... زغف ترد السيف وهو مثلم

والنحام فرس السليك بن عمرو[5]

كأن قوائم النحام لما ... تحمل صحبتي أصلا مَحار

والرقيب فرس الزبرقان بن بدر[6]

ان الرقيب أداويه وأصنعه ... عارى النواهق لا جاف ولا قفر

والغراف للبراء بن قيس بن عتاب الرياحي[7]

فان يكن الغراف بدل فارساً ... سواي فقد بدلت منه السميدعا

ووبال لضمرة بن جابر النهشلي[8]

فلو لاقيتني ووبال منها ... أعنت العبد يطعن في ذراها

وزهدم لوثيل بن عوف الرياحي[9]

وقلت لأهل الشعب إذ ييسروني ... ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم

---

(١) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٢، سابح: فرس. حضر: سرعة.

(٢) عبده بن الطبيب: شعره ٧٤.

(٣) انظر شعر بني تميم ٢٧٥.

(٤) انظر شعر بني تميم ٤٥٧.

(٥) انظر شعر بني تميم ٣٥

(٦) انظر شعر بني تميم ٣٥

(٧) انظر شعر بني تميم ٢٠٣

(٨) انظر شعر بني تميم ٢٧٩

(٩) انظر شعر بني تميم ٢٠٣

وهبود لعلقمة بن سباح القريعي، وذو العقال لحوط بن أبي جابر الرياحي «أبو الفرس داحس» وجلوى لقرواش بن عوف اليربوعي «أم الفرس داحس» والعلهان لعبد الله بن الحارث بن عاصم، والشقراء لأسيد بن حناءة السليطي،وهيفاء لطارق بن أزنم اليربوعي «أخت الفرس داحس» والفهدة لعبيد بن مالك النهشلي، والخنثى لعمرو بن عمرو بن عدس والشوهاء لحاجب ابن زرارة، والقطيب لصرد بن جمرة اليربوعي والورد لأحمر بن جندل، واللغاب، لحري بن ضمره، والبيضاء لقعنب بن عتاب والنبز لطارق بن ضمرة بن جابر.[1]

ولم تكن الخيول هي التي تحارب فحسب وإنما كانت الناقة أيضاً تقوم بدورها فقد استخدمت وسيلة لنقل الأخبار قبل المعارك.

ففي يوم ذي طلوح أراد عميرة بن طارق أن يخبر قومه بني تميم بغارة بني شيبان من بكر بن وائل وكان فيهم، فاستعان عميره بناقة مذكرة قوية وسريعة ومضى بها عجلاً في تنائف مجهولة، وراحت الناقة تشق الدروب إلى تميم مسرعة نشيطة، وكأنها قطاة هبت تطير بسرعة مذهلة عندما أخطأتها حبائل الصياد.[2]

وكلفت ما عندي علاةً رجيلةً　　مراحاً وفيها جرأة وتخايل
مذكرةً تمضي إذا الليل ضمها　　تنائف فيها معلم ومجاهل
وراحت كأن الرحل حشُ بجونه　　بذات الستار أخطأتها الحبائل

وفي قصيدة أخرى لعميرة أكد استخدام هذه الناقة في نقل الأخبار:[3]

فكلفت ما عندي من الهم ناقتي　　مخافة يوم أن ألام وأندما
فمرت بجنب الزور ثمت أصبحت　　وقد جاوزت بالأقحوانات مخرما

---

(١) ابن الأعرابي: أسماء خيل العرب وفرسانها ٦١ - ٦٥.
الكلبي: أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام ٤٠ - ٦٢.
وفي نهاية الأرب ١٠/٤٠ وفي بلوغ الأرب ٨٤/٢.

(٢) انظر شعر بني تميم ٢٠٣

(٣) انظر شعر بني تميم ٢٠٣

كأن يديها اذ أجد نجاؤها يدا معُولٍ خرقاءَ تُسعد مأتما

وحدّث شعر الحرب في تميم عن الأسرى والسبايا والغنائم وفي احدى المعارك أسر بسطام بن قيس البكري فقال آسره عتيبة بن الحارث اليربوعي[1].

قاظ الشربة في قيد وسلسلة صوت الحديد يغنيه إذا قاما

وسبى الأضبط بن قريع كثيراً من اهل اليمن[2]

قتلتهم والجت بلدتهم وأقمت حولا كاملا أسبي

وفك التميمون أسراهم من حديد أعدائهم ويحدثنا عتيبة بن الحارث أنه جاء بني بكر بن وائل وأنقذ أسرى من تميم.[3]

فما ردنا حتى حللنا وثاقه حديداً وقداً فوق ساقيه مجلبا

وورد علقمة الفحل على بلاط الغساسنة يشفع في أخيه الأسير فقال مخاطباً الحارث الغساني[4]:

وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نداك ذَنوب

وتندر عميرة بن طارق ببني شيبان وهم يحلمون بسبي من النساء وجامل من الإبل[5].

فإني لو أمهلتكم فغزوتكم وجئتم بسبي كالظباء وجامل

وحدّث متمم بن نويره عن أبجر العجلي أسير بني تميم من بكر بن وائل.[6]

ونحن جررنا الحوفزان الى الردى وأبجَرَ كبلّنا وقد كادَ يَشْعَبُ

حقا لقد كانت تميم قبيلة حرب وكان فرسانها مساعير القتال وكان الشعر وصفا رائعا لكل هذا.

(١) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٥
(٣) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(٤) علقمة الفحل: ديوانه ٤٨.
(٥) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(٦) مالك ومتمم: شعرهما ٨٦.

الرثـــــاء

لسنا في حاجة الى القول بأن الأيام والحروب في تميم تنهص سبباً قوياً من أسباب الرثاء، فالحرب من أكبر ويلات الانسان وفجائعه، وتميم قبيلة محاربة، وأيام حربها كثيرة، وهي تفقد في كل يوم قتيلاً أو قتلى، ويصرع منها في كل معركة محارب أو محاربون، لكننا ندرك أن الحياة بكل أحداثها، ودواعيها، وأمورها، تظل أسباباً أخرى للرثاء. وهذه الأسباب لا تتنافى وقدر الانسان المحتوم، عندما توافيه المنية، وينتهي أجله، ويودع الحياة.

والمراثي في شعر تميم كثيرة، بعضها يتناول جانباً من القيم الخلقية، والمزايا الحميدة، للميت، وغالباً ما تتركز تلك القيم، في شجاعته وكرمه ومروءته، وفصاحته، وبعض من تلك المراثي، يحدّث عن أمم مضت، وقبائل بادت، وممالك زالت، وينقل لنا قصصاً حزينة عنها، ومواعظ بائسة من حياتها. وبعض آخر من المراثي، ينقل إلينا مشاعر النفس البشرية أمام الموت الذي يتربص بها، ويستعد لاختطافها، وهي آمنة في مساكنها، وضاربة في مساعيها.

وازاء هذه الأنماط والأنواع، كان علينا ـ لسهولة تناول البحث ـ أن نقسم الرثاء في تميم إلى أربعة أقسام: رثاء الفرسان، ورثاء الأصدقاء، ورثاء النفس الانسانية، ورثاء الأمم الغابرة وشخصياتها الماضية.

وإذا انتهينا إلى هذا التقسيم وارتضيناه، يبقى أمامنا من الرثاء في شعر تميم نظرة أولئك الشعراء الى الدهر وريبة، والى الزمان وأحداثه، وإلى الفناء ومعالمه، وهي نظرة ترتبط ارتباطا وثيقاً بالموت، الذي قلنا أنه يصرع الأبطال، ويخطف الأعمار، ويطوي الأمم، ولا بد للراثي من وقفة مع الدهر معاتباً، ومع القدر مذعناً، ومع الفناء متوجساً، فهل يطيع الدهر من يحزن؟ وكيف يرد القدر فقيداً؟ ومن الذي في وسعه أن يقف أمام الموت والفناء عنيداً؟.

ورثاء الفرسان ظاهرة تبرز في شعر تميم، والأيام والحروب أهم دواعي هذه الظاهرة، إذ تنجلي تلك الحروب والأيام عن أرواح تزهق، وأشلاء تتمزق، وفرسان يصرعون، وقتلى يتساقطون، وتثور الأحزان، وتعم الفاجعة، ويكون البكاء، وتشق الجيوب.

وتبدو هذه الظاهرة عند المرأة أكثر وضوحاً منها عند الرجل، وقد يعود ذلك إلى أن المرأة أرقّ عاطفة، وأسرع استجابة، لدواعي الحزن،وأخصب مكاناً لاندفاع الفجيعة، والفارس إما أن يكون أباً أو ابناً أو أخاً، أو زوجاً، أو غير ذلك.

لقد لقي الفارس لقيط بن زرارة مصرعه في يوم جَبَلة، وكان رئيس تميم في ذلك اليوم[1] ونقلت الأنباء مصرع هذا البطل الى ابنته دختنوس، فمزق الحزن فؤادها وقامت ترثيه، ذاكرة محامده، ومشيرة الى مناقبه، فلقيط من خيار قبائل مضر، وسيد في تميم، وهو رئيسها في الحروب، وُمعينها في الملمات، ومجيرها في الشدائد، وسفيرها عند الملوك، وخطيبها في المحافل والمجالس، انه شهاب لا يوارى، ونجم لا يبارى، عبث به حصانه، فلقى حتفه وانتهى أجله.[2]

بكـر النعـى بخير خنـدف	كهلِهـــا وشبـــابها
وبخيرهـــا نسبـــاً إذا	رجعـــت الى أنســـابها
وقـــريعهـــا ونجيبهـــا	في المطبقـــات ونـــابها
ورئيسهـــا عنـــد الملـــوك	وزيـــن يـــوم خطـــابها
ويعـــــولها ويحوطهـــــا	ويـــذب عـــن أحســـابها
كـالكـــوكـــب الدري في	الظلماء لا يخفـــــى بها
عبـــث الأغـــرّ بـــه	وكـــل منيـــة لكتـــابها

(١) انظر شعر الحرب عند تميم.
(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٣٨/١١ وانظر شعر بني دارم المجموع.
القريع: السيد. يحوطها: يحافظ عليها. الأغر: حصان لقيط.

وقُتل الفارس عتيبة بن الحارث اليربوعي غيلة في يوم خو[1] وأسرعت الأنباء إلى ابنته آمنة، فنعت والدها، وشقت جيبها، وطلبت الى نساء قومها أن يفعلن فعلها. فعتيبة والدها سيف تميم، ورمح القبيلة الطويل، إذ عندما كانت تشتد عوان الحرب، يتقدمها غير هيّاب، ودونما تريث، وتراه وسط الوغى، يضرب الكماة، ويصرع الأبطال.[2]

على مثل ابـــن ميـــة فـــانعيـــاه بشـق نـــواعـــم البشر الجيـــوبـــا
وكـــان أبي عتيبـــة سمهـــريـــا فلا تلقـــاه يـــدّخـــر النصيبـــا
ضروبـــاً للكمـــى اذا اشمعلـــت عـوان الحرب لا ورعـاً هيـــوبـــا

وعندما حملت الأنباء مصرع السليك الى أمه السلكة، صرخت ملتاعة، ولم تصدق ما حدث لإبنها، فهي لا تعلم كيف وافته المنية، ولا أين لحقت به المنون؟، هل أماته المرض؟ ألقي مصرعه في معركة ختله فيها الأعداء؟ وكيف يموت ولدها؟ وكان جميل المحاسن، عظيم السجايا، ولجأت الأم المفجوعة بولدها الى السكينة، وأيقنت أن الموت نهاية كل فتى، وإذا حل الأجل فابسط الأشياء تقتل الانسان، وهي بهذا تعزّي نفسها، ومن لها غير فقيدها السليك؟ وعاودها الحزن، وثارت لهفتها فراحت تغمغم وتولول - ليتني مت بدلاً منك - إنها الأم لا تطيق الفراق، ولا تتقن الصبر[3] أمام الفواجع:

طـــاف يبغـــي نجوه مـــن هلاك فهلـــك
ليـــت شعـــري ضلـــه أي شيء قتلـــــــك
أمـــريـــض لم تعـــد أم عـــدو ختلـــك
والمنـــايـــا رصـــد للفتى حيـــث سلـــك
أي شيء حســـــــن لفتى لـم يـــك لـــك

(١) ابن عبدربه: العقد الفريد ٥/٢٥.
(٢) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.
(٣) انظر شعر بني تميم د٣.

كــل شيء قــاتــل ... حين تلقــى أجلــك

ســأعــزي النفس إذ ... لم تجد مــن ســألــك

ليــت قلبي ســاعــة ... صبره عنــك ملــك

ليــت نفسي قــدمــت ... للمنــايــا بــدلــك

ويرثى متمم بن نويرة أخاه مالكاً باكياً متفجعاً، وذاكراً من مناقبه، أنه كان عاقلاً حكيماً، وسخياً كريماً، ومحارباً مقداماً، فإذا أحجمت الخيل، وارتعدت فرائص الجبان، وأجهدت الحرب الرجال، تراه يقتحم الميدان، ويتقدم القتال، ويقابل الموت وبعد طول اجتماع، في نعيم مقيم، وسعادة غامرة، كان الأخوان «مالك ومتمم» فيهما «كندماني جذيمة»، هجم الموت، وانتزع مالكاً، فحل الفراق، ونزلت الفاجعة، وذاب قلب متمم حسرة على أخيه، وماذا يفعل وكل شيء بينهما قد انتهى وانطوى؟ ما أسرع الموت!، وما أقسى ويلات الحرب!، وبعد أن هدأت أحزان متمم دعا لأرض تضم قبر أخيه مالك، بالسقيا والخصب، لم لا وهي تضم أعز حبيب، وأغلى فقيد.

حقاً لقد كانت مرثية متمم العينية في رثاء أخيه أروع المراثي.[1]

فعينَّــى هلاّ تبكيــان لمالــكٍ ... إذا أذرتِ الريــحُ الكنيــفَ المرفّعــا

لبيــبُ أعــانَ اللــبَّ منــه سماحــةٌ ... خصيبٌ إذا مــا راكــبُ الجدبِ أوضعَا

وان ضرّسَ الغــزو الرجــالَ رأيتــه ... أخَا الحربِ صَدْقا في اللقاء سمَيدَعا

وما كان وقافا إذا الخيل أحجمــت ... ولا طــائشــا عنــد اللقــاء مُــدفعّــا

وكنّــا كنــدمــاني جــذيمةَ حقبــةً ... من الدهر حتى قيل لــن يتصــدّعــا

فلما تفــرقّنــا كــأني ومــالكــاً ... لطــول اجتماع لم نبــت ليلــة معــا

سقى اللهُ أرضاً حلهّــا قبرُ مــالــكٍ ... ذهابَ الغوادي المدجنات فأمــرعــا

فــواللــهِ مــا أسقــي البلادَ لحبِّهــا ... ولكنني أسقــي الحبيــبَ المودَّعــا

---

(١) متمم ومالك: شعرهما ١٠٩. اذرت: ألقت، الكنيف: الحظيرة من شجر تجعل للإبل، المرفع: المرفوع. ضرس: اجهد، السميدع: الشجاع. كندماني جذيمة، هما مالك وعقيل من بني القين نادمهما الملك جذيمة بن الأبرش ومكثا معه دهراً ثم قتلهما يوماً في حالة سكر شديد وندم على ذلك ولم ينادمه غيرهما. وهو مثل يقال في طول الملازمة والاجتماع. وهذه الأبيات وان قيلت في الإسلام إلا أنها لا تحمل الروح الاسلامية وإنما هي جاهلية في معناها ومبناها.

وهذه المرثية كانت أم المراثي عند الأصمعي والمقدمة عند ابن سلام.[1]

ورثى يربوع بن حنظلة أخاه مازناً، وحدث عن عفته وفروسيته.[2]

أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بيتـه ولا مرثعـنٌ سـاقـطٌ في الدواخـن

وما كان وقافاً إذا الخيل احجمـت ولا ورعـاً جثـامـة في الأمـاكـن

ونعى سفيان بن مجاشع ولده مرة الذي قُتل في يوم الكلاب الثاني، وحزن لهذه الفاجعة التي حرثت جوف الوالد الشيخ فقال مرتجزاً[3]:

الشيـخ شيـخ ثكلان

والجوف جـوف حـرثـان

والـورد ورد عجـلان

أنعـي إليـك مـرة بـن سفيـان

وبكت دختنوس زوجها الفارس عمير بن معبد فقالت:[4]

أعيني، ألا فأبكي عمير بـن معبـد وكان ضروباً بـاليـديـن وبـاليـد

ورثى توبة بن مضرس أخويه اللذين قتلا في معارك القبيله[5]

لتبـك النسـاءُ المعـولاتُ لطـارق ويبكين مـرداسـاً قتيـل قنـان

ونصح الناس توبة أن يكف عن البكاء فغزارة الدموع تميت العين، ولكن المفجوع لا يرقأ له دمع، ولا تجف له عين.[6]

فاترك بكاءك في الديار فقد قضت عينـاك نحبهما مـن التسجـام

وأدرك ثأره من خاله قاتل أخيه فأبكى أمه وقال:[7]

بكت جزعاً أمـي رميلـه ان رأت دماً مـن أخيهـا في المهنـد بـاقيـا

---

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١٧٠.
(٢) انظر د. المعيني: شعر بني تميم ٢٠٣
(٣) انظر المصدر السابق نفسه ٢٧٩.
(٤) انظر المصدر السابق نفسه ٢٧٩.
(٥) المعري: رسالة الغفران ٥٧٨،
(٦) انظر شعر بني تميم ٧١
(٧) انظر شعر بني تميم ٧١

ورثى مالك بن نويرة عتيبة بن الحارث فارس بني يربوع، ورأى أن مقتل هذا البطل ليس يعدله مقتل جماعات من بني أسد فعتيبة أعلى منزلة، وأرفع مكانة من أولئك[1]

فخرت بنو أسد بمقتل واحد   صدقت بنو أسد عتيبةُ أفضل
فخروا بمقتلِه ولا يُوفى به   مثنى سراتِهُمُ الذين نُقتّلُ

ورثى عمرو بن الأسود الطهوي طريفاً العنبري قتيل يوم مبايض وقال:

فلا تبعدن يا خير عمرو بن جندب   لعمرى وَمن زار القبور ليبعدا
وما كان وقافاً إذا الخيل احجمت   وما كان عيطاناً إذا ما تجردا

وكان موت قيس بن عاصم سيد تميم وفارسها، نهاية مجد شامخ، وخسارة بناء متطاول من المناقب الحميدة[2]

فما كانَ قيسٌ هلكه هلكُ واحدٍ   ولكنه بنيانُ قومٍ تهدّمَا

وعندما قُتل جندل بن نهشل، مادت الأرض واضطربت في عين أخيه قطن بن نهشل، فجزع عليه جزعاً شديداً، وأصبح كمن فقد احدى يديه، أليس الأخ يد تعين في الرخاء، وتبطش عند البلاء.[3]

وذاك أبو ليلى أتاني نعيه   فكادت بي الأرض الفضاء تضعضع
كساقطه احدى يديه فجانب   يعاش به منه وآخر أضلع

هكذا كان رثاء الفرسان في تميم يتناول بطولاتهم وعلو مكانتهم ورفيع منزلتهم. وأي عين لا تدمع عند موت بطل أو فقد عظيم؟

★ ★ ★

وإذا كان رثاء الفرسان قد حدّث عن الشجاعة، كأبرز قيمة خلقية في رثائهم، فإن رثاء الأصدقاء يحدث عن قيم أخرى قد تكون الشجاعة واحدة منها لكنها ليست أبرزها.

---

(١) مالك ومتمم: شعرهما / ٧٧.
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٥
(٣) انظر شعر بني تميم ٢٧٧.

فقد رثى أوس بن حجر صديقه الوفي فضالة بن كلده الأسدي، وتحسر عليه،وبكاه بدمع سكوب، وماذا يملك الانسان غير هذا عند فقد عظيم، أو وقوع خطب جلل؟ وهل أروع من هول موت فضالة ـ أبي دليجة ـ عند شاعرنا أوس بن حجر؟ حتى أن النساء المحصنات خرجن يندبنه ويبكينه. لم لا؟ وفضالة كان ملاذ الفقراء، ومجير الأرامل، وفي بلاطات الملوك تراه خطيب قومه «ومندوبهم السياسي»، يرعى مصالحهم، ويقوم على صيانة حقوقهم، وعندما يمزق الخلاف صفوفهم، وتسعى الفوضى الى ديارهم، وتعصف معضلات الأمور بهم، فليس من يجمع الشمل غير فضاله. ويبلغ الزهو مداه عند أوس بجود فقيده، فأبو دليجه نهر سيال، وهو أيضاً أسد رئبال. ولهذا كانت رغبة أوس في أن يفدي صديقه بأهله وماله لينقذه، من براثن الموت، ولكن هيهات.. فالمنية لا تجيد إلا تفريق الأصدقاء، وتعميق الأحزان[1].

عينيَّ، لا بدَّ من سكبٍ وتَهمال	على فضالَة جلَّ الرزءِ والعَالي
جُمّا عليه بماء الشأن واحتفِلا	ليس الفُقود ولا الهلْكى بأمثال
أما حَصَانُ، فلم تُحْجَبْ بكلتِها	قد طُفْتُ، في كلِّ هذا الناسِ احوالِ
أبا دُليجةَ من يُوصَى بأرْمَلَةٍ	أم مَنْ لا شعثَ ذي طِمرينِ طِملال
أم من يكونُ خطيبَ القوم ان حفلَوا	لدَى مُلوكٍ أولى كيد وأقوال
أم من لقوم أضاعوا بعضَ أمرهم	بينَ السقُوطِ وبينُ الدّين دلال
فرّجتَ عنهم، وكنتَ غيثَهُم	حتى استقرّت نَواهم بَعْدَ تَزاوَل
أبا دُليجةَ من يكفي العشيرَة إذ	أمسَوا من الأمرِ في لَبْسٍ وَبلْبَال
وما خليجٌ من المروّتِ ذو حَدَب	يرمي الضريرَ بُخَشب الطلح والضال
يوماً بأجودَ منهُ حين تسألهُ	ولا مُغِبٌّ بتَرجٍ بينَ أشْبَال
قد كانت النفسُ لو سامَوا الفِداءَ به	اليكَ مسمحة بالأهلِ والمال

وكان موت فضالة رزءاً كبيراً، وفاجعة أليمة، وينهار كل شيء أمام

(١) أوس بن حجر: ديوانه ١٠٢، الشأن: عرق الدمع من الرأي الى العين، الأشعث: الهزيل، طلال: فقير، القسوط: العصيان، الدين: الطاعة، المغب: الأسد، ترج: موضع.

الشاعر أوس بموت صديقه، ويدهش من بقاء الكواكب في وضعها، والشمس والقمر في مكانيهما، فموت فضالة يعني حياة الناس والكون، وعسير أن نجد مثل فضالة رجل الأخلاق، وفارس الحرب، وجابر العثرات، ومانح الهبات.[1]

أَلم تكسفِ الشمسُ والبدرُ والكواكبُ للجَبَلِ الوَاجِبِ
لفقدِ فضالةَ لا تستَوي الفُقودُ ولا خَلّةُ الذّاهِبِ
ألهفاً على حُسنِ أخلاقِهِ على الجَابِرِ العَظْمِ والحارِبِ
ويَحبو الخليلَ بخيرِ الحِبَاء غيرَ مُكبٍّ ولا قَاطِبِ

وعندما يقسو القدر، وينتزع الأحبة، فلا ملاذ للمرء غير الصبر، ولا ملجأ إلا احتمال المكروه، ويموت فضالة، رجل الأمور العظام، وقد جمع بين مناقب أحبها العربي من سماحة وشجاعة، وحزم وعزم، ونجدة ومروءة[2]

أيتها النفس أجملي جَزَعا ان الذي تحذرينَ قد وقَعَا
ان الذي جمَع السماحة والنجدةَ والحزمَ والقُوى جُمعَا
أودَى وهلْ تنفعُ الاشاحة من شيء لمن قد يحاولُ البِدَعَا

حقاً كان أوس بن حجر صديقاً وفياً لفضالة، وفى له حياً وميتاً، وأجاد له الرثاء عن حزن صادق، وجزع عميق، والمرثية الأخيرة أحسن المراثي في رثاء فضالة فقد قال عنها الأصمعي لم أسمع ابتداء مرثية أحسن منها.[3]

وبكى الأسود بن يعفر على مصيره، ورثى نفسه قبل أن يغادر الحياة ذلك لأنه رأى الدهر يسلبه بهجة أيامه، ويعريه من فاخر ثيابه، ويهاجمه بنابه، ويجثم على صدره بكلكله، ويستغيث الأسود بمالك بن حنظلة سيد القبيلة، ولكن ما جدوى هذه الاستغاثة أمام سلطان الدهر؟ فيوم الشاعر قد دنا، ومورده لمنهل الموت قد اقترب.[4]

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ١٠ الواجب: الساقط، الفقود: المصائب، الحارب: المحارب. مكب: مفكر ونادم. قاطب: غاضب.

(٢) أوس بن حجر: ديوانه ٥٣، الاشاحة: الجد في الأمور.

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/١٣٥.

(٤) الأسود بن يعفر: ديوانه ٥٦.

الأهـل لهذا الدّهـرِ مـن متعَلــلِ سوى الناس مهما شاءَ بالنّاسِ يفعَلِ
فما زالَ مــدلــولا على مسلطــاً بيوءس ويغشـاني بنـابٍ وكَلكَـلِ
والفَـى رذائـي كـاملاً فـاستعَـاره ليسلبَني نفسي. أمال بنِ حنظَـلِ
فان يكُ يومي قـد دَنـا وأخـالُـه تـواردُه يـومــا على غيرِ مَنهــلِ

ورثى متمم بن نويره نفسه، وسط حزن مقيم، وألم دائم، أثر موت أخيه مالك، فعرض علينا كيف تكون نهايته، فإذا بنا نراه جريحاً في حرب أو غارة بين قومه واعدائهم، ويرحل عنه أصحابه بعد أن تركوه وحيداً، يعاني من جراحه، ويتمزق ألما في مكانه وتتقدم منه ضبع مخيفة، طويلة الشعر، مرعبة المنظر، وتبدأ معركتها معه، فتأخذ في نهش جسده، وهو لا يستطيع المقاومة وكيف يقاوم؟ وجناحه مهيض، وسيفه محطم، والجراح تفترس أشلاءه، ويظل حاله معها إلى أن يلفظ أنفاسه، ثم تأكله ويحزن متمم على هذا المصير المؤسف.[1]

يـا لهفَ مـن عـرفـاءَ ذاتِ فليلةٍ جــاءَتْ إليَّ على ثَلاثٍ تَجْمَــعُ
ظلَّت تُـراصـدني وتنظُـر حـولَهـا ويُــريبهــا رَمَــقٌ واني مُطمِــعُ
وتظـل تُنْشِطني وتُلحِـمُ أجْـريــاً وسط العرينِ وليس حـيٌّ يَـدْفَـعُ
لو كان سيفـي بـاليمـن ضربتُهـا عني ولم أوكـلْ وجنبي الأضيــعُ

ويرثي علقمة الفحل نفسه أمام رهبة الموت، ويذكر أنه حين يوارى في قبره بجوار رابية سيهجره الأصدقاء والأقرباء فيمسي وحيداً في ظلمة الفناء. وأين يلقى الشاعر موته؟ ليس غير أرض القتال مكاناً لهذا اللقاء، فعلقمة عند الجدِّ، وعظيم الأمور، يشمر عن ساعد القتال فيواجه الموت، الذي لا يستثنى أحداً حتى الفوارس الأبطال.[2]

وشـامـت بي، لا تخفـى عـداوتُـه إذا حِمامـي، سـاقتُـه المقــاديــرُ

(١) متمم ومالك: شعرهما ٩٩ عرفاء: لها عرفان الشعر، قليلة: قطعة من الشعر، تقمع: تطلع فهي عرجاء. وهذه الأبيات كاللتي سلفت ليس فيها .روح اســلامية وليسـت. متأثرة بالقرآن ونظرته الى الموت. الأمر الذي حدا بنا إلى الاستشهاد بها.
(٢) علقمة الفحل: ديوانه ٤٤.

اذا تضمَّني بيتٌ برابيةٍ ... آبوا سِراعاً، وأمسَى وهو مَهْجُورُ
فلا يغرَّنك جرِّي الثَّوبَ معتجراً ... إني امرؤ فيَّ - عند الجدِ - تشميرُ
كأني لم أقل، يوماً، لعاديةٍ ... شُدُّوا ولا فتيةٍ في موكبٍ سيروا

وعندما رثى عبد القيس بن خفاف نفسه طلب الى زوجه أن لا تجزع عليه ولا تلطم وجهها حزناً لفقده فقال:[1]

أفاطم إني هالك فتبيني ... ولا تجزعي كل النساء يتيم
ولا أنبأن ان وجهك شأنه ... خموش وان كان الحميم حميم

وطوى الردى امما كثيرة، والتهم الموت سادة وأبطالاً، ودكّ الزمان حصوناً، وهدم صروحاً.

فهؤلاء المناذرة أصحاب الخورنق والسدير وسنداد، غمرهم نعيم الحياة، وتمتعوا بالأهل والأولاد، وأقبلت عليهم الدنيا بمحاسنها، وابتهجوا فيها زمناً طويلاً ثم دهمهم الموت، ووافتهم المنية، وسعى إليهم الفساد، وعصفت الريح ببلادهم، وكانت نهاية حياتهم، انه الموت وراء كل نعيم وفي الدرب لأصحاب هذا النعيم.[2]

ماذا أؤملُ بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد إياد
أهلِ الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذى الشرفات من سنداد
جرت الرياح على مكان ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعمِ عيشةٍ ... في ظلِ ملكٍ ثابتِ الأوتادِ
فإذا النعيمُ وكل ما يُلهى بِهِ ... يوماً يصيرُ إلى بِلى ونَفادِ

والمنايا تصرع الملوك، وتزلزل العروش، وتحش القبائل، وتهدم الحضارات:[3]

فبتُ اعدّي كم أسافَتْ وغيّرت ... وقوع المنون من مَسودٍ وسائِدِ
صَرعْنَ قُباذاً ربَّ فارس كلها ... وحشَت بأيديها بوارِقَ آمدِ

---

(١) د. المعيني: شعر بني تميم ٣٤٧.
(٢) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٧.
(٣) عدي بن زيد: ديوانه ١٢٤، بوارق آمد: ديار بكر بن وائل، الحيقار: ملك أو رجل مهم في القبيلة. مارد: حصن بالجندل، وريدان: حصن في قنسرين.

وغصنَ على الحيقارِ وسطَ جنوده   وبيتن في لـذّاتـه ربَّ مـارد
وملكَ سليمانَ بن داودَ زلزلت   وريدان قد الحقنه بالصَّعائِد
وكان ملوكُ الروم يُجبى إليهمُ   قناطيرُ مالٍ من خَراجٍ وزائدِ

ويتكرر ذكر الامم البائدة في شعر عدي ذلك ان قص تلك الأمم كان مادة مواعظه، تلك المواعظ التي كان يمتحها من التاريخ والدين وتجارب الحياة.[1]

أين أهلُ الدّيارِ من قومِ نوحٍ   ثم عادٌ من بعدهم وثَمودُ
أين أباؤُنا وأينَ بنوهُم   أين أباؤُهم وأينَ الجُدودُ
سلكوا منهجَ المنايا فبادُوا   وأرانا قدحان منا وُرودُ

وأفنى الموت قبائل عاد وطوى ملوك المناذرة والغساسنة، وأتى على تبابعه اليمن وأدرك أهل الشاعر من بني تميم.[2]

أفنين عاداً ثم آل محرّق   فتركنهم بَلداً وما قد جَمعّوا
ولهن كان الحارثانِ كلاهُما   ولهنَ كان أخو المصَانعِ تُبّعُ
فعددتُ آبائي الى عِرقِ الثَرى   فدعوتُهم فعلمتُ أنْ لم يَسمَعُوا

والسادة وأبناؤهم مضوا في لاحب المنون، ووردوا منهل الردى، وعلى ذات الدرب سنمضي، غير أننا ننتظر دورنا.[3]

ألم ترَ أني بعد عمروٍ ومالكٍ   وعروةَ وابنِ الهول لستُ بخالدِ
وما نحنُ إلا منهُم غير أنّنا   كمنتظرٍ ظمأ وآخرَ واردِ

وماذا يعني فناء هؤلاء؟ انها مواعظ وعبر، وأحاديث وقصص لدار البقاء وأهلها المنتظرين. ماذا يصنع الباقون؟ وكيف فيما تبقى من حياتهم يفعلون؟ إنها سنة الحياة وما باق إلا وجه الله.[4]

ليسَ شيءٌ على المنونِ بباقِ   غير وجهِ المسبّحِ الخلاّقِ

---

(١) عدي بن زيد: ديوانه ١٢٢.
(٢) متمم ومالك: شعرهما ١٠٠.
(٣) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.
(٤) عدي بن زيد: ديوانه ١٥٠.

وفي مراثي تميم نظرة الى الدهر فهو الذي يهلك الرجال ويعصف بنضارة عيشهم وصروف الدهر هي التي تذهب بعظمائهم.[1]

ثم أضحـوا عصـف الدهـر بهم ... وكذاك الدهر يـؤدي بـالـرجـال

وصروف الدهـر لا يبقـى لها ... ولما تـأتي بـه صم الجبـال

وللدهر صولات فليحذرنها الانسان، فالدهر لين ونطوح، فهو يغري بعيش مؤنق ومبيت آمن ثم هو يكسر العظم بضرباته القاصمة، ويردي الانسان في ساحةِ الموت.[2]

إنَّ للدّهـر صـولـةً فـاحـذرْنها ... لا تَبيتنَّ قـد أمِنْـت الدُهـورا

قد يبيتُ الفتَى صحيحاً فيردى ... بعـد مـا كَـان آمنـاً مَسرورا

إنما الدّهـرُ لين ونَطـوحٌ ... يتركُ العَظْـمَ واهيـاً مَكْسـورا

والحوادث تتوالى على الانسان من حيث لا يحتسب،وفي الاسحار تكون له بالمرصاد[3]

يـا راقـدَ الليـل مسروراً بـأولـه ... ان الحوادثَ قد يطْرقْـن أسْحـارا

والحادثات تفنى ولكن المرء لا يجزع حين تنزل، وحيث تقع.[4]

ولقـد علمـتُ ولا محالـة إنني ... للحـادثـات فهـل تـريني أجْـزعُ

أفنينَ عـــادا ثم آل محرّقٍ ... فتركنهُـم بلـدا ومـا قـد جَمعـوا

والدنيا تصير الانسان للتراب[5]

لا يـروقنـك صـائـرٌ لفنـاء ... كـل دنيـا مصيرهـا للتراب

ومراثي تميم تنظر للموت على أنه نهاية المطاف، وأن مصير الإنسان الى فناء، فلا بد من ورود حوض المنايا، وماذا نتوقع من شعر تميم غير هذا؟ ألم تكن تلك نظرة الانسان الجاهلي؟ لقد رأى التميميون كغيرهم أن الموت

---

(١) عدي بن زيد: ديوانه ٨٣.
(٢) المصدر السابق نفسه ٦٤.
(٣) محمد الهاشمي: عدي بن زيد العبادي ١٥٦.
(٤) مالك ومتمم: شعرهما ١٠٠.
(٥) عدي بن زيد: ديوانه ١١٧.

مقبرة عظيمة وكانت تلك المقبرة من دواعي رعبهم وحزنهم، ففي امتع أوقات المسرة والهناء نراهم لا يهملون الموت، وإنما هم يذكرونه زمن اللهو والصبابة، وعند الشرب واللذاذة، فعلقمة بن عبده صحا من مجلس الشرب ليقول ـ انهم سيموتون، فالموت يحطم الأقوام، ولو كانوا ذوى عزة ومنعة وعدد ضخم، ومعول الموت يهدم حصونهم، وان وثبت الى عنان السماء، وتطاولت شامخة على دعائم متينة.[1]

بل كل قومٍ وإن عزّوا وإنْ كثروا عريفهم بأثافي الشرِّ مرجُوم

وكل بيت وان طالت إقامته على دعائِمه لا بدَّ مهدُوم

والموت عند متمم بن نويرة غول تلتهم، وسبيلها بين فلا بد من المضي فيه[2]:

ذهبوا فلم أدركهم ودعتُهُم غولٌ أتوها والطريقُ المَهيَعُ

والموت عند المخبّل السعدي هو الفقر، وان الثراء هو الخلود[3]

ان الثراء هو الخلود وان المرء يكرب يومه العدم

والموت تَلَفٌ يلحق بالإنسان مقيماً في أرضه، أو مسافراً بعيداً عن منزله[4]:

لا بد من تَلَفٍ مصيب فانتظرْ أبارضِ قَومِكَ أم بأخرى المصرعُ؟

والموت يقضي على الناس وهم في لين الأسرة والأنماط، ويدسّهم في التراب[5]:

بينا همْ على الأسرةِ والأنْماطِ أفضتْ الى الترابِ الخُدودُ

والموت يختطف الساسة، وهم يشرعون في التعمير والبناء.[6]

فأسأل الناس أين آل قبيس طحطحَ الدهر قبلَهم سابُورا

---

(١) علقمة الفحل: ديوانه ٦٤، ٦٧.

(٢) مالك ومتمم: شعرهما ١٠١.

(٣) المفضل الضبي: المفضليات ٢٠٧.

(٤) مالك ومتمم: شعرهما ١٠١.

(٥) عدي بن زيد: ديوانه ١٢٢.

(٦) المصدر السابق نفسه ٦٤.

خطفتـــــه منيـــــــة فتردى وهـــو في ذاك يـــأمـــل التعميرا

وهذا الموت لا يمنعه من الانسان حزم وتدبير، أو حرص وتحوط[1]

ولم يمنعـــه تـــــدبيرٌ وحـــــزم مـــن الموت المنغّـــص للسرورِ

والمعمرون الذين يغرهم طول أيامهم، وامتداد سنينهم، سيلقون الموت:[2]

فمن كان مغروراً بطـولِ حيـاتِـه فانـى جميـلٌ أنْ سيصرعُـه الدهـرُ
فليس بباق ان سألت ابنَ مـالـك على الدهرِ الاّ من له الدهرُ والأمـرُ

ولا تجدي الحصون ولا القلاع، وما فائدة الحرّاس من الأراجيل؟ انه الموت لا يستأذن أحداً عند الدخول، ولا ينتظر أوامر الحرّاس، وإنما يسرع الى المرء يتنزعه من بين الرجال، والقصر يتلفّت، والناس ينظرون.[3]

ولو كنتُ في ريمـــان تحرسُ بـابَـه أراجيل أحبـوش وأَغضـفُ آنـفُ
لأتتـــني حيـــث كنـــت منيتي يخبُ بها هـادٍ لاثـــرى قـائِـفُ

وماذا بعد الموت؟ وعندما يدلّى المرء في القبر ويوارى التراب؟ انه الحزن العظيم والبكاء المرير والألم الموجع، ويتمزق الانسان وهو يفقد واحداً من أهله، ويذوب حسرة، وهو يفارق بعض أحبته، فلا هناء ولا نوم، ولا حياة للمفجوعين.

متمم بن نويرة يرفض أن يجيب توسل زوجته بوضع نهاية لبكائه، فغياب أخيه مالك أفقده هناءة العيش وحرمه أحضان الزوجة.[4]

أقـــول لها لما نهتني عـــن البُكـــا أفي مـالـــكٍ تَلحيني أمَ خـــالـــدِ
ذَريني فـالا أبـك لم أنسَ ذكـــرَه وان أمـرّتني بـالعَـزاء عـوائِـــدي

ويعرض متمم عن رفيق دربه إن لامه على بكاء أخيه فكل القبور عنده قبر مالك ورؤية تلك القبور تهيج أحزانه، وتذرف دموعه.[5]

---

(١) المصدر السابق نفسه ١٣٤.
(٢) انظر د. المعيني: شعر بني تميم ٢٤٠.
(٣) أوس بن حجر: ديوانه ٧٤.
(٤) مالك ومتمم: شعرهما ٨٨.
(٥) المصدر السابق نفسه ١٢٥.

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال: أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوي بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا فدعني فهذا كله قبر مالك

وغياب الميت يحرم أهله النوم، فما أن يأوى الى بيته ليلاً ويذكر أخاه حتى تثور الأحزان، وتنهمر الدموع، ويذوب القلب حزناً وألماً.[1]

أرقتُ ونامَ الأخلياءُ وهاجَني مع الليلِ همّ في الفؤادِ وجيعُ
وهيّج لي حزناً تذكّرُ مالكِ فما نمت إلا والفؤادُ مروعُ
إذا عَبرة ورّعتها بعد عَبْرة أبَتْ واستهلت عبرةٌ ودموعُ

حقاً لقد صب متمم من دموع عينه رثاء أخيه غزيراً حزيناً فكان أصدق الراثين وأشدّهم حزناً، وأذرفهم دمعاً، وفاق البكّائين في تصوير أشجانه، وعمق جراحه، وعظم فاجعته، ولذا عده ابن سلام في مقدمة أصحاب المراثي وقال، «والمقدم عندنا متمم بن نويرة فقد أكثر وأجاد»[2] وأعجب ابن الأثير بمراثيه، ورأى أنه لم يقل أحد مثل شعره في المراثي[3] وقيل في أبيات رثائه أنها أبلغ ما قيل في تعظيم ميت.[4]

وهكذا أوضحنا أقسام الرثاء عند تميم، رثاء الفرسان ثم الأصدقاء ثم النفس الانسانية ثم الأمم الماضية، وبعدها رأينا كيف نظر شعر تميم الى الدهر والموت وأحداث الحياة وعرفنا كذلك في هذا الرثاء أثر الحزن والبكاء.

وفي كل مراثي تميم وجدنا رثاء عظيما، يحدّث عن فقيد بطل ويخبر عن ميت صديق، ويسوق قصصاً لأمم توارت وقبائل بادت. وكان علينا أن نحزن ونتألم ففي الرثاء حزن يصدع الصدر، وشجن يجري الدمع وألم يمزّق القلب.

---

(١) مالك ومتمم: شعرهما ١٠٢.
(٢) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١/١٧٠.
(٣) المبرد: الكامل في اللغة والأدب ب ١٢٣٦.
(٤) النويري: نهاية الأرب ٥/١٧٧.

شعر الطبيعة

وتحدث شعر تميم عن الطبيعة، وعنى بها عناية فائقة، فوصف سحابها وأمطارها، ورياضها وقيعانها، وتناول بالوصف حيوانها، ومثّل هيآت ذلك الحيوان وقصّ علينا أوصافه، ودقائقه، ونقل لنا بعضاً من طبائعه.

وقد يقال أن شعراء الجاهلية فعلوا مثل هذا فوصفوا الطبيعة، وتناولوا فيها حيوانها ـ وهذا حق ـ ولكن عناية التميمين بالطبيعة، وفي جانب من جوانبها، ـ فيما يبدو لي ـ كانت أبرز وأقوى.

فقد استطاع شعر تميم أن ينقل لنا مشاهد تامة الوضوح من واقع الطبيعة، وأن يقدم إلينا مناظر متقنة الصور من عالم تلك الطبيعة، ووقف الشعر عند الدقائق والتفاصيل لتلك المشاهد، وأطال الوقوف، كما رسم ذلك الشعر صور تلك المناظر وأجاد الرسوم.

ولو لم تكن تميم قبيلة الحرب لأمكن أن تكون قبيلة ـ الطبيعة ـ ان صحت التسمية لكننا ندرك أن الحرب لم تترك وقتاً طويلاً لشاعر تميم، ليتقصى بواطن الصحراء، ويتوغل في أعماق معالمها، ورغم هذا فالمشاهد التي جاءت في شعرهم تكفي لإظهار براعتهم في هذا المضمار.

ولهذا سأقف وقفات ليست طويلة مع مشاهد الطبيعةفي شعر تميم، وأتناول ثلاثة من هذه المشاهد التي احتفل بها شعر تميم احتفالاً مبيناً، وعنى بها عناية فاقت شعر غيرهم، وأعرض في المشهد الأول وصف السحاب، وفي الثاني وصف النعام، وفي الثالث وصف الحيوان الوحشي، أما الناقة والحصان، وسائر الحيوان، وأما الصحراء وجل مناظرها ومشاهدها، في شعر تميم فتتوافق وأوصاف الشعر الجاهلي، وظل لشعر تميم في هذا الجانب إبداع وامتاع.

ويعرض علينا أوس بن حجر شاعر تميم الكبير مشهداً للسحاب، ونراه يصف لنا مطراً هطولاً، بدأ ينهمر ليلاً من عارض جلل السماء، والبرق يلتمع

من خلاله، ويضيء كأنه الصبح المنير.

وكان سحاباً كثيفاً مثقلاً بالماء، يسير وئيداً، ويمضي بطيئاً، ثم دنا من الأرض، وتدلت غماته، حتى كاد الانسان يدفعها براحته، ويتحسسها بيديه، وفي البعيد والأبصار ترنو الى جبل شَطْب في ديار تميم، وقد تلفع الجبل بالغيوم، وأحاط به السحاب من كل جانب، وسطع البرق من خلاله، فبدا مثل حصان أبلق، أرأيت الى هذا الابلق؟ فيه بياض وسواد، هكذا يبدو الجبل، يلتمع البرق في جانب منه ويضيئه فإذا هو أبيض، وفي جانب آخر لا برق ولا اضاءة، فإذا به أسود.

وعصفت رياح الجنوب بأعجاز السحب فانصب الماء صبّاً، وسحّ المطر سحّاً، ألم نقل أن الأمطار في منازل تميم تنزل غزيرة أحياناً كأفواه القرب؟ ها هو أوس بن حجر يؤكد حقيقة ما أوضحناه سابقاً.

وعندما تندفع السحب وتلجّ في اندفاعها، تتصدع طبقاتها، وترتطم ببعضها، فيحدث الرعد، ويتابع الشاعر أصوات الرعود، إذ يبدأ الرعد بفرقعة في ذروة الغيم العليا، ثم يحدث جلجلة في أسفل السحاب وطبقاته الدنيا.

ويسوق المطر أمامه كل ما يعترض سبيله على وجه الأرض، فقد كان مطراً غَدَقاً، سحا طبقا، عمّ جميع المناطق، فلم يترك مرتفعاً فيها، ولا منخفضاً منها، إلا وأفرغ ماءه فيه.

وأيضاً ألم نقل أن قيعان الصمان ممرعة؟ واذا أخصبت ربعت العرب جميعاً، فهذا أوس ابن الصمان ينقل لنا هذا المشهد الذي يوضح حقيقة ذلك الخصب، وقد حدّث في مشهده هذا عن سحاب يتراكم، وبرق يلتمع، ورعد يجلجل، وأمطار تهطل، وقيعان تمرع.

حقاً لقد أجاد أوس بن حجر وصف السحاب، وأعجب الأصمعي بهذا الوصف فقال «لقد أحسن أوس في وصف السحاب».[1]

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢٠٦/١.

إني أرقت ولم تأرقْ معي صاحِبي ... لمستَكّفٍ، بُعيد النوم، لَوّاحِ[1]

يا من لبرقٍ أبيتُ الليلَ أرقبُه ... في عارضٍ كمضيءِ الصبحِ لمّاحِ

دانٍ مُسّفٍ، فويق الأرضِ هيدبُه ... يكادُ يدفعُه، من قامَ، بالرّاحِ

كأن ريقه لما عَلا شَطَبا ... أقرابُ أبلقَ، ينفي الخيلَ رمّاحِ

هَبتْ جنوبٌ بأعلاه ومالَ به ... اعجازُ مُزنٍ، يسحّ الماءَ، دلاحِ

فألتج أعلاه ثم ارتجَّ أسفلُه ... وضاق ذرعاً بحمل الماء مُنصاحِ

كانما بين أعلاه وأسفَلِه ... رَيْطٌ منشّرة أو ضوءُ مِصْباحِ

ينزعُ جلدَ الحصى أجشُّ متبركٌ ... كأنه فاحصٌ أو لاعب داحى

فمن بنجوته كمن بمحفِلِه ... والمستكّنُ كمنْ يَمشي بِقرواحِ

فأصبحَ الروضُ والقيعانُ ممرعةً ... من بينِ مرتفقٍ منها ومِنْطَاحِ

* * *

ويرسم لنا سلامة بن جندل منظراً آخر من مناظر السحب في ديار تميم، فهذه السحب تجر ذيولها، وتحمل في طياتها غيثاً عمياً، ينهمر ماؤه فيروي المناطق العطشى من أشابه، وزرود، والأفلاق، وتجري أمطاره مقتحمة بيوت النعاج، فتهوى على ركبها، وقرونها، وتتدفق المياه سيولاً معجلة في تدفقها، وتغمر الأرض فإذا السهوب قد ازدانت، وبدت الأزهار فيها اعلاقاً نفيسه كالتي تنسجها بلاد بصرى وفارس، وتعرضها في الأسواق المشهورة.[2]

ومجرِ ساريةٍ تجرُّ ذيولها ... نَوْسَ النعامِ تُناطُ بالأعْناقِ

مصريةٍ نكباء اعرضَ شَيّمُها ... بأشَابةٍ فزرودَ فالأفلاقِ

هَتَكتْ على عُوذِ النعاجِ بيوتَها ... فيقعنَ للركباتِ والأرواقِ

فترى مذانبَ كلِّ مدفعٍ تَلعَةٍ ... عَجِلتْ سواقيها مِنَ الإتاقِ

فكأنّ مدفع سيل كلّ دميثةٍ ... يُعلى بذي هُدُبٍ من الأعلاقِ

من نسجِ بصرى والمدائن نشرت ... للبيع يوم تحضر الأسواقِ

(١) أوس بن حجر: ديوانه ١٥، مستكف: مطر هاطل، مسف: شديد الدنو من الأرض. هيدب: ما تدلى منه. شطب: اسم جبل في بلاد تميم، دلاح: مثقل بالماء، منصاح: منشق، ربط: أثواب. أجش: غليظ الصوت، مبترك: مسرع في العدو، النجوة: مرتفع الأرض، والمحفل: مستقر الماء. مرتفق: ماء راكد. منطاع: ماء يسيل لا يحبسه شيء.

(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ١٣٦.

كما وصف عمرو بن الأهتم سحاباً تدلى إلى الأرض، يحمل مطراً دفّاقاً في ليلة باردة، تعصف بها رياح هوج، وقد التمع من خلال ذلك السحاب[1]

يعالج عرنينا من الليل بارداً ... تلف رياح ثوبه وبروق
تألق في عين من المزن وادق ... له هيدب داني السحاب دفوق

ويصف عدي بن زيد سحاباً كثيفاً مثقلا بالماء، تسوقه رياح الشمال من مكان الى مكان، فيفرغ ماءه، ويُسّح مطره، ويمد سيوله الى الأرض، ويتألق البرق من خلاله، فإذا هو نار تلتهم الشنان، وتتجاوب أصوات الرعد في طبقاته، وكأنها قرع الدفوف وأنغام الزمر في الأفراح والأعراس، وسقى هذا السحاب مناطق البطين والبسيطه والحرنين، ثم اتجه الى أرض اليمامة، يصب مطره في مرابعها.[2]

وحَبيٍ بعد الهدوِ تزجّيه ... شَمالٌ كما يزجّي الكَسيرُ
مرح وبله يسحُّ سيولَ ... السّماء سحاً كأنه منحور
وسطه كاليراع أو سرج ... المِجدَلِ حينا يخبو وحينا يُنيرُ
مثلَ نارِ الحَرّاضِ يجلو ذُرى ... المُزْنِ لِمَنْ شامَه إذ يَستَطيرُ
زَجَلٌ عَجزُهُ يجاوبُه دُفٌ ... لِخونٍ مأدوبَةٍ وزَميرُ
فسقى البطن فالبسيطةَ ... فالحرنين يهدي لوجهه ويَحورُ
فاستدارت به الجنوبُ على ... الحَزْنَةِ فالحِنو سيره مقصورُ

ويقدم لنا علقمة الفحل مشهداً آخر من مشاهد الطبيعة الفاتنة في ديار تميم وفي هذا المشهد نرى ظلياً، دقيق الفم، طويل المنقار، صغير الأذنين في مرعى خصيب، طال نباته، وتنوع شجره، فالظليم يتناول حب الحنظل، ويخدم ورق التنوم، وياكل من نبات شهي في سعادة غامرة، واطمئنان عظيم.

وفجأة يتغير الجو، وتهب الريح، ويتساقط رذاذ المطر، ويكون هذا انذاراً للظليم، بحدوث عاصفة ممطرة، ويخشى أن تحبسه عن الوصول الى بيضه

---

(١) انظر شعر بني تميم ٣٥.

(٢) عدي بن زيد: ديوانه ٨٦، حبى: سحاب كثيف، مرح: مسبل المطر، البراع: ذباب يطير كأنه نار، الحراض: الذي يحرق الجص ويوقد عليه النار، قال ابن الأعرابي شبه البرق بالنار في الشنان، زجل: سحاب ذو رعد.

ومنزله، فيسرع عائداً إلى أسرته في عدو شديد، وخطاً متلاحقة، ويفلح في النجاء من العاصفة، فقد وصل إلى منزله قبل غروب الشمس.

والظليم يقظ حذر، يطوف ببيته، ويتفحص المكان، خوفاً من عدو يختل، أو موت يترصد، حتى إذا اطمأن وزالت مخاوفه، دخل ادحية بلهفة وشوق، وآوى الى بيضه وصغاره، وناجى «زوجه» في غناء عذب، وفرح كبير[1]:

كـأنَّهـا خـاضـبٌ زعـرٌ قـوائِمـهُ ... أجنَى لـه بـاللِّـوى شَـريٌ وتَنُّـومُ

يَظلُّ في الحنظـلِ الخُطْبَـان يَنْقُفُـه ... ومـا استَطـفَّ مـن التَّنُّـومِ مخذُومُ

فُـوُه كَشـقِّ العَصَـا لأيـاً تَبينـهُ ... أسَكُ ما يسمعُ الأصـوات مصلوم

حتى تـذكَّـر بيضـاتِ وهيّجـةٌ ... يـومُ رذاذٍ عليـه الريـحُ مغيـومُ

فلا تـزيـدُهُ في مشيـهِ نَفِـقٌ ... ولا الزفيفُ دويـنَ الشـدِّ مسـؤوم

حتى تَلافى وقرنُ الشمسِ مرتفِعٌ ... ادحِيَّ عِرْسَيْنِ فيه البيضُ مركـومُ

يأوى الى خُـرَّقٍ زُعْـرٍ قـوادِمُهَـا ... كـأنَّهُـنَّ إذا بـرَّكـنَ جُـرثُـومُ

يـوحِـي اليهـا بـانقـاضٍ ونَقنقَـة ... كما تَـرَاطَـنُ في افـدانِهـا الرُّومُ

تَحُفُّـه هقلـةٌ سطعـاء خـاضِعـةٌ ... تُجيبـهُ بـزمـار فيـه تَـرنيمُ

وحدث ثعلبة بن صعير عن ظليم نشيط شبه به ناقته، فهذا الطليم شديد في سرعته، وقد راح يسابق انثاه التي تطاير ريشها لشدة جريها ويحدث الشاعر ثعلبة أن تلك النعامة ـ انثى الظليم ـ تذكرت بيضها المنضود، ورألها المغرد، فأسرعت عائدة الى أدحيها الذي بنته فِي مكان خصيب، ريان الحنظل والنبات.

وعندما تهيأت الشمس للغروب وقبل أن يغرق قرصها في ماء نهر كافر، عاد الظليم والنعامة الى أدحيها بجري سريع، ووثبات متلاحقة وكأن تلك الوثبات دفقات من شآبيب غيث هطل ليلاً.

وعندما وصلت النعامة بيتها جثمت على بيضها، في منظر بهيج، وزهو

---

(١) علقمة الفحل: ديوانه ٥٨، الخاضب: الظليم الذي أكل الربيع واحمرت قوائمه، زعر: قليلة الشعر، الخطبان: حنظل فيه خطوط صفر وحمر، مصلوم: مقطوع الأذن، نفق: ذاهب منقطع، الزفيف: دون العدو، حزن: فراخ، هقلة: نعامة، سطعاء: طويلة العنق.

كبير، وكأنها أحمسية نزعت خمارها، وكشفت وجهها، فبدا حسنها وجمالها.[1]

وكأن عيبتها وفضل فتانها	فننان من كنفي ظليم نافر
يبرى لرائحة يساقط ريشها	مر النجاء سقاط ليف الآجر
فتذكرت ثقلا رئيداً بعدما	ألقت ذكاء يمينها في كافر
طرفت مراودها وغرد سقبها	بالال والحدج الرواء الحادر
فتروحا أصلا بشد مهذب	ثر كشؤبوب العشى الماطر
فبنت عليه مع الظلام خباءها	كالأحمسية في النصيف الحاسر

ويصف عدي بن زيد أداحي النعام، ويحدث عن روض نضير، جاده مطر هتون، فازدان حسناً، وتأنق فيه زهر بهيج، وفيه يبيض النعام، وفي كل أدحية نرى خدبا من حفان النعام يتواتب الى الارض، بينما راح أزغب من رئال النعام يشق بيضه، ويخرج الى النور، ويمضي مع خيطان النعام، فينعم بهذا الفضاء الرحب[2].

وبجودٍ قد اسجهرَّ تناوير	كلون العُهون في الاعلاق
لم يعبه الا الاداحي فقد وبَّر	بعضُ الرّئال في الأفلاق
والخدب العاري الزوائد	ملحفان داني الدماغ للاماق

ونحن ندرك أن ذكر النعام، ووصف الظليم في شعر تميم، وشعر الجاهلية يرد بكثرة، وذلك ليكون وسيلة لابراز سرعة الناقة أو الحصان عندهم، ويظل وصف علقمة للظليم، مشهداً بديعاً بين مشاهد النعام في الطبيعة.

★ ★ ★

(١) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.

(٢) عدي بن زيد: ديوانه ١٥٢، اسجهر النبات: طال وانبسط، العهون: الصوف، والاعلاق: النفائس، الرئال: صغار النعام الحدب: صغير النعام الضخم الرأس، الحفان: صغار النعام واحدها حفانة، الاماق: مجاري الدموع.

وفي منطقة الشيطين نرى حماراً وحشياً وأتانه يتدافعان كأنهما عاشقان، ويتقدم الحمار من أنثاه مداعباً لها ومحاولاً اغراءها، ليأخذها بعيداً عن هذا المكان فهو يغار عليها من قطيع الحمر الوحشية ولم لا يغار؟ وهي أتان بيضاء العجيزة، ملساء الظهر طويلة القامة، وعلى جسمها ندوب وخموش.

الحمار الوحشي يريد أن يمضي بهذا الجمال. ويبتعد به الى مكان آخر أكثر أمناً فيه ماء وربيع ويفلح الحمار في محاولته، ويقود أتانه في القفار والقفاف، وسط نوازع من الخوف والرهبة، حتى اعياها المسير، وهدها الجهد، وهزلت الاتان، وكان بطنها يلتصق بظهرها من التعب والظمأ والجوع، وأخيراً وصلا الى منطقة الستار، فاعتلى الحمار رابية المكان، وراح يطل على السهوب المجدبة، فلا ماء ولا ربيع، ولفحته الشمس في مكانه، فشعر بندم على ما ارتكبه من خطأ في حق انثاه، وما لقيته من عناء في سبيل الاستئثار بها.

وفي هذا القفر القائظ اللاهب، يتذكر عين ماء، فيتحول من حالة الضائع الممزق، الى موقف المتأمل الذي انفتح أمامه سبيل الحياة، وتحول اليها فهي عين صفا ماؤها، واعشوشب ترابها، واخضرت جنباتها وتطايرت الفراشات حواليها، فبدت مثل قطيفة مخلية.

وعندما وصل الحمار عين الماء، دلى رأسه يعب الماء منها، فاذا بصوت سهم يمر بجانبه، فيترك الماء، ويندفع ثانية، مشتداً في جريه مع أتانه ناجياً من سهم الصياد، باحثاً عن ماء وربيع في مكان آخر، وطالباً واحة أمن جديدة[1].

كأني كسوتُ الرحلَ أحقبَ قارباً ... لــه بجنــوبِ الشّيطين مسَــاوفُ

يقلّب قَيدوداً، كــأنَّ سراتَهــا ... صفا مدُهنٍ، قد زحلفتهُ الزَحالـفُ

يقلّـب حقبـاءَ العجيـزة سمحجـا ... بها نـدبٌ، مـن زرهِ ومنـاسـفُ

وحلأهَـا، حتى اذا هـي احنقـت ... وأشرف فوقَ الحالبين، الشراسـفُ

(١) أوس بن حجر: ديوانه ٦٧.
الاحقب: الحمار الوحشي، الشيطان: انظر منازل تميم. المساوف: شم الابول، قيدود: اتان طويلة. سراه: ظهر حقباء: بيضاء، سمحج: طويلة. مناسف: عض الحمار. حلأها: طردها، الشراسف: اطراف الاضلاع

فأضحَى بقـارات السَّتـار كـأنَّـهُ ربيئةُ جيش، فهو ظمآن خائـفُ
يقـول لـه الراءون هذاكَ راكـبٌ يؤبنُ شخصاً، فوق عليـاء واقـفُ
اذا استقبلتهُ الشمسُ صد بـوجهـه كما صدَّ عن نار المُهـول حـالِـفُ
تذكر عينـاً، مـن غمازَةَ، ماؤهـا لـه حبَـبَ، تستن فيـه الزخَـارفُ
لـه ثـأدٌ، يهتـز، جعـدٌ كـأنـهُ مخالطُ أرجـاء العيـون القَـرَاطِـفُ
فأوردهـا التقـريـبُ والشـدُّ منهلا قطاهُ معيدٌ كـره الوردِ، عـاطـفُ
فلاقى عليها مـن صُبـاحَ مـدمّـراً لناموسه مـن الصَّفيـحِ، سقـائـفُ
فـامهلـهُ حتى اذا أن كـأنّـه مُعاطى يدٍ، مـن جمةِ الماءِ غـارفُ
فمـرَّ النَّضيُّ للـذراعِ ونحرهِ وللحين احياناً عن النفسِ صَـارِفُ
فما زالَ يفـري الشـدَّ حتى كأنمـا قـوائـمـهُ في جانبيـه الزَّعـانِـفُ

وهكذا يكون الحمار الوحشي مثالاً حياً للسرعة الهائلة[1]، وقد تفوق أوس ابن حجر في وصف هذا المشهد الفاتن من مشاهد الحمر الوحشية في الطبيعة، ولذا قال القدماء «ما وصف أحد الحمر الوحشية الا احتاج الى أوس بن حجر»[2].

ويحدّث المخبّل السعدي عن حمار وحشي في ديار بني سعد، وهو حمار يصحب اتانا بيضاء، أشرق ضرعها، وبدا حملها، فهو يرضى أن يفوز بها، ويطرد عنها الحمر الوحشية، ويعدو بها الى عين الماء وتتقدم عليه فما أن تسبقه قليلاً حتى يلحق عجلاً بها، وأخيراً وصلا عينا صفا ماؤها، وتطاير فوقها

صَخِـبُ الشـوارب والوتين كـأنّـه مما يُغـردُ مـوهنـاً بخنـاقِ
في عانـةٍ شَسَـبٍ اشـدَّ جحـاشهـا شُزُبٍ كـأقـواسِ السَّـراء دقـاقِ

(١) الستار: انظر منازل تميم
غمازة: اسم مكان وهي عين دون هجر لتميم.
تستن فيه الزخارف: تطير حولها الفراشات.
الثأد: التراب، جعد: ندى، القراطف: القطائف المخملية. مدمر: صياد. النضي: السهم، يغري: يسرع بشدع

(٢) الحمار الوحشي وسيلة لابراز سرعة الناقة.

بعوضها، ولم تكن آمنة من الاخطار فها هو صياد يترقب، حتى اذا دنا الحمار وأتانه، وراحا يعبان الماء، رماها الصياد، ولكن القدر أعمى سهمه، فلهّف أمه، وعضّ على أصابعه ندماً وأسفاً، فهب الحمار وأتانه يبتعدان في سرعة ملهبة، ويصبّان الجري صباً، ويثيران ساطعا، ويدفعان حجارة، وظلا يتعاوران الشوط حتى وصلا الى منطقة آمنة من ديار تميم بين مثقب ومطار.

ذكرَ العيونَ وعارضتهُ سمحجٌ حملت له شهرين بعدَ نزارِ
يرضى بصحبتها إذا برزت لهُ واشذَّ عنها إلف كلَّ حمارِ
وتفوته نَشَزاً فيلحقُ معجلا ربذَ اليدينِ كفايضِ الأيسارِ
فتذكرا عيناً يطيرُ بعوضُها زرقاءَ خاليةً من الحضّارِ
والازرقُ العجليُّ في ناموسهِ باري القِداحِ وصانعُ الأوتارِ
فَدَنت له حتى اذا ما أمكنت ارساغهُ من معظمِ التّيارِ
فرمى فأخطأها ولهف أمه ولكل ما وقّى المنية صَاري
فتوليا يتنازعانِ لساطعِ متقطعِ كملاءةِ الأنبارِ
يتعاوران الشوطَ حتى أصبحا بالجزعِ بين مثقب ومُطارِ[1]

ويصف لنا كذلك سلامة بن جندل التميمي حماراً وحشياً في أيام الخريف فاذا به عاري الوبر، يقضي لياليه صاخباً يجيب كل ناهق، ورغم كثرة الأعشاب حوله، الا أننا نراه ضامراً صخابا، تنطلق صرخاته وكأن يداً أخذت بخناقه، ثم نراه يسوق صغاره من الاتن الهزيلة وقد أجهدها التعب، فبدت كالاقواس الدقيقة[2].

متخرفٌ سلبَ الربيعُ رداءه صَخبُ الظلامِ، يُجيبُ كلَّ نُهاقِ
من اخدرياتِ الدنا التفعت به بُهمى النّقاعِ ولجَّ في إحناقِ

(١) انظر شعر بني تميم ١٠٣.

(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ١٤٢.

والى جانب الحمار الوحشي وصف شعر تميم الثور الوحشي أيضاً فعبده بن الطبيب يصف لنا ثوراً وحشياً مفروق القرنين، أسود العينين، اسفع الوجه، ويعلو جسمه لون أبيض ويبدو كأنه يرتدي ثوباً أبيض جديداً، وقوائمه فيها وشوم وخطوط، وتظهر مكانها سراويل سود. ويحدث الشاعر عن معركة بين هذا الثور وصياد مع كلابه ويجد الثور طريقاً للفرار، وتطارده الكلاب، ولا بد من قتال ثم يقف الثور ويبرز قرنيه وهما سلاحه الفتاك، والحربتان اللتان يعدهما ليخوض معركة الموت، ويطعن الثور بهما كلاب الصيد طعنا شديداً سريعا وعلى دفعات حتى اذا خرّقَ صدور الكلاب ومزق أجوافها وصبب دماءها، تركها تعاني من جراحها، وتتمزق من ألمها ومضى يسابق الريح، وكأنه سيف أبيض أتقن صنعه واجيد جلاؤه، فحسن بلاؤه[1].

كأنّها يومَ وردِ القوم خامسةً ... مسافرٌ اشعبُ الروقين مكحولُ
مجتابُ نصع جديدٍ فوق نقبتهِ ... وللقوائمِ من خالٍ سراويلُ
مسفعُ الوجه في ارساغه خدمٌ ... وفوق ذاك الى الكعبين تحجيلُ
باكره قانصٌ يسعى بأكلبُهِ ... كأنه من صلاء الشمس مملولُ
فاهتزَّ ينفضُ مدريين قد عُتقا ... مخاوضٌ غمراتِ الموتِ مخذولُ
حتى إذا مضّى طَعناً في جواشنها ... وروقُه من دمِ الأجوافِ معلولُ
ولى وصرّعن في حيثُ التبسنَّ به ... مضرجات باجراح ومقتولُ
كأنه بعدَ ما جدَّ النجاء به ... سيفٌ جلا متنه الأصناعُ مسلولُ

وفي كل مشاهد الحيوان الوحشي في شعر تميم ينجو الحمار أو الثور من الموت الذي يترصده على عين الماء أو يطارده في عرض الفلاة، ويظل هذا الحيوان هو المنتصر في كل تلك المشاهد ولسنا ندري إن كان هذا أمراً نضيفه الى سجل تفوق تميم في شؤون حياتها وانتصاراتها، حتى الحيوان عندها ينتصر في وقائعه مع أعدائه.

---

(١) عبده بن الطبيب: شعره ٦٥.
مسافر: ثور شبه بن الناقة. مجتال: لابس، نصع: ابيض. السفعة: سواد يضرب أي حمرة. خدم: بياض، مملول: متغير اللون، المدريان: الفرسان، جواش: صدور الاصناع: جمع صنع الرجل الحاذق.

وفي شعر تميم مشاهد ـ غير التي ذكرنا ـ تحدّث عن الناقة والحصان وتصف الطرد والصيد، وتخبر عن الشاء والنعم، وعن الذئب والغول، وفيه مناظر أخرى للامطار والمناطق الممرعة، وهذه المشاهد والمناظر نجدها في شعر أوس بن غلفاء، والاسود بن يعفر وذي الخرق الطهوي، ومخارق بن شهاب، والمخبل السعدي، وغيرهم، لكننا آثرنا الاكتفاء بما نقلنا من مشاهد.

وهكذا نرى أن شعراء تميم وصفوا الطبيعة، وبرعوا في نقل مشاهدها، وتفوقوا فيها وسبقوا غيرهم الى دقيق المعاني، وقوة الوصف، والى ابتكار الصور وروعة التمثيل، وفي متانة البناء، وسبك القصيد، وقد شهد القدماء من العلماء لشعر تميم بهذا التفوق والسبق، فابن الاعرابي يقول «ما وصف أحد النعام الا احتاج الى علقمة، وما وصف أحد الحمر الوحشية الا احتاج الى أوس بن حجر[1]».

وابن قتيبة يرى أن أوساً أشهر الوصافين للحمر الوحشية وعند الأصمعي أن أوساً أحسن في وصف السحاب[2] وعند الأصفهاني أن أوس بن حجر أجاد في وصف السحاب والمطر[4].

فالسحاب والحيوان الوحشي، والنعام، هي صور المشاهد الثلاثة التي تناولناها بالدراسة ـ من الطبيعة ـ في شعر تميم.

وبعد، أترانا نسير في ذات الدرب من حيث التفوق الشعري لقبيلة تميم، وهل استطعنا أن نتبين سبقها في هذه الوقفات السريعة مع شعر الطبيعة؟

---

(١) الاصفهاني: الأغاني ١٦/٢٩٦.
(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٠٥.
(٣) المصدر السابق الموضع نفسه.
(٤) الأصفهاني: الاغاني ١١/٧١.

موضوعات أخرى

اذا فرغنا من الحرب والرثاء والطبيعة وهي الموضوعات التي استأثرت بأكبر نصيب من شعر تميم، وكان لها فيه سبق وتفوق، يتبقى لدينا بقية أخرى من الموضوعات تناولت وصف الاخلاق، والغزل والهجاء.

أما الأخلاق فتناولها الشعر في ناحيتين: الاولى ـ ما كان من أخلاقهم في مجالات الفضائل والخصال التي تبقي الانسان متزناً، متعقلاً، منصرفاً الى كريم الفعال في السلم والحرب، والثانية: ما كان من أخلاقهم في مجالات اللهو والمتعة من شرب وخمر وغناء ونساء.

وقد اتسع شعر التميمين لوصف أخلاقهم وفضائلهم، فما أكثر مما اشتروا الحمد بالجود فقال شاعرهم[1]:

والجودُ نـافيـةٌ للمال مهلكـةٌ ... والبخلُ مبقٍ لاهله، ومذمومُ
والحمـدُ لا يُشترى الا لـه ثمنٌ ... مما تضن بـه النفـوس معلـومُ

* * *

وكل كـريم يتقي الذم بـالقرى ... وللخير بين الصالحين طَـريـق[2]
فتى يتشرى حسـن الثنـاء بمالـه ... اذ السنة الشهباء اعوزها القطـر[3]

وأخلص التميّمون في ودهم لاصدقائهم[4]:

ومـا بـدأت خليلا لى أخـا ثقـة ... بـريبـة لا ورب الحل والحرم
يأبى لي الله خون الأصفيـاء وان ... خانوا ودادي لأني حاجزي كرمـي

وانصرفوا عن اخوانهم عندما يمطلون ويكذبون[5]

ولقـد أروغ على الخليـل اذا ... خـان الخليل الوصل أو كـذبـا

---

(١) علقمة الفحل: ديوانه (٦٤).
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٥.
(٣) الاسود بن يعفر: ديوانه ٣٥.
(٤) عدي بن زيد: ديوانه ١٧١.
(٥) اوس بن حجر: ديوانه ١ أروغ: انصرف عنه.

وصفحوا عن جهالهم، واحتجوا على ظلم أقاربهم:[1]

ألا أعتبُ ابن العمّ ان كـان ظـالما   واغفرُ عنه الجهـلَ إن كـان أجهلا

وتحولوا عن دار الهوان، لشممهم وإبائهم:[2]

أقيمُ بدار الحزمِ مـا دامَ حـزمهـا   وأحـر اذا حـالــت بــأن أتحولا

وكانوا في الأيام العصيبة ملجأ فقرائهم، وموئل مستضعفيهم[3]

قـوم اذا صرحـت كحـلٌ بيـوتهم   عزُّ الذليل ومأوى كلِّ قـرضـوبِ

ومدحوا عفة المرأة وحياءها[4]

ولم تلههـا تلـك التكـاليــفُ أنها   كما شئت مـن أكـرومــة وتخردُ

هـي ابنـةُ أعـراقٍ كـرامٍ نمينهـا   الى خُلـق عــفٍ بــرازتــهُ قــدِ

وذموا تدنيس العرض[5]

طلسُ العشـاء اذا مـا جـنَّ ليلهـم   بـالمنـديـاتِ الى جـاراتهم دُلــفُ

وأشادوا بحسن أخلاق الرجل[6]

ألهفــا على حســنِ أخلاقــه   على الجابــــرِ العظيمِ والحاربِ

وحرموا الغدر على أنفسهم[7]

بـان الغـدرَ قـد علمـت معـدٌ   على وجــارتي مني حــــرامُ

وطالبوا بمصاحبة الأخيار، والإبتعاد عن الأشرار[8]

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهـم   ولا تصحب الأردى فتردى مـع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينـه   فكـل قـريـنٍ بـالمقـارن يقتـدى

وأحبوا العدل، وبغضوا الظلم[9]

وبالعدل فانطق إن نطقـت ولا تلم   وذا الذّم فاذممْهُ وذا الحمدِ فـاحمدِ

---

(١) اوس بن حجر: ديوانه ٨٢.

(٢) المصدر السابق نفسه ٨٣.

(٣) سلامة بن جندل: ديوانه ١١٧.

(٤) أوس بن حجر: ديوانه ٢٦، التخرد: البكر الحبيبة والبرازه: عفة الخلق ووثوق الرأي، قد: يكفي.

(٥) المصدر السابق نفسه ٧٥، الحارب: المحارب.

(٦) المصدر السابق نفسه ١٠.

(٧) المصدر السابق نفسه ١١٥.

(٨) عدي بن زيد: ديوانه ١٠٧، ١٠٦.

(٩) المصدر السابق نفسه ١٠٧.

وأشادوا بالقوة في دفع العدوان ونصرة الحق[1]

وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجرٌ ... اذا حضرت أيدي الرجال بمشهدِ

ودافعوا عن المستجير باسيافهم[2]

سنمنعُ جاراً عائذاً في بيوتنا ... باسيافنا حتى يؤوب مسلما

وتمام الفضائل عندهم الشجاعة والحلم والعفاف والكرم[3]

وتمام الفضل الشجاعةِ والحلم ... اذا زانه عفافٌ وجودُ

وجمع عبد القيس بن خفاف البرجمي بين مجموعة من الفضائل، قدمها لولده جبيل لتكون مساراً يسلكه، ومنهجاً يقتديه، فالشاعر يطلب الى ولده ان يكون كريماً للضيفان، متسامحاً مع الاصدقاء، وأن يظل أبيا لا ينام على ضيم، أو يقيم في دار هوان، واذا اندلعت الحرب، والتهبت ساحة القتال، تقدم فارساً ضرابا، وان اتاه الباهشون والمعوزون وجدوه سخياً معطاء، يواسي في أيام الضيق، وييسر في حالات الجدب والقحط[4].

واعلم بأن الضيف مخبر أهله ... بمبيت ليلته وان لم يسأل

ودع القوارص للصديق وغيره ... كيلا يروك من اللئام العزل

واترك محل السوء لا تحلل به ... واذا نبا بك منزل فتحول

دار الهوان لمن رآها داره ... افراحل عنها كمن لم يرحل

واذا لقيت القوم فاضرب فيهم ... حتى يروك طلاء اجرب مهمل

واذا لقيت الباهشين الى الندى ... غبراً اكفهم بقاع ممحلِ

فاعنهم وايسر بما يسروا به ... واذا هم نزلوا بضنك فانزلِ

وفي الفضائل نفسها أوصى عمرو بن الاهتم ابنه ربيعاً، بان يحافظ على جاره، ويقري ضيفه في زمن يعسر فيه العيش، وتشتد السنون، واذا اشتعلت الحرب، واستعد لها القوم برماحهم، فارفع رمحك، وسابقهم إلى منزلة عليا،

---

(١) المصدر السابق نفسه ١٠٨.

(٢) الدكتور المعيني: شعر بني تميم ٣٧٩.

(٣) المصدر السابق نفسه ٣٥.

(٤) المصدر السابق نفسه ٣٤٦.

ومجد اثيل[1].

وجـــاري لا تهيننــه وضيفـــي اذا أمسى وراء البيــت كـــور
يـؤوب اليـك اشعـث جـرفتـه عـــوان لا ينهنهـــا الفتـــور
اصبـه بـالكـرامـة واحتفظـه عليـــك، فـــإن منطقـــه يسير
وان رفعـوا الاعنـة فـارفعنهـا الى العليـا وانـت بها جـديـر

هذه مجموعة من أمثلة وجدت لها مكاناً في شعر تميم، وكانت صورة مشرفة لاخلاقيات القبيلة، وقد تناولت هذه المجموعة الفضائل التي أحبها رجال من القبيلة، وأرادوها في مجتمعهم، من جود وسخاء، وصدق واخلاص، واباء وشجاعة، وعفاف واستقامة، وعدل وقوة، وصفح عن الجهلاء، ومصاحبة للاخيار، وغيرها من سجايا كثيرة.

واذا كنا نقبل أن تكون هذه صورة مشرقة في حياة القبيلة فإننا نجد صورة أخرى تغاير الاولى. فماذا عن هذه الصورة الاخرى؟

* * *

ليس غريباً في ريعان الشباب وربيع العمر، وسط الثراء والغنى ان يقبل أفراد على حياة اللهو والمتعة، فنراهم يرتادون الحانات، ويسمعون الغناء، ويعاقرون الخمر، ويجالسون الندامى، ويتحدثون عن الدن وسقاتها، وأكوابها وسائر أمورها.

فالأسود بن يعفر النهشلي يقبل على حياة لاهية في بواكير الشباب، والشباب أيام لذات فتراه في إحدى الحانات يعاقر الخمر، ويلهو بسلافة مزجت بماء الغوادي، يسعى بها اليه ساق أغن اشتدت حمرة أنامله، وتدلت فوق صدره ذؤابتان من اللؤلؤ، يصب الخمر وينقد الثمن، وفي تلك الحانة تشاهد الغيد الأماليد، والقيان والحسان، يمشين في استحياء، ويحملن قداح الخمر، وجرار الدن[2].

---

(١) الدكتور المعيني: شعر بني تميم ١٦٥

(٢) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٩.

ولقــد لهوتُ وللشبــاب لــذاذةٌ بسلافــةٍ مــزجــت بماء غــوادي
من خمر ذي نطف أغــنَّ منطــقٍ وافى بها لــدراهــم الاسجــادِ
يسعــى بها ذو تــومتين مشمــرٌ فتـأت أنـاملـهُ مـن الفــرصــادِ
والبيضُ تمشي كالبدور وكالـدمـى ونــواعــمٌ يمشين بــالأرفــادِ

وفي حانة أخرى نرى الأسود بن يعفر عند الصباح، وقبل قرع النقس، يدفع ثمن الخمرة التي سبأها مع الندامى من أصحابه، ويصف تلك الخمرة بأنها صرف تارة، وممزوجة تارة أخرى، فاذا ما عبوا منها فإن السكر لا يتعتعهم، ولا يفقد عقولهم، وإنما اذا شربوها يظلون سادة المروءة، وفي تلك الحانة غنتهم قينة لعساء، منظومة الثنايا، مفلجة الاسنان، عذبة الغناء(١).

وقـد سبـأت لفتيـان ذوي كـرم قبـل الصبــاح ولما تقــرع النقس
صرفـاً وممزوجـة كــأن شــاربها وان تشـدد أن يهتــابــه هــوس
ثم ظللنـا تغنــى القــوم داجنــة لعسـاء لا ثعـل فيهـا ولا كسس

والخمر عند متمم بن نويرة لهو وعزاء، فهو يلهو بشرب الخمر ويُلهى فتيانا غمرهم الحزن والأسى فراحوا يصرفون تلك الاحزان ويطردون ذاك الأسى بمعاقرة الخمر فتراهم يتجمعون حول باطية مترعة خمراً، وهو شراب من عصير العنب الاسود، مزج بالماء فصفا وخالطته حمرة كدم الذبيح(٢).

ولقـد سبقـت العـاذلات بشربــه ريــــا وراووقــــي عظيم مترعُ
جَفنٌ من الغربيب خـالـصُ لـونـهِ كـدم الذبيـح اذا يُسـنُّ مشعشـعُ
الهو بها، يـــومـــاً وألهى فتيــه عـن بثهـم اذا ألبســوا وتقنعــوا

ويشرب مالك بن نويرة فلا تقتل الخمر رجولته، ولا تلغي تعقله ولا هو يفحش في شرابه(٣).

وإن تَلقَه في الشربِ لا تلقَ فاحشـاً على الكـاسِ ذا قــارورة مُتـزبَّعـا

(١) الأسود بن يعفر: ديوانه ٤٠.
اللعساء: البيضاء التي خالط شفتها سمرة.
(٢) متمم ومالك: شعرهما ٩٨.
(٣) المصدر السابق نفسه ١٠٨.

ويصف علقمة الفحل مجلس شرب، فيه ندامى ينهبون اللذات، ويتناولون خمراً معتقة مكثت في الدنان سنة كاملة فصفا لونها، واحسن صنعها، وازكى التعتيق نشرها فهي خمر مختومة ومستوردة من بلدة عانة، وتظهر في المناسبات.

وجيء بهذه الخمر المعتقة، وأفرغت في باطيه، وراح الساقي يكسر صرفها، ويطيب مذاقها ثم وصف الابريق، فهو رشيق أبيض تطاول عنقه، وضمر بطنه، وانعكفت يده وكأنه ظبي ظريف يرتقي رابية[1].

قد أشهدُ الشربَ فيهم مزهـرٌ رنِمٌ والقوم تصرعهم صهباءُ خُـرطـومُ
كأسُ عزيز مـن الأعنـابِ عَتقهـا لبعـضِ أربـابها حـانيّـةٌ حُـومُ
عـانيّـة قـرقـفٌ لم تطلـع سنـةً يجنّهـا مـدمجٌ بـالطين مختـوم
ظلت ترقرقُ في الناجـود يصفقهـا وليـد أعجـم بـالكتـان مغـدومُ
كـأنَّ إبـريقهـم ظبيٌ على شرفٍ مفـدّمٌ بسبـا الكتـان ملثـومُ
ابيـضُ أبـرزه للضـح راقبـهُ مقلـدٌ قضـبَ الريحان مفعـومُ

ويصف عبده بن الطبيب مجلس شراب في حانة مربعة الشكل، وقد امتدت فيها فرش مطرزة، وتناثرت على أرضها مقاعد زاهية، وعلا سقفها مصباح يتألق ذباله المفتول، وفي جانب من الحانة، أصيص خمر، وقد اسند اليه زق دن، وفي الحانة ساق نشيط، يسعى بينهم، يحمل كوباً أبيض، تتلألأ فيه صور الوحش، وعلى قلته رسم اكليل من الريحان، ومع الكوب التوابل.

وفي ذلك المجلس سمع الشاعر والندامى مغنية جيداء العنق، رخيمة الصوت، اطربهم غناؤها، وانتشوا بالخمر فهبوا يخلعون عليها، هدايا ثمينة من البرود والثياب[2].

حتى اتكـأنـا على فـرشٍ يـزينُهـا مـن جيـد الرقـم ازواجٌ تهاويـلُ

---

(١) علقمة الفحل: ديوانه ٦٨، الخرطوم: اول خروجها من الدن. حانية: نسبة الى الحانة والحوانيت، حام: طاف، وعانية: نسبة الى غابة. قرقف: شديدة ترعد صاحبها، الناجود: الاناء، مقدم: عليه غطاء. الضح: ابرزه للشمس.

(٢) عبده بن الطبيب: شعره ٨٠.
الاصيص: دن مقطوع الرأس. أزهر: ابيض، القلة: اعلى الشيء، السياج: الطين، منصف: خادم، قرقف: خمرة تصيب شاربها برعدة. تذرى حواشيه: تغني الشعر، جيداً: طويلة العنق.

في كعبةٍ شادها بانٍ وزينها — فيها ذبال يضيء الليل مفتولُ
لنا أصيصٌ كجذم الحوض هدَّمه — وطء العراك لديه الزقُّ مغلولُ
والكوبُ أزهرُ معصوبٌ بقلته — فوق السياعِ من الريحان اكليلُ
يسعى به منصفٌ عجلانُ منتطقٌ — فوقَ الخوانِ وفي الصَّاعِ التوابيلُ
ثم اصطبحت كُميتا قرقفا أنفاً — من طيب الراحِ واللذاتِ تعليلُ
تذري حواشيه جيداء آنسةٌ — في صوتها لسماع الشرب ترتيلُ
تغدو علينا تلّهينا ونصفدها — تُلقي البرودُ عليها والسَّرابيلُ

وبين سحيم بن وثيل لزوجته حدراء أهمية الخمر عنده، وسر إقباله عليها.

تقول حدراء ليس فيك سوى الخمر معيب يعيبه أحد
ويحك لولا الخمور لم أحفل العيش ولا أن يضمني لحد
هي الحيا والحياة، واللهو لا أنت ولا ثروة ولا ولد[١]

ونجد في تميم من حرم الخمر على نفسه أيام الجاهلية لانها تجنح بالمرء الى السفه والطيش، وتفقده رجولته، وتفضح خصاله الكريمة.

وجدت الخمر جامحة وفيها — خصال تفضح الرجل الكريما
فلا والله اشربها حياتي — ولا أدعو لها أبداً نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها — وتجشمهم بها امراً عظيما[٢]

أما عدي بن زيد فقد عاش جو الخمر، وانتشى بها، وأحس دبيبها في أوصاله وأفرد لها مكاناً فسيحاً في قصائده، فهو في احدى قصائده يدعو الرفاق الى المعاقرة، وتتقدم قينة تحمل ابريقاً، وتصب للندامى معتقة، صافية صفاء عين الديك، وان تلك الخمر بعد مزجها لذ طعمها، وجمل منظرها، فقد طفت فوقها الفقاقيع الحمر، وكأنها الياقوت[٣].

ثم نادوا الى الصبوحِ فقامت — قينةٌ في يمينها ابريقُ

(١) انظر شعر بني تميم ٢٥٨.
(٢) انظر شعر بني تميم ١٤٣
(٣) عدي بن زيد: ديوانه ٧٨.

قدمتهُ على سلافٍ كعينِ الديك صفى سلافها الراووقُ
مزةٌ قبل مزجها فاذا ما مزجت لذ طعمها من يذوقُ
وصفا فوقها فقاقيعُ كالياقوت حمرٌ يزينها التصفيقُ

وندامى عدي بن زيد كانوا من الفرسان، فهم يأنسون بالخمر، ويجتمعون في مجالسها، ولكن تلك الخمر لا تقتل رجولتهم، ولا تضيع مروءتهم، فاذا ما صرخت الوغى، هبوا جميعاً اليها، يجندلون الاعداء، ويقتلون الابطال[1].

وفتيةٌ كالسيوفِ نادمتهُم لا عاجزٌ فيهم ولا وكلُ
لا يتأرون في المضيقِ وإنْ نادى المنادي ان انزلوا نزلوا
لا بد في كرة الفوارسِ أن يترك لهم في معركٍ بطلُ

وحياة عدي بن زيد في شبابه العارم، طافحة بالملذات، ومعاقرة الصهباء ونحن ندرك أنه حدّث عن الخمر حديثاً طويلاً[2]، فقد وصف لونها ورائحتها، وطعمها، وأباريقها، وسقاتها، ومجالسها، واجواءها، لكننا لا نريد أن ننقصى جميع الجوانب وانما آثرنا أن ندلل عليها لتجد من يدقق ويتقصى.

★ ★ ★

الهجاء:

وهجا أوس بن حجر بني لبينى من أسد فعراهم من الفضائل وذكر بانهم قوم لئام لا حسب فيهم ولا مكان لهم في كريم الفعال والسجايا، وأخبر أوس بأنه سيفضح أمرهم بقصائده التي لها وقع الداهية بينهم[3]

أبني لبيني لم أجد أحداً في الناس الأم منكم حسبا
وأحقُ إن يرمى بداهيةٍ ان الدواهي تطلعُ الحدبا
واذا تسوئل عن محادتكم لم توجدوا رأساً ولا ذنبا

وفي قصيدته الدالية يكرر الحديث عن لؤمهم وعجزهم، وبعدهم عن

(١) عدي بن زيد: ديوانه ٧٨.
(٢) محمد الهاشمي: عدي بن زيد ١٧٨.
(٣) أوس بن حجر: ديوانه ٤.

دروب المجد، وسبل الكرام، فهم كردىء الصوف، طوحت به عصا النجاد[1].

أبني لبيني لستمُ بيـــــــــدٍ الا يـــدأً ليســـت لها عضـــدُ
أبني لبيني لســـــتُ معترفـــاً ليكـــون الأم منكـــم أحـــدُ
أبني لبيني أن أمكـــــــم أمـــةٌ وانَّ أبـــاكُمُ عبـــدُ
تنفـــون عـــن طـــرق الكـــرامِ كما تنفى المطارقُ ما يلي القردُ

وهجا أوس بن حجر كذلك قوماً من بني شيبان من بكر بن وائل هجاء مقذعا، فأخبر أنهم يأتون الفواحش ويفعلون المنكرات ويتسللون ليلا الى جاراتهم، ثم هم مثل المجوس يأتي الرجل منهم أمه وخالته فهو ضيزن لابيه بالأم وسلف له بالخالة[2].

طُلس العشاء اذا ما جنَّ ليلُهُم بـالمنديـاتِ الى جـارتِهم دُلـفُ
والفـارسيـةُ فيهـم غيرُ منكـرةٍ فكلُّهـم لأبيـه ضيـزنٌ سلـفُ

وهجا الأسود بن يعفر النهشلي قوماً من بني مجاشع وعيّرهم بحمق الاباء وانهم أبناء إماء، يتناولون خبيث الزاد، وفيهم المنكرات وهم لئام، يقعدون عن دروب الكرام[3].

ابني نجيـــح ان امكـــم أمـــةٌ وان ابـــاكُمُ وقـــبُ
أكلـت خبيـثَ الزادَ فـاتخمـت عنـــه وشمَّ خِمارهـــا الكلـــبُ
وقلبتم ظهـــر المجـــنَّ لنـــا إن اللئيم العـــاجـــزُ الخبُّ

وهجا عبده بن الطبيب رجلاً من بني هزّال هجاء موجعاً وتندّر عليه وذكر أن ذلك الرجل سفيه دعي، وغرور ثرثار، يكثر من اللغو على مورد الماء، ثم وصفه بأنه مشوه الجسم، ضخم الجثة، اجوف الفكر، وأن همته قعدت به من أعمال الرجال، فانت تجده في الحي يقوم بما تقوم به الجواري والإماء، من حلب وصر، ثم هو يتظاهر ويتفاخر مع أن حقيقة أمره بخيل

(١) المصدر السابق نفسه ٢١.
(٢) المصدر السابق نفسه ٧٥.
(٣) الأسود بن يعفر: ديوانه ١٩ الوقب: الاحمق

جبان، وشأنه شأن ذلك الضب الذي أخصب وأمرع فنفخ وتطاول، وعند أدنى حركة، يتوارى عن الانظار[1]

ما مع أنـك يـومَ الوردِ ذو لغـط ... ضخـمُ الجزارة بـالسلمين وكّـارُ
تكفي الوليدةَ في النـادي مؤتـزراً ... فـاحلـب فـانـك حلاّب وصرارُ
ما كنت أول ضـبٍ صـاب تلعتـه ... غيثٌ فامـرعِ واسترخـت بـه الدّارُ
انت الذي لا نـرجـى نيلـه أبـداً ... جلد النّـوى وغـداةَ الروعِ خـوّارُ

وسخرت دختنوس من ابن قهوس التيمي الذي فرّ في يوم جبلة يحمل رمحه، ويترنح لحمه: وقد عجز عن ملاقاة عدوه، فأي هوان هذا؟ وأية مذلة تلك؟ ألا يكفي ابن قهوس أسر أبيه، وانظر الى ذلك الأب وحبال صغار الغنم تطوق عنقه، وهو يرعاها لآسريه ويجمع لهم بعرها، فأين شجاعة ابن قهوس» ؟[2]

فـر ابـن قهـوس الشجـاع ... بكفـه رمـح متسـل
يعـدو بـه خـاضي البضيـع ... كـانـه سمـع أزل
ولقـد رأيـت أبـاك ... وسـط القـوم يـربـق أو يجل
متقلـداً ربـق الفـرار ... كـأنـه في الجيـد غـل

وهجا المخبل السعدي الزبرقان بن بدر هجاءً شنيعاً في الجاهلية وجاء هذا الهجاء في قصائده ذوات الارقام ٣، ٩، ١١، ١٣، ٢١، ٢٨[3]. ففي قصيدته اللامية هجم المخبل عل الزبرقان في هجاء مر، يعزله فيه عن مراتب الشرف، واعالي المجد، ويلقي به في منازل الجهل والحمق، كل ذلك لان الزبرقان لم يقبل أن يصاهر المخبل السعدي فيزوجه من اخته خليدة وانكحها هزالاً القريعي.

لعمـرك ان الزبـرقـان لـدائـم ... على الناس يغـدو نـوكـه ومجاهلـه
شرى محمرا يـومـا بـذود فخـالـه ... نماه الى أعلى اليفـاع افـائلـه

(١) عبده بن الطبيب: شعره ٣٨. السلهان: الديوان، الوكار: العدو
(٢) انظر شعرها في بني دارم.
(٣) الدكتور المعيني: شعر بني تميم ١٠٣.

فاقع كما أقعى ابوك على استه رأى أن ذئبا فوقه لا يعادله
وقبلك بدر عاش حتى رأيته يدب ومولاه عن المجد عازله
وانكحت هزالا خليده بعدما زعمت برأس العين انك قاتله[1]

الغـــزل

وفي شعر تميم غزل، والرجل في القبيلة يطلب المرأة وهي ظاعنة، ويلقاها وهي محاربة، ويأتيها في خيمة، ويسعى اليها في حانة، ويخفق قلبه لحسنها، ويفتنه توردها، وينال حبها، ويبكي منازلها ويحدث عن ذكرياته معها، ويترجم شغف نفسه وحنين فؤاده اليها.

وفي شعر تميم لا نجد قصائد كاملة في الغزل، ولا نعثر على قطع تامة في النسيب، وانما نجد هذا الموضوع يتصدر مطالع قصائدهم وتبدأ به مطولاتهم.

ففي قصيدة علقمة البائية يذكر ليلى الظاعنة، وقد بعد عهده بها، ويحدث بأنها امرأة عفيفة، فلا أحد يتردد الى بيتها، أو يجرؤ على زيارتها، فاذا غاب بعلها صانته في نفسها، وعندما يعود تقبل عليه، في عناق حبيب، وتمكنه من نضارتها، وتضع عند عودته لهفة انتظارها.

ثم يسوق لنا علقمة خبرة عرفها عن النساء فهن أسيرات شرخ الشباب وثراء المال. ومن لا يأسره الشباب العارم؟ ولا يغريه رنين الذهب؟[2].

تكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت عوادٍ بيننا وخُطُوبُ
منعّمة لا يستطاعُ كلامها على بابها من أن تزارُ رقيبُ
اذا غاب عنها البعل لم تفشِ سرهُ وترضى اياب البعلِ حين يؤوبُ
فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بادواء النساء طبيبُ
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من ودهن نصيبُ
يردن ثراء المالِ حيث علمنه وشرخُ الشباب عندهن عجيبُ

---

(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) علقمة الفحل: ٣٣

وفي مطلع قصيدته البائية الثانية، يحدثنا عن امرأة ضامرة الكشح، ويصف جيدها، وقد امتدت اليه اقراطها، وتدلت منه على صدرها قلائدها وكأنه جيد غزال، وهي قلائد واقراط من الذهب واللؤلؤ والكبيس فصاحبته من ذوات الثراء[1]

مبتلةٌ كان اعضاء حليها على شادنٍ من صاحةٍ متربب
محال كاجواز الجرادِ ولؤلؤٍ من القلقي والكبيسِ الملوبِ

وهذه امرأة ثالثة في منظر رحيل القبيلة، تظعن قبيل الصباح، وهي كذلك ثرية، ونرى الاماء يجللن الهوادج بصنوف من العقل والرقم ذات الالوان الزاهية والخطوط الحمراء، ويضوع المسك والعطر من تلك الهوادج، فالمرأة تأخذ زينتها، وتهيل على نفسها طيوبها، وصاحبة علقمة طليت بالزعفران، فجمل منظرها وانتشر عبيرها[2]

لم أدر بالبين حتى أزمعوا ظعناً كلُّ الجمال قبيلَ الصبحِ مزمومُ
ردَّ الاماءُ جمالَ الحي فاحتملوا فكلها بالتزيديات معلومُ
عقلا ورقماً تظل الطير تتبعهُ كأنه من دمِ الأجواف مدمومُ
يحملن أترجةً، نضحُ العبير بها كأن تطيابها في الأنف مشمومُ
كأن فارةَ مسك في مفارقها للباسط المُتعاطي وهو مزكومُ

ويحدث أوس بن حجر في مناظر الرحيل عن نساء غر، غرائر، فهن عفيفات جميلات، يرتدين اكسية زاهية من الديباج، واثواباً بيضا من الحرير وكأنهن الظباء[3].

قد قلت للركب لولا أنهم عجلوا عوجوا على فحيوا الحي أو سيروا
غرٌّ غرائرُ أبكار نشأن معاً حُسنُ الخلائق عما يتقي نورٌ
لبسن ريطاً وديباجاً واكسية شتى بها اللونُ إلا أنها فورُ

ويصف أوس بن حجر في قصيدته الحائية عارض صاحبته. فهو ثغر متألق

---

(١) علقمة الفحل: ٨٠.
(٢) المصدر السابق نفسه ٥١
(٣) أوس بن حجر: ديوانه ٤٠.

الاسنان حمش اللثات، شهي المقبل، وفي رضاب صاحبته مذاق الخمر الصافية أو الرمان والتفاح[1].

اذ تستبيك بمصقول عوارضه ... حمش اللثات عذاب غير مملاح
كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت ... من ماء أصهب في الحانوت نضّاح
أو من معتقة ورهاء نشوتها ... أو من أنابيب رمان وتفاح

والمخبل السعدي يصف في مطلع ميميته صاحبته الرباب ويذكر بأن لها وجهاً صافياً صفاء درة ثمينة أو بيضة نعام مكنونة، وهي ذات شعر فاحم ينسدل على وجهها فيكون أدعى لعفتها وجمالها[2].

وتريك وجهاً كالصحيفة لا ... ظمآن مختلج ولا جهم
كعقيلة الدر استضاء بها ... محراب عرش عزيزها العجم
او بيضة الدعص التي وضعت ... في الأرض ليس لمسها حجم
وتضل مدراها المواشط في ... جعد أغم كأنه الكرم

وهنيدة أبنة الزيدي صاحبة عبده بن الطبيب سوداء العينين، جيداء العنق ترنو في خيلاء، وكأنها ظبية أشرأب عنقها، وراحت تنتاش الضال وتقضم السدر، وتنفض المرد أمام شادنها الجذول[3].

كأن ابنة الزيدي يوم لقيتها ... هنيدة مكحول المدامع مترشق
تراعي جذولاً ينفض المرد شادنا ... تنوش من الضال القذاف وتعلق

وتحدث عدي بن زيد عن صاحبة له فوصف محاسنها وتأمل مفاتنها فهي تسبي الناظرين بثغرها الابيض، ومقبلها العذب.[4]

اذ هي تَسبي الناظرينَ وتجلو واضحاً كالأقحوانَ رتل
عَذباً كما ذقت الجَنيَّ من التفاح يسقيه برد الطل

(١) أوس بن حجر: ديوانه ١٣.
(٢) المفضل الضبي: المفضليات ٢٠٧.
(٣) عبده بن الطبيب: شعره ٥٢.
(٤) عدي بن زيد: ديوانه ١٥٧.

وطرفها الساحر[1]:

ان شغل المصابياتِ من الأستارِ طرفٌ يصبي وفيه فتورُ

وشعرها الفارع[2]

زانها حُسنهـا، وفـرعٌ عميم وأثيثت صلتُ الجبينِ أنيـقُ

ومنظرها الفاتن[3]

كدمى العاجِ في المحاريبِ أو كالبيض في الروضِ زهوه مستنيرُ

وثوبها المعطر[4]

زانهن الشفوفُ ينضحنَ بالمسك وعيشٌ مفانقٌ وحريرُ

ويظل الغزل في شعر تميم يدور في اتجاهين: الاول انه غزل يأتي في مقدمات شعرهم، فلا نجد فيه الشاعر متهالكاً في حبه للمرأة بل لا تصرفه مفاتنها عن مهمات جسام يهرع اليها.

فقلتُ لها: فيئي فما تستفزني ذواتُ العيونِ والبنان المخضّبِ[5]

★ ★ ★

وقد تُلافي بي الحاجات ناجيةٌ وجناءُ لا حقةُ الرجلين عيسور[6]

لو كنتُ أبكي للحمول لشاقني لليلي بأعلى الواديين حمولُ[7]

والاتجاه الآخر ان هذا الغزل يحدّث عن المرأة وذكريات الشاعر معها، ويصف محاسنها، من وجه نقي، وطرف أسود، وجعد اغم، وجيد محلى، وقد رشيق، ويتناول كذلك مظاهر المرأة الخارجية من ثياب وزينة وعطور وحلى.

وماذا عن الاغراض الأخرى؟ المدح مثلاً. لقد جاء نصيب المدح ضامراً

(١) عدي بن زيد ديوانه ١٥٧.
(٢) المصدر السابق نفسه: ٧٧.
وفي رواية زانها وارد الغدائر جثل واسيل على الجبين عبيق
(٣) المصدر السابق نفسه: ٨٤.
(٤) المصدر السابق نفسه: ٨٤.
(٥) علقمة الفحل: ديوانه ٨٣.
(٦) أوس بن حجر: ديوانه ٤٠.
(٧) سلامة بن جندل: ديوانه ١٩١.

في شعر القبيلة، فاذا استثنينا بائية علقمة الفحل[1] التي استشفع بها الحارث الغساني في أخيه شأس واسرى تميم، واذا تجاوزنا عن ميمية عبد القيس بن خفاف البرجمي[2] التي استوهب بها حاتماً الطائي في حماله عجز عن دفعها، وكذلك بعض القصائد للمخبل السعدي[3] فانه يتبقى عندنا بضع مقطوعات في هذا الجانب.

ولسنا ندري سبباً أو أسباباً لهذه القلة من شعر المدح، هل أغنت القبيلة حروبها، واعتزازها بمنزلتها، فارتفعت عن التمجيد والتعظيم لغيرها؟ هل كانت دواع ودوافع تمنع الشعراء من الإقبال على هذا الفن؟

والمهم أن الحرب والرثاء والطبيعة وبقية أخرى ذكرناها تظل أهم الموضوعات التي استأثرت باهتمام شعر تميم وكان لها نصيب وافر فيه دون سواها.

(١) علقمة الفحل: ديوانه ٣٣.
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٤٧.
(٣) انظر شعر بني تميم ١٠٣.

الفصل الرابع
الدراسة الفنية

١ - لغة تميم.
٢ - مدرسة الصنعة التميمية.
٣ - شعر مطولات.
٤ - المقدمات والتصريع.
٥ - الظواهر اللفظية.
٦ - الظواهر الموسيقية.

١ ـ لغة تميم:

عاشت تميم في منازلها وديارها قبيلة مشهورة بالفصاحة، ومخصبة في الشعر والنثر، وذات لغة لها مقام عند علماء اللغة[١]، فلم تطرأ العجمة على لسانها، وإنما كانت بين القبائل التي أُخذ عنها اللسان العربي المبين.

فقد نقل إلينا صاحب المزهر[٢] أن اللغة أُخذت عن تميم وقيس وأسد وبعض القبائل الأخرى كهذيل وبعض كنانة، وأن تميماً معروفة بظاهرة ـ العنعنة ـ وهي أن تجعل الهمزة عيناً في أول الكلمة فنقول في أن «عن»، وفي أسلم «عسلم»، وفي أنك «عنك» وفي لأننا «لعلنا».

وكانت لغة تميم أفصح لغات القبائل النجدية، وأكد هذا «الامتياز» أبو عمرو بن العلاء عندما قال: «افصح الناس عليا تميم»[٣]. والقدامى[٤] يؤكدون انفراد تميم بلهجة خاصة بها، لها ميزاتها وخصائصها، والمحدثون يمضون وراء هذا التأكيد، فيضع الدكتور صبحي الصالح[٥] قبيلة تميم في مقدمة القبائل التي اشتهرت بالفصاحة، ورويت لها لهجة خاصة وأخذت عنها اللغة.

وهذه الأهمية للغة تميم كادت تجعل منها لغة أوسع انتشاراً، وأعمَّ لسانا، لولا مجموعة من العوامل السياسية، والدينية، والأقتصادية جعلت لغة قريش اللغة الأدبية الموحدة في العصر الجاهلي[٦]، مع أن الحجازية لم تكن أقوى قياساً من لغة تميم[٧]، فإذا ما أجرينا مقارنة بين لغة تميم ولغة الحجاز، في الأفعال والأسماء والحروف والأعراب، وضح لدينا ما تمتاز به لغة تميم، من خصائص وسمات في تحقيق الهمز والتخفيف، والاتمام في الصيغ والمفردات،

---

(١) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٩/٤٣٥.
(٢) السيوطي: المزهر ١/٢٢١.
(٣) ابن رشيق: العمدة ١/٨٦.
(٤) ابن جنى: الخصائص ١/٤١١، سيبويه في الكتاب ٢/١٩٢، والسيوطي في المزهر ١/٢٢١.
(٥) د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ٥٥.
(٦) د. يوسف خليف: الشعر الجاهلي، نشأته وتطوره، مجلة ـ عالم الفكر ـ عدد ٤ مجلد ٤ ص ١٨٤.
(٧) د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ٥٥.

والتذكير في الأسماء، والقلب والتبديل في الألفاظ ودلالاتها، وكسر أوائل الأسماء والأفعال، وفوارق في الأعراب.

فبنو تميم يحققون الهمز في الألفاظ، نحو كأس، وفأس، ورأس، وذئب، وبئر، وشؤم، ولؤم[١] وأهل الحجاز لا يهمزون.

وبنو تميم يقولون سأل، يسأل، اسأل[٢] وأهل الحجاز يقولون سال ويسال وسل، وتقول تميم المنسأة بالهمز[٣] وأهل الحجاز يقولون المنساة بغير الهمز. وتميم تنبز الهمز وتحققه وتلتزم به مثل «خاسئاً وهو حسير» وأهل الحجاز لا ينبزوون فيقولون «خاسياً وهو حسير»[٤].

والتميميون يخففون فيحذفون احدى الحركات نتيجة لتواليها، ويستخدمون الضم والتسكين، فيقولون: غرفه[٥]، وظلمة[٦]، وعرب[٧]، ورسل[٨]، ونجل[٩]، والحبك[١٠]، وحجرة[١١]، وخبث[١٣]، وعنق[١٤]، وكلها بضم الحرف الأول، وتسكين الثاني فيها. أما الحجازيون وغيرهم فيقولون بضم الحرف الأول وضم الحرف الثاني على النحو التالي: غُرُفه، وظُلُمه، وعُرُب، ورُسُل، وبُخُل، والحُبُك، وحُجُره، وحُمُر، وخُبُث، وعُنُق.

---

(١) ابن دريد: جمهرة اللغة ٢٩٣/٣.
(٢) السيوطي: المزهر ٢٧٦/٢.
(٣) ابن الجوزي: زاد المسير ٤٤١/٦، وفي المورد عدد ٣ مجلد ٧ لسنة ١٩٧٨.
(٤) ابن منظور: لسان العرب ١٤/١.
(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٨٥/٩.
(٦) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨٨/١.
(٧) الفراء: معاني القرآن ١٢٥/٣.
(٨) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٦٢.
(٩) الغرناطي: البحر المحيط ٢٤٧/٣.
(١٠) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٥٨.
(١١) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ٨٨/١.
(١٢) سيبويه: الكاتب ١٩٢/٢.
(١٣) الزبيدي: تاج العروس ٦١٨/١.
(١٤) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٧١.

وفي الأعداد تخفف تميم فتضم الأول، وتسكن الثاني منها وتقول[1]: ثُلْث، ورُبْع، وخُمْس، وسُدْس، وسُبْع، وثُمْن، وتُسْع، وعُشْر، بينما أهل الحجاز يضمون الساكن من هذه الأعداد.

وتميل تميم إلى الإتمام في الخصائص الصرفية، فالتميمون يقولون مديون[2]، ومبيوع[3]، ومعوود[4]، ومعيون[5]، ومكبول[6]، ومغيوم[7]، ومصوون[8]، ومخيوط[9]، ومطيوب[10]، والحجازيون وغيرهم يقولون: مدين، ومبيع، ومعود، ومعين، ومكيل، ومغيم، ومصون، ومخيط، ومطيب، وتستخدم تميم بناء الفعل «أفعل» في لغتها فتقول: أنكر[11]، وأجبر[12]، وأحزن[13]، وأسحت[14]، وأحرم[15]، وأهدى[16]، وأجنب[17] وأهل الحجاز وغيرهم يقولون: نَكَر، وجَبَر، وحَزَن، وسَحَت، وحَرَم، وهدى، وجنب.

وتميل لغة تميم الى التذكير في طائفة من الأسماء فيقولون: هذا صراط[18]، وهذا طريق[19]، وهو النخل[20]، وهو العنق[21]، وهو الذهب[22]، وهو

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٥/٦٣.
(٢) ابن جنى: الخصائص ١/٢٦٠.
(٣) السيوطي: الأشباه والنظائر ١/٤٠.
(٤) ابن سيده: المحكم ٢/٢٣٢.
(٥) ابن هشام: أوضح المسالك ٣/٣٤٣.
(٦) ابن جنى: الخصائص ١/٢٦٠.
(٧) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ - العراق - ص ١٧١.
(٨) ابن هشام: أوضح المسالك ٣/٣٤٣.
(٩) المصدر السابق نفسه ٣/٣٤٣.
(١٠) المصدر السابق نفسه ٣/٣٤٣.
(١١) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٧٢.
(١٢) الأزهري: تهذيب اللغة ١١/٦٠.
(١٣) المورد مجلة ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٧٢.
(١٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٥. (للقرطبي).
(١٥) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٧٣ التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٣/٤٢٣.
(١٦) الزبيدي: تاج العروس ١/٤٠٨.
(١٧) ابن منظور: لسان العرب ١/٧٨.
(١٨) ابن منظور: لسان العرب ٨/٤٤٠.
(١٩) السيوطي: المزهر ٢/٢٢٥.
(٢٠) ابن سيده: المحكم ٥/١١٩.
(٢١) المورد عدد ٣ مجلد ٧ سنة ١٩٧٨ ص ١٧١
(٢٢) السيوطي: المزهر ٢/٢٧٧ تميم وسائر العرب يذكّرون.

السماء[1]، وهو السوق[2]، وهو الشعير[3]، وهو البر[4]، وهو البُسر[5] وهو السبيل[6] وأما الحجازيون فيؤنثون هذه الأسماء ويقولون:

هذه صراط، وهذه طريق، وهي النخل، وهي العنق، وهي الذهب، وهي السماء، وهي السوق، وهي الشعير، وهي البر، وهي البسر، وهي السبيل.

وللألفاظ في لغة تميم دلالات معينة، ومعان تختلف عن اللغات الأخرى.

فتميم تجعل الهجرس ثعلباً، وهو عند أهل الحجاز قرد،[7] والسدفة بالضم، في لغة تميم، بمعنى الظلمة، وفي لغة قيس وبالفتح بمعنى الضوء[8] والأثلب في لغة تميم التراب، وفي لغة الحجاز العجز[9]، والسرابيل في لغة تميم القمص، وفي لغة كنانة الدروع[10]، والعِد في لغة تميم الماء الكثير، وبلغة البكريين الماء القليل[11]، والهلع في لغة تميم الحزن، وعند غيرهم الخوف[12] والهون عند تميم بمعنى الهين، وعند الحجاز بمعنى الهوان[13]، والكشاف عند تميم الإبل التي إذا انتجت ضربها الفحل[14]، بعد أيام فلقحت، وعند خزاعة وكنانة وهذيل الإبل التي تحمل عامين.

وتميل لغة تميم إلى كسر أول الأفعال والأسماء، فهي تكسر حرف المضارعة في الفعل المضارع، مثل نعلم وتعلم وكسر حرف المضارعة في اللغات السامية الأخرى مما يدل على أصالته أما لهجة الحجاز فلا تلجأ الى الكسر لكنها تظل

---

(١) المصدر السابق: الموضوع نفسه.
(٢) السيوطي: المزهر ٢/٢٢٥.
(٣) المصدر السابق نفسه ٢/٢٧٧.
(٤) المصدر السابق نفسه ٢/٢٧٧.
(٥) المصدر السابق نفسه ٢/٢٧٧.
(٦) المصدر السابق نفسه ٢/٢٢٥.
(٧) ابن منظور: لسان العرب ٦/٢٤٧.
(٨) القالي: الأمالي ٢/١٢٥.
(٩) ابن منظور: لسان العرب ١/٢٤٢.
(١٠) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٦٤.
(١١) ابن منظور: لسان العرب ٣/٢٨٩.
(١٢) المصدر السابق نفسه ٨/٣٧٥.
(١٣) المصدر السابق نفسه ١٣/٤٣٩.
(١٤) البغدادي: خزانة الأدب ١/٤٤١.

لغة متميزة.[1]

كما تميل لغة تميم إلى كسر أول حرف في بعض الأسماء للأتباع، فيقولون بِعير[2]، وحِج[3]، وسِعيد[4]، وشِعير[5]، وشِهر[6]، وشِهيق[7]، ونِهى[8]، وكِلمة[9]، وصِغير[10]، وضِئين[11]، وضِبارى[12] أما الحجازيون فيقولون بالفتح في مثل هذه الألفاظ.

وتميم تجري تبديلاً وتغييراً وقلباً في الأفعال والأسماء خلافاً لبعض اللغات الأخرى في الجزيرة العربية.

فتميم تقول: جَبذ[13]، والجدف[14]، وسنبل[15]، وزحلوقه[16]، وينتقد[17]، وأرّخت[18]، وأساده[19]، وأشاح[20]، وآصدت[21]، وأوقفت[22]، وأكدت[23]، وآكفت[24]، أما أهل الحجاز وغيرهم فيقولون في تلك الألفاظ: جذب،

(١) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٥٣.
(٢) الأزهري: تهذيب اللغة ١٢٢/٧.
(٣) السيوطي: المزهر ٢٧٦/٢.
(٤) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٦٤.
(٥) السيوطي: المزهر ٢٧٧/٢.
(٦) الأزهري: تهذيب اللغة ٧٥/٦.
(٧) المصدر السابق نفسه ٧٥/٦.
(٨) ابن سيده: المخصص ٧٤/١٥.
(٩) الأزهري: التهذيب، الحجاز فتح الأول وكسر الثاني وتميم كسر الأول وسكون الثاني.
(١٠) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٦٧.
(١١) ابن منظور: لسان العرب ٢٥١/١٣.
(١٢) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٦٨.
(١٣) الأزهري: التهذيب ١٥/١١.
(١٤) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٥٧ والجدف بمعنى القبر.
(١٥) الزبيدي: تاج العروس ٣٦٨/٧.
(١٦) الأزهري: تهذيب اللغة ٣٠٤/٥ والزحلوقه أثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل.
(١٧) السيوطي: المزهر ٢٧٦/٢.
(١٨) الألوسي: بلوغ الأرب ٢١٤/٣.
(١٩) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٧٨.
(٢٠) ابن منظور: لسان العرب ٤٣٣/٧.
(٢١) السيوطي: المزهر ٢٧٧/٢.
(٢٢) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٧٨.
(٢٣) السيوطي: المزهر ٢٧٧/٢.
(٢٤) المصدر السابق نفسه ٢٧٧/٢.

والجدث، وأسبل، وزحلوفه، وينقد، وورّخت، ووسادة، ووشاح، وأوصدت، ووقفت، ووكدت، وأوكفت.

وفي الاعراب يختلف التميميون عن الحجازيين فبنو تميم في « ما » يرفعون ما بعدها، وأهل الحجاز ينصبون خبرها ويشبهونها بليس، ومذهب سيبويه أن « ما » التميمية أقيس[1] ، وتهمل تميم « الا مع ليس »، وتقول بالرفع بعد إلا في قولهم: ليس الطيب إلا المسكُ، وأهل الحجاز ينصبون[2] وتقول تميم « مبرور »، و « مأجور »، على اضمار أنت فترفع، والحجاز تقول « مبروراً ومأجوراً »، على اضمار الفعل فتنصب[3] ، وتميم تقول « بعدٌ وسحقٌ له »، والحجاز تقول « بعداً وسحقاً له »[4] ، ومذ لغة تميم، يرفعون بها مطلقاً، ومنذ لغةُ الحجاز يجرون بها مطلقاً[5] وتميم تنصب تمييز كم والحجاز تجره »[6] وهلّم في لغة تميم تثنى وتجمع وتذكر وتؤنث وفي لغة الحجاز تكون للواحد والأثنين والجمع والمؤنث وتدخل النون الثقيلة والخفيفة على هلم عند تميم لأنها أجريت مجرى الفعل[7] وليس كذلك عند أهل الحجاز، وتعرب تميم « فعال » اعراب الممنوع من الصرف[8] وأهل الحجاز يبنونه على الكسر.

وندرك من كل هذا أن لهجة تميم، امتازت بخصائص انفردت بها عن لهجات القبائل المعاصرة لها في الجزيرة العربية، وأن هذه اللهجة كانت تميل إلى التخفيف، والاتمام في الصيغ والمفردات، وإلى الشدة والتفخيم والتذكير في الأسماء، وانها لهجة ذات فوارق اعرابية، فلا تُعْمل ما، وتنصب تمييز « كم »، وتُدْغم وتنْبِرُ وتحقق الهمز، ولها معالجات في الفعل وصيغه، وهي لهجة تؤخر وتقدم وتبدّل حروف مفرداتها، وفيها مرونة لتطوير دلالات ألفاظها.

(١) الفراء: معاني القرآن ٢/٩٢ وسيبويه في الكتاب ١/٢٨.
(٢) سيبويه: الكتاب ١/٣٦.
(٣) ابن منظور: لسان العرب ٤/٥٣.
(٤) الأزهري: التهذيب ٢/٢٤٤.
(٥) المورد مجلد ٧ عدد ١٩٧٨ ص ١٨٠.
(٦) المصدر السابق نفسه.
(٧) ابن منظور: لسان العرب ١٢/٦١٧.
(٨) سيبويه: الكتاب ٢/٤٠.

لكن المسألة عندي ليست أن أقوم بدراسة هذه اللهجة دراسة وصفية مسهبة، فموضع هذه الدراسة، الدراسات اللغوية المتخصصة، وإنما أردت أن أبرز جانباً من خصائصها وسماتها، فهل نجد في شعر تميم خصائص لهجتها، أو بعضاً منها، والحقيقة أن هذا الشعر فيه كثير من هذه الخصائص.

فتميم تقول زوجة والجمع زوجات، والحجازيون يقولون زوج والجمع أزواج وقد وردت زوجة في شعر عبده بن الطيب إذ يقول:[1]

فبكى بناتِي شجوهن وزوجتي والأقربون اليّ ثمّ تَصدعوا

والسرابيل بمعنى القمصان عند تميم، بينما تجعلها الحجاز بمعنى الدروع كما عرفنا واستخدام عبده بن الطبيب السرابيل بمعنى القمصان والأثواب فقال:[2]

تغدو علينا تلهينا ونصفدها تلقى البرودُ عليها والسّرابيلُ

وتميم تقول عجاية[3] واستخدمها عبده بن الطبيب جمعاً فقال:[4]

مردفات على أطرافها زمع كأنها بالعجايات الثآليلُ

وتميم تقول: زحلوق وزحلوقه، والحجازيون يقولون: زحلوف وزحلوفه كما رأينا ووردت زحلوق في شعر علقمة بن عبده حينما قال:[5]

وجوفٌ هواءٌ تحتَ متنٍ كأنه من الهضبَةِ الخَلفاءِ زُحلوقُ ملعبِ

ويستخدم علقمة لغة تميم في الاتمام فيقول: مغيوم بدلاً من مغيم التي يستخدمها الحجازيون.[6]

حتى تذكر بيضاتٍ وهيَجه يومُ رذاذٍ عليه الريحُ مغيومُ

وتميم تقول مئشار[7] ووردت جمعاً عند أوس بن حجر في قوله[8]:

(١) عبده بن الطبيب: شعره ٥٠.
(٢) عبده بن الطبيب: شعره ٨٣.
(٣) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٦٩.
(٤) عبده بن الطبيب: شعره ٧١.
(٥) علقمة الفحل: ديوانه ٩٠.
(٦) المصدر السابق نفسه ٥٩.
(٧) المورد مجلد ٧ عدد ٣ سنة ١٩٧٨ ص ١٦٦.
(٨) أوس بن حجر: ديوانه ٤٣.

يسعى بغُضفٍ كأمثال الحَصَى زَمِعا كأن أحناكَها السّفلى مآشيرُ

وتميم تقصر الكلمات فتقول أولى، والحجاز تمدها فتقول أولاء[1].

وأولى عند علقمة بن عبده في قوله:[2]

هل تحلقني بأولى القومِ إذ شَحَطوا جلذيةٌ كاتانِ الضّحلِ عُلكومُ

وتميم تقول ذاك، والحجاز تقول ذلك[3] وقد وردت ذاك عند الأسود بن يعفر وهو يقول[4]:

ذاك وموليّ يمج النّدى قريانُه أخضرُ مغْلولبِ

وأوس بن حجر يستخدم ذاك فيقول:[5]

يقول له الراءون هذاك راكب يؤبن شخصاً فوق علياء واقف

واستخدم ذاك عميره بن طارق:[6]

غداة يقال ذاك أخو غليظ يشلي به على عرى سليب

وتذكر تميم الأسماء مثل لاحب بمعنى الطريق وقد وردت في شعر علقمة الفحل عندما يقول[7]

هداني إليك الفرقدان ولاحب له فوقَ أصواءِ المِتَانِ عُلُوبُ

ويستخدم علقمة الفحل الفعل أطاف بمعنى طاف وهو ما تقول به تميم:

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم[8]

ومثل هذا، الافعال: أبرح[9]، وأشرف[10]، وأودى، وأعلق، وأشهد[11].

---

(١) د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ١٠٥.

(٢) علقمة الفحل: ديوانه ٥٧.

(٣) د. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ١٠٥.

(٤) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٢.

(٥) أوس بن حجر: ديوانه ٦٩.

(٦) انظر شعر بني يربوع.

(٧) علقمة الفحل: ديوانه ٤٠.

(٨) علقمة الفحل: ديوانه ٦٣.

(٩) أوس بن حجر: ديوانه ١٢.

(١٠) علقمة الفحل: ديوانه ٩٠.

(١١) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٨، ٣٩، ٢٢.

وعند تميم تفتح حاء حصاد[1]، ووردت اشابه مثل أساده في شعر الأسود بن يعفر[2]:

ليسوا بأنذال ولا بأشابه فيما ينوب القوم لا باللات

وتميم تضم الأول من أسوة كما في شعر الأسود أيضاً.

ويرد التخفيف في الحركات ـ كما عرفنا ـ في شعر تميم، فعلقمة بن عبده عندما يصف حوافر فرسه يستخدم لفظة سمر فيقول:[3]

وسمرٌ يفَلّقن الظرابَ كأنَّها حجارةُ غَيل وارساتٌ بطُحْلُبِ

وفي شعر علقمة ترد المفردات التالية أيضاً: خضر، وجنح، ومزن، وزعر، وغلب، ومجفرة، وغيرها.[4]

وترد مثل هذه المفردات عند الأسود بن يعفر: صفر، وكحل، ونجل، وجرد، وقدس، وحجرات وغيرها.[5]

وترد أيضاً عند عبده بن الطبيب: عجم، وعزل، وضمر، وربد، وسفع وغيرها.[6]

كذلك ترد المفردات المهموزة في شعر تميم كثيراً، فمفردات علقمة بن عبده[7]. رأس، وكأس، وتسألوني، ومسؤوم، ومشؤوم وغيرها، ومفردات الأسود بن يعفر[8] : رأس، وخلائل، ويسألن، ومؤنق، وسبأت، ومسؤوم، ومفردات أوس بن حجر[9] المهموزة منها: مخبأة، وثأد، ورأس، وبئر، وسأل.

---

(١) عبده بن الطيب: شعره ٩٣.
(٢) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٣.
(٣) المصدر السابق نفسه ٢٨.
(٤) علقمة بن عبده: ديوانه ٩١.
(٥) المصدر السابق نفسه صفحات ٧٧، ٣٤، ٦١، ٩١، ٨٥.
(٦) الأسود بن يعفر: ديوانه ٣٨، ٥٢، ٣٩، ٤٢، ٥٤، ٢٢.
(٧) عبده بن الطيب: شعره ٥٨، ٦٨، ٧٤، ٧٦، ٦٧.
(٨) علقمة بن عبده: ديوانه ٣٦، ٦٨، ٣٥، ٦٠، ٦٧.
(٩) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٢، ٢١، ٣٠، ٤١، ٥٩.
أوس بن حجر: ديوانه ٥٥، ٦٩، ٦٦، ٤.

ولسنا نزعم بعد هذا أن شعر تميم جاء كله في لغة القبيلة ولهجتها وإنما ندرك أن هذا الشعر استفاد من لغة قبيلته التي أمدت اللغة العربية بروافد غنية من سماتها وخصائصها، وذلك لأن الشعر الجاهلي اصطنع في أواخر عصره لغة أدبية موحدة، اصطلح الشعراء من شتى قبائل الجزيرة على اتخاذها لغة لشعرهم، وقد اختلفت آراء الباحثين حول هذه اللغة، ولكنها ـ على كل حال ـ تنتهي الى لغة قريش بعد أن دخلت فيها بعض لغات القبائل الأخرى وكان هذا ارهاصاً لنزول القرآن الكريم بها.(١)

٢ ـ مدرسة الصنعة التميمية:

شهد النصف الأول من القرن السادس الميلادي نضج القصيدة العربية، في العصر الجاهلي، فقد أخذت ـ القصيدة ـ شكلاً ثابتاً وارتضت منهجاً موحداً، واكتملت لها عناصرها الفنية.

وفي هذه الفترة وجه الشعراء عنايتهم الى تجويد الشعر، وتعهدوا القصيدة بالتهذيب والتثقيف، وألزموا أنفسهم برسم صورها الفنية المتأنية، وحرصوا على تسجيل أبعاد تلك الصور، وذكر تفصيلاتها حتى أصبحت عملاً فنياً أتقنت مقوماته، وأحكمت صنعته.

ومن هنا ظهرت المدرسة الفنية التي يسميها استاذنا الكبير الدكتور يوسف خليف مدرسة الصنعة.(٢)

وكان الاستاذ الدكتور طه حسين قد أخبر عن مدارس أدبية في كتابه: «في الأدب الجاهلي» ويسمى واحدة منها «مدرسة زهير» بدأت باستاذها الأول أوس بن حجر التميمي، وأصبحت ذات طابع مميز على يد استاذها الثاني زهير بن أبي سلمى.

وكان لهذه المدرسة ميزتان: الأولى أن خيالها حسي، يعتمد التصوير

(١) دكتور يوسف خليف: الشعر الجاهلي نشأته وتطوره، مجلة ـ عالم الفكر ـ عدد ٤ مجلد ٤ ص ١٨٥

(٢) دكتور يوسف خليف: الشعر الجاهلي نشأته وتطوره مجلة عالم الفكر مجلد ٤ عدد ٤ ص ١٨١.

الدقيق، ويتخذ التشبيه طريقاً إلى هذا التصوير، والأخرى أن شعراء هذه المدرسة اتخذوا الشعر حرفة وصنعة وفناً يدرس ويتعلم ، وكانت الصلة الفنية في هذه المدرسة هي الرواية، وكل شاعر فيهم راوية لمن سبقه من الشعراء.[١]

وذكر الاستاذ الدكتور شوقي ضيف هذه المدرسة في كتابه «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» عندما قال: «نحن الآن أمام مدرسة في الشعر أستاذها زهير وتلامذتها جماعة»، وتحدث عن هذه المدرسة «الزهيرية» وعن استاذها الأول أوس بن حجر التميمي[٢] ودرس الاستاذ الدكتور سيد حنفي هذه المدرسة دراسة نصية ممتازة قارن فيها بين أوس بن حجر وتلميذه زهير بن أبي سلمى.[٣]

ودرس الدكتور احسان النص الشاعر زهير بن أبي سلمى وتحدث عن مدرسته وعن خصائصها، ولم ينسَ فضل أوس بن حجر التميمي عليها لكنه دفع رياستها الى الطفيل الغنوي شاعر قيس[٤]، وقبل ذلك أشارمحمد عبد القادر أحمد إلى رياسة الطفيل لمدرسة زهير عندما قام بتحقيق ديوان الطفيل الغنوي[٥].

ومن قبل هؤلاء أشار استاذنا الدكتور يوسف خليف الى بداية هذه المدرسة وأسند رياستها إلى الطفيل الغنوي حيث يقول[٦] «والرأي الشائع بين الباحثين أن هذه المدرسة الفنية بدأت بأوس بن حجر شاعر تميم الكبير، ولكن الحقيقة التي تؤكدها الروايات العربية القديمة هي أن هذه المدرسة «بدأت من قبل ذلك مع الطفيل الغنوي شاعر قيس الكبير».

ويستقر الأمر في ظهور مدرسة فنية لها مقومات وسمات، وتبدأ مع الطفيل

---

(١) دكتور طه حسين: في الأدب الجاهلي ٢٦٨ - ٢٩٠.

(٢) دكتور شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٢٨.

(٣) دكتور سيد حنفي: الشعر الجاهلي ١٠٢.

(٤) دكتور احسان النص: زهير بن أبي سلمى حياته وشعره ٢٠٧ - ٢٢٧.

(٥) محمد عبد القادر أحمد: مقدمة ديوان الطفيل الفتوى ص ١٠.

(٦) دكتور يوسف خليف: الشعر الجاهلي عالم الفكر مجلد ٤ عدد ٤ ص ١٨١.

الغنوي، لأنه أكبر من الشاعر أوس بن حجر، وكان الطفيل أستاذاً لأوس، ولأن القدماء لقبوا لطفيل «المحبّر»[1] لما لاحظوه على شعره من ضروب التنميق والتجويد.

وهكذا نجد أنفسنا أمام مدرسة فنية تتخذ لها اسماً، وتعرف لها بداية، وتعتمد مقومات فنية، وتضم شعراء.

أما التسمية والمقومات الفنية، فنحن مع أستاذنا الدكتور يوسف خليف في أن هذه المدرسة ـ مدرسة الصنعة ـ[2] فالشعر عند شعراء هذه المدرسة صناعة، وشعراؤها لا يتسرعون في شعرهم ولا يتعجلونه، ويتناولون صوراً حسية تتسع لغزير من التفاصيل والجزئيات ويتخذون من التشبيه التمثيلي والاستعارة طريقاً الى هذا التصوير.

وفي شيء من الأناة والجهد وأعمال الفكر يمضي هؤلاء الشعراء في صقل قصائدهم، وتحقيق صورهم، واتقان صنعة الشعر عندهم، فكانوا شعراء مدرسة الصنعة بكل سماتها الفنية ومقوماتها الأساسية.

وأما بداية ـ مدرسة الصنعة ـ مع الشاعر الطفيل الغنوي فأمر ـ من جانبي ـ يحتاج إلى تدقيق وتحقيق، فالطفيل كان «محبراً» وفي تميم محبرون، ومن بينهم الشاعر طريف بن تميم العنبري.[3]

والطفيل أكبر من أوس بن حجر[4]، وعاش أوس في بدايات النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، وهي نفس الفترة التي عاشها الطفيل الغنوي كما يذكر محقق ديوانه[5]، إذ نجد في شعر أوس بن حجر التميمي ما يشير الى تلك الفترة، فقد عاصر الملك عمرو بن هند (٥٥٤ ـ ٥٦٩) وطلب اليه أن يحرق نخيل وزرع بني حنيفة في اليمامة، وأن يُعمِلَ سيفه في رقابهم، لأنهم

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ١/٤٥٣.
(٢) دكتور يوسف خليف: الشعر الجاهلي، عالم الفكر، مجلد ٤ عدد ٤ ص ١٨١.
(٣) الأخفش: كتاب الاختيارين ١٨٩.
(٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١١٢/١٠ (لم يذكر ذلك سواه).
(٥) محمد عبد القادر أحمد: مقدمة ديوان الطفيل الغنوى ص ١٠.

اشتركوا في مقتل أبيه المنذر بن ماء السماء.[١]

وأشاد أوس بن حجر بانتصار قبيلته تميم في يوم «ذي نجب» على قبيلة بني عامر من قيس عيلان، وكان هذا اليوم في مطلع النصف الثاني من القرن السادس الميلادي.[٢]

ثم أيضا إذا نظرنا الى نسب الشاعرين الى الجد الأصلي - مضر - نجد أن نسب الشاعر أوس بن حجر يسبق الطفيل الغنوي الى مضر -[٣] ولعل هذا يعني أن أوس بن حجر كان شاعر مضر غير مدافع ولم يكن الطفيل الغنوي كذلك.[٤]

ونتساءل كيف يتقدم الطفيل الغنوي على أوس بن حجر، وهما يعيشان في نفس الفترة تقريباً، بل ربما كان أوس بن حجر أسبق من الطفيل؟ وأين التقى أوس باستاذه الطفيل؟ وما دور شعر تميم في تجويد شاعرية أوس وفي صقل موهبته، وقد كان لقبيلة تميم رياسة شعرية في عكاظ؟ وكيف نطمئن إلى أسبقية الطفيل، ولم تذكر عند القدماء؟ حتى أن ابن سلام لم يترجم للطفيل الغنوي ضمن طبقات فحول الشعراء في الجاهلية.

كل هذا يجعل أمر بداية مدرسة الصنعة غير واضح المعالم والسبل، وإذا مضينا في محاولة للخروج من كل ما يخامر النفس من شكوك فإننا نجد علقمة الفحل التميمي شاعراً تبدأ به هذه المدرسة لاسباب منها:

أولاً:

ان علقمة الفحل أسبق في الزمن من الشاعرين أوس بن حجر والطفيل الغنوي، فالروايات العربية القديمة[٥] تذكر معاصرة علقمة لامرىء القيس،

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ٤٧.

(٢) أوس بن حجر: ديوانه ١١٣.

(٣) انظر نسب أوس بن حجر في أنساب تميم ونسب الطفيل في كتاب الاخيارين ص ١٥.

(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢٠٢/١، وفي العمدة ٨٦/١.

(٥) الانباري: شرح ديوان المفضليات ٧٦٤، وفي الأغاني ٢٢٦/٢١، ٢٢٩/٧، وفي ديوان امرىء القيس ٣٥ وفي الشعر والشعراء ٢١٨/١ وفي التنبيهات ٨٨.

وانهما كانا صديقين حميمين، فقد تلاقيا، وتطارحا الشعر، وفي احدى زيارات علقمة لامرىء القيس تلاحيا في أيهما أشعر من الآخر؟ وقال امروء القيس لعلقمة: «انعت فرسك وأنا انعت فرسي»، والحكم بيننا هذه المرأة» أم جندب الطائية زوجة امرىء القيس. وعندما عرض كل منهما قصيدته قالت المرأة لزوجها امرىء القيس: «فرس علقمة أجود من فرسك» فقال لها: «وكيف» قالت «لأنك أجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك وأدرك علقمة طريدته، وهو ثان لفرسه، فلم يضربه بسوط، ولا مراه بساق ولا زجره». فقال لها: ماهو «بأشعر مني» وغضب عليها وطلقها.

وكانت هذه المطارحة مع بداية النصف الأول من القرن السادس الميلادي[1]، وكان امروء القيس شاعراً يطارح الشعراء وينازعهم الشعر[2] والذي نزعمه في أمر هذه «المنازعة» الشعرية بين امرىء القيس وعلقمة ـ بالرغم من تداخل قصيدتيهما ـ أن علقمة الفحل كان يتأنى ولا يتعجل الشعر، ويتريث فلا يتسرع القصيد، ويقف أمام القصيدة يوفر لها مقومات فنية، جعلته كما تزعم الروايات يتفوق على امرىء القيس.

ويزيدنا اطمئناناً الى أن علقمة الفحل، كان شاعراً في هذه الفترة المتقدمة من القرن السادس الميلادي، رحيله مع وفد من بني تميم الى الحارث بن أبي شمر الغساني (٥٢٨ ـ ٥٦٩)[3]، بعد معركة حليمة (٥٥٤)[4]، يستشفع في أخيه شأس بن عبده وأسرى تميم، وفي بلاط الغساسنة أنشد علقمة بائيته.[5]

طحا بك قلبٌ في الحسان طـروبُ   بعيدَ الشبـابِ عصرَ حـانَ مَشيـبُ

فأعجب الحارث الغساني، وعفا عن شأس وأسرى تميم وأطلق سراحهم.

وفي هذه الفترة كتب السموأل الى الحارث بن أبي شمر، يوصيه بامرىء

---

(١) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٢٦/٩.
(٢) ابن رشيق: العمدة ٢٠٢/١، وفي اللسان ٢١٣/٦.
(٣) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١٥٥/٤، وتاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف ٤١. وتاريخ العرب القديم دكتور نبيه عاقل ٥١٢.
(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥٤٦/١، وهي نفس معركة عين باغ. انظر العلاقات الخارجية في تميم.
(٥) علقمة الفحل: ديوانه ٣٣.

القيس، ويطلب إليه أن يساعده في الوصول إلى بلاد الروم، ليستعين بهم على قتال بني أسد[1]، ومضى امروء القيس في رحلته التي مات فيها.

ومن هذه الروايات العربية القديمة والأخبار التاريخية ندرك أن علقمة الفحل أسبق في الزمن من الطفيل الغنوي ومن أوس بن حجر.

ثانياً:

تشير الروايات العربية القديمة الى أن علقمة كان شاعراً يجوّد شعره، ويثقّفه، ويصنعه، ويعنى به، فابن سلام[2] يذكر فحوله علقمه، وجياده الشعرية «علقمة فحل مع الأوائل وله ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر».

وابن الأنباري[3] يشير إلى تلك الفحولة وإلى تقدمه بين الشعراء «وكان علقمة من صدور الجاهلية وفحولها»، وابن قتيبة[4] يبدي اعجابه بجودة أشعار علقمة وأوصافه، ويؤكد أبو الفرج[5] هذه الجودة عندما يذكر سبب تسميته بالفحل «وسمي علقمة بالفحل لأنه كان يجيد أشعاره»، وابن الاعرابي[6] يبرز جودة وصف علقمة في النعام.

وأشعاره الجياد كانت سموط الدهر في عكاظ[7]، وكان علقمة من أشعر الناس، وشاعر مضر في زمانه، فقد قيل لنصيب[8] من أشعر العرب؟ فقال: علقمة بن عبده. ويذكر ابن حزم[9] أن علقمة كان شاعر مضر في زمانه، حتى أن ابن خلدون[10] عدّه من أصحاب المعلقات ويكون شعر علقمة - المجوّد - من «مصادر» شاعرية الفرزدق.[11]

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥١٦/١، وانظر في تاريخ العرب القديمة ٢١٢.
(٢) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١٣٧/١.
(٣) ابن الانباري: شرح ديوان المفضليات ٧٦٢.
(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢١٨/١.
(٥) الأصفهاني: الأغاني ١١٢/٢١، وفي الحيوان للجاحظ ١٢٠/١.
(٦) الأصفهاني: الأغاني ٢٩٦/١٦.
(٧) علقمة الفحل: ديوانه ٩ والجمهرة ٤٥.
(٨) ابن رشيق: العمدة ٩٧/١.
(٩) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٢٢.
(١٠) ابن خلدون: مقدمته ٥١١.
(١١) الفرزدق: ديوان شعره ٧٢٠/٢.

والفحلُ علقمـةُ الذي كـانـتْ لـه حلـلُ الملـوك كلامُـه لا ينحــلُ

ويرى الباحثون ان علقمة شاعر ينقّح ويجوّد أشعاره، وهو خبير بصير في تأمل شعره، وفيه رزانة وأناة تنحو به نحو مذهب الصنعة.[1]

ثالثاً:

ان خصائص مدرسة الصنعة من حيث الصناعة الشعرية، والسمات الفنية، والمقومات الأساسية، تتمثل في شعر علقمة تمثلاً واضحاً، وتبرز عنده بروزاً قوياً، فعلقمة شاعر يعتني بشعره، ويفرغ له، يهذّبه وينقحه، ويراجعه في شيء من الأناة، ويقوم على تجويده، فهو من هؤلاء الذين يسميهم الأصمعي «عبيد الشعر»[2]، وعلقمة أيضاً شاعر يعتمد التصوير الحسي، ويستخدم التشبيه التمثيلي والاستعارة ويحرص على التفاصيل، ويهتم بالجزئيات، ويسجّل الحركة واللون والصوت، وميميته ـ مطولته الشعرية ـ[3] تقدم لنا الأدلة والشواهد.

ويرسم علقمة لوحة فنية للظليم من خلال تشبيه ناقته به:

كـأنها خـاضـب زعـر قـوائمــه أجنـى لـه بـاللـوى شرى وتنـوم

يظـل في الحنظـل الخُطبـان ينقفـه ومـا استطـف مـن التنــوم مخذوم

فالشاعر يسجل اللون والحركة في هذه اللوحة، ويرينا ظليماً عارم الحيوية، أحمر القوائم والريش، يرعى في مرابع اللوى الخصيبة، ويتجول بين نباتها وشجرها، يخذم ورق التنوم، ويتناول حب الحنظل.

ثم يتذكر بيضه «وأسرته» ويثيره رذاذ بدأ يتساقط.

حتى تـذكّــرَ بيضــات وهيّجَــه يـومَ رذاذٍ عليـه الرّيــحُ مغيــومُ

ويسرع الظليم عائداً إلى أدحيه بخطى متلاحقة، وجري سريع، ثم يشتد في

---

(١) انظر الشعر الجاهلي للدكتور النويهي ١١٣٢٩٨، وشرح بائيمة علقمة لعبد الله الطيب وموسوعة الشعر العربي ٩٩/٢، دكتور شوقي ضيف في العصر الجاهلي ٢٢٧.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٧٨/١.

(٣) علقمة الفحل: ديوانه ٥٨، وانظر الدراسة الموضوعية لشعر تميم.

سرعته ويدفع رجليه دفعاً شديداً إلى الأمام، ويخفض عنقه حتى ليكاد منسمه ينخس عينه، ويدرك بيته قبل غروب الشمس.

فلا تـزيـده في مَشيـهِ نَفِـقٌ ولا الزّفيفُ دوين الشدّ مسؤُومُ
يكـادُ مَنْسِمُـه يختـلُّ مقلتَـه كـأنـه حـاذرٌ للنخسِ مشهُـومُ

ولم ينته الشاعر من إتمام لوحته، وإنما يمضي فيصور وصول الظليم الى «منزله» ويوفر الأصوات إلى جانب الحركات والألوان.

فطافَ طـوفين بـالادحى يَقفُـرهُ كـأنـه حـاذرٌ للنخسِ مشهـومُ
يأوى الي حَسكلٍ زعر حـواصِلُـه كـأنهنَّ اذا بـركَّـنَ جَـرثُـومُ
يـوحـى إليهـا بـانقـاضٍ ونَقْنَقـة كما تَـرَاطَـنُ في أفـدانها الرومُ
صعلٌ كـأن جنـاحَيـه وجـؤجـؤه بيتٌ أطافت بـه خـرقـاءُ مهجـومُ
تحفّـه هَقْلـةٌ سطعـاءُ خـاضعـةٌ تجيبُـه بـزمـارٍ فيـه تَـرنيمُ[1]

وفي بقية هذه اللوحة الرائعة، يرسم لنا علقمة في أعجاب وزهو شديدين، أدحى الظليم وفيه صغاره وزوجه، ونرى الظليم ـ لحظة الوصول ـ يتفحص المكان ويطوف به مرتين يثبت اطمئنانه، ويدفع عن نفسه مخاوفها، وبعدها يأوى الى حسكله، ويبسط عليه جناحيه، ويضمه إلى جؤجؤه في لهفة شديدة، واسترخاء كبير، ويمرر الشاعر ريشته على هذه الصورة هنا فيرينا هذا الظليم وهو يجثم على بيضه في تهالك قوي، كبيت فيه امرأة خرقاء لا تحسن أقامته عندما هوت عيدانه وأطنابه فكلما رفعت من البيت جانباً، سقط منه جانب آخر.

ثم يسجل الشاعر عرار الظليم لزوجته ـ هقلة سطعاء ـ فهو يناجيها بانقاض، ويناغيها بنقنقة، وكأنه يراطنها رطانة الروم اذ لا نفهم من عراره شيئاً، ولعلها لغة غرام النعام، تفهمها الزوجة، فتقبل عليه، وتحيط به، وتتمسح بريشه، وتغنيه بزمار عذب، وترنيم رخيم.

---

(١) المفضل الضبي: المفضليات ٣٩٧ وانظر ديوان علقمة ص ٦٢.

فهذه اللوحة الفنية تعاونت فيها الالوان، وتمازجت فيها الخطوط، واتسعت لكثير من الحركات والأصوات، واعتنت بالتفاصيل والجزئيات.

فالشاعر يلّون باصباغه لوحته تلك، فاللون الأحمر للظليم، والأصفر للنبات، والرمادي للحنظل، والأبيض للادحي، ثم يرينا حركات الظليم في المرعى، وعند عودته، وطوافه بادحيه، وجثومه على صغاره، ثم يسمعنا عرار الظليم وزمار النعامة.

ويرسم الشاعر المكان ـ منطقة اللوى وفيها الحنظل والتنوم، ثم أدحى الظليم ويذكر الزمان، فالظليم في اطلاله الربيع، وفي يوم تميل شمسه للغروب، وهو يوم رذاذ فيه رياح وغيوم.

ومادة التشبية في هذه اللوحة حسية فهي صورة للنعام في الطبيعة، والطبيعة بكل مظاهر الحياة فيها تظل عند الشعراء منبعاً ثراً لتشبيهاتهم، وعلقمة مفتون بهذا الظليم، ومعجب به أشد الإعجاب، فلا يترك شيئاً يثير فتنته ويبدي إعجابه عن هذا الظليم الا سجله وصوره، ولذا كان الظليم عند علقمة «مادة التشبيه المفضلة».

وهكذا رسم لنا علقمة هذه اللوحة الفنية بعد أن أعمل فيها فكره، وعُني بها تنقيحاً وتجويداً، واعتمد التصوير، واستخدم التشبيه التمثيلي طريقاً الى هذا التصوير، واهتم بالتفاصيل، وحرص على الجزئيات، فجاءت لوحة «فاتنة» وحق لابن الأعرابي أن يعجب بهذه الصورة في وصف النعام.

وليست صورة الظليم الدليل الوحيد في شعر علقمة، ولكنه يقدم لنا دليلاً آخر عندما يرسم لوحة فنية أخرى لابريق الخمر مستغلاً التشبيه التمثيلي من خلال تشبيهه بالظبي[1].

كأن ابريقهم ظبي على شرفٍ ... مفدم بسبا الكتانِ ملثومُ
أبيضُ أبرزه للضح راقبهُ ... مقلدٌ قُضبَ الريحان مفغومُ

(١) علقمة الفحل: ديوانه ص ٧٠.

فهذا ابريق الخمر الفضي يتألق تحت أشعة الشمس على مرتفع في أرض المجلس، وتراه متطاول العنق، معكوف اليد، مقوس الفتحة، تغطيه سبائب الكتان البيضاء وتحيط به قضب الريحان وعلى جسمه صور ورسوم، وكأنه ظبي أبيض راح يصعد رابية في ضوء الشمس، وقد مدَّ جيده في خيلاء، وانتصب واقفاً بجسمه الرشيق، وأنفه المرثوم وذيله الصغيرة، فالشاعر معجب بهذا الابريق، ولذا يختار صورة حسية من الطبيعة هي صورة الظبي الرشيق لتكون مادة التشبيه في هذه اللوحة.

وفتنه الشاعر تتجلى أيضاً في حبه للخمر ولذا نرى علقمة يستغل اللون البلاغي الآخر وهو الاستعارة لينقل الينا وصفه لهذه الخمر.

قد أشهد الشَرْبَ فيهم مـزهـرٌ رنمٌ والقوم تصرعهم صهبـاء خـرطـومُ
كأسُ عزيز مـن الاعنـاب عتقهـا لبعـض أربـابها حـانيـةٌ حـومُ
تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبُهـا ولا يخالطهـا في الرأس تـدويمُ
عـانيـةٌ قـرقـف لم تطلـع سنـةً يُجنها مـدمـجٌ بـالطين مختـومُ[1]

وانظر الى هؤلاء القوم، وقد راحوا ينهبون الملذات، ويصرفون متاعب الأيام بخمر تصرعهم، وتشفي صداع رؤوسهم، ولا تؤذي رجولتهم ويسجل الشاعر تفاصيل هذه الخمر ويدقّق في أوصافها، فهي صهباء وخرطوم، وكأس عزيز، ومن الأعناب، ومعتقة لاكثر من عام، ومستـورة في دن، ومستوردة من بلدة عانة في أرض الشام.

وهذه لوحة ثالثة يستغل فيها علقمة التشبيه التمثيلي، والاستعارة ليقدم لنا صورة من صور ظعائن صاحبته سلمى[2].

لم أدر بـالبين حتى ازمعـوا ظعنـاً كل الجمال، قبيل الصبح، مـزمـومُ

---

(١) علقمة الفحل: ديوانه ص ٦٨.

(٢) علقمة الفحل: ديوانه ٥١، مزموم: متأهل للرحيل، التزيدات ثياب، معكوم: مشدود، عقل ورقم: اقمشة، اترجة: امرأة تشبه الاترجة، صفر الوشاحين: ضامرة البطن، الدرع: القميص، خرعبة: ناعمة، رشأ: ظبي.

ردَّ الامـاءُ جمالَ الحي فـاحتملـوا	فكلهـا بـالتـزيـديـات معكـومُ
عقلاً ورقماً تظـل الطير تتبعـهُ	كأنه من دمِ الأجـوافِ مـدمـومُ
يحملـن أتـرجـةً نضـح العبير بها	كـأن تطيـابها في الأنـف مشمـومُ
كـأن فـارةَ مسـكٍ في مفـارقهـا	للباسطِ المتعـاطـي وهـو مـزكـومُ
صفرُ الوشاحين ملءُ الدرع خرعبـةٌ	كـأنها رشـأً في البيـت ملـزومُ

في هذه اللوحة يصور علقمة ظعائن صاحبته، فهو لا يعلم شيئاً عن رحيلها لكنه يشاهد الجمال تشد رحالها قبيل الصباح، ويرى حركة في الحي، تقوم بها الاماء فهن يغطين الهوادج بالاكسية الحمراء من الاقمشة التزيدية الثمينة، ومن صنوف ـ العقل ـ الأحمر الذي لا خطوط فيه ـ والرقم ـ الأحمر المخطط.

ويسجل الشاعر لمساته الاخيرة في هذه اللوحة لعصائب الطير التي يخدعها هذا الصبغ الأحمر، فتحسبه لحماً، فتهوي اليه تتخطفه في حركة عامودية متتابعة.

ثم يتحدث الشاعر عن صاحبته «سلمى» التي أخذت زينتها، وتطيبت بعطرها، فراح شذا عبيرها يضوع في الأرجاء، وينفذ الى الأنف، حتى أن «المزكوم» تصدمه رائحة هذا العطر لشدة نفاذه، فصاحبته تستعمل أقوى روائح المسك، وأجود أصناف العطر تبدو ـ وهي في هودجها ـ تحمل في مفارقها «علبة» من المسك الذي يعلن عن طيب رائحتها، ولذيد عطرها، ونظافة جسدها.

ويستكمل الشاعر صورة صاحبته بين رفيقات سفرها، فهي ناعمة، رقيقة، ممتلئة، ناهدة، وأما الخصر فضامر وفي غاية الاختصار، كأنها ظبي أبيض رشيق، تربية النسوة في البيوت، وتحيطه بالعناية والرعاية.

وفي هذه اللوحة يستخدم علقمة صورا حسية من الطبيعة، ومن مشاهد الحياة اليومية، ويسجل الالوان والحركات ـ الى جانب، حاسة الشم ـ ويستغل التشبيه التمثيلي والاستعارة طريقاً الى تلك الصور.

فهذه اللوحات الثلاث: لوحة الظليم، ولوحة الخمر، ولوحة الظعن، تتمثل فيها جميعها مقومات وسمات مدرسة الصنعة تمثلاً واضحاً.

رابعاً:

ومدرسة الصنعة تضم شعراء تفرغوا لشعرهم، ووفروا له من الصنعة ومقوماتها الكثير، وهؤلاء الشعراء يتأثرون بمن سبقهم ويأخذون عمن تقدمهم، ثم هم يزيدون في الصنعة، ويجودون في الشعر وقد لاحظ القدماء هذا التأثير بين شعراء هذه المدرسة فقالوا: ان زهيراً تأثر باستاذيه أوس بن حجر والطفيل الغنوي وأخذ عنهما[1].

وزهير ـ الذروة الفنية ـ لهذه المدرسة يتأثر أيضاً بعلقمة ويأخذ عنه منظر السانية الذي طوره ورسم منه لوحة نادرة في الشعر الجاهلي.

فقبل زهير بن أبي سلمى رسم لنا علقمة منظر السانية التي تستخدم على آبار الري في المناطق التي تصلح للزراعة، من خلال تشبيه دموعه بماء دلو السانية[2].

فالعينُ مني كأن غربٌ تحطُ به	دهماء حاركها بالقين مخذومُ
قد عريت حقبة حتى استطف لها	كتر كحافةِ كير القين ملمومُ
قد أدبر العُرُّ عنها فهي شاملها	من ناصعِ القطرانِ الصرف ترسيمُ
تسقى مذانبَ قد زالت عصيفتها	حدورها من أتى الماء مطمومُ

في إحدى مناطق النخيل بأرض الصمان ـ منازل الشاعر ـ نرى هذه السانية الدهماء تدور حول البئر بعد أن طليت بالقطران وادبر عنها الجرب، وتربعت في مناطق خصبة، وارتفع سنامها، فها هي تتألق تحت أشعة الشمس بجلدها الاملس المشدود، وكانه جلد كير الحداد ثم نشاهد رباط الناقة الى

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢٧٥/١، وانظر مقال الدكتور يوسف خليف في مجلة عالم الفكر عدد ٤ مجلد ٤ ص ١٨١.

(٢) علقمة الفحل: ديوانه ص ٥٣.
دهماء: ناقة سوداء، الحارك: مقدم السنام، القتب: الاداة التي يستسقي عليها. استطف: ارتفع، كتر: سنام، العر: الجرب، ترسيم: طلاء، مذانب: مسايل وجداول، العصيفة: اورق النبات، حدور: منحدرات.

البئر فقد امتد الحبل من قتب الناقة الى خشبة الدلو، وهي تدور فتنحرف على جانبيها لتكون أقوى على شد هذا الدلو الكبير الذي امتلأ ماء راح يفرغه في جداول تتدفق غزيرة، كأنها السيل يندفع بقوة، فيبلغ الماء آخر الأرض المزروعة، ويغمر الأماكن المنحدرة، واذا بنا أمام زرع يرتوي فتتفتح أوراقه، وتنضج ثماره، وتتصلب عيدانه.

ولوحة السانية الى جانب اللوحات الثلاث الأولى تظهر فيها جميعها سمات مدرسة الصنعة فعلقمة في هذه اللوحات يعتني بالصور الحسية، ويذكر تفاصيلها وجزئياتها، ويسجل حركاتها وأصواتها، ويتابع ألوانها وظلالها، ويستغل التشبيه التمثيلي اغلب الأحيان، والاستعارة بعض الأحيان، طريقاً الى هذه الصور.

وفي شعر علقمة لوحات فنية أخرى ففي مطولته ـ قصيدته الغسانية[1] نجد لوحة المرأة، ولوحة الناقة، ولوحة بقر الوحش، ولوحة اللاحب «الطريق»، ولوحة الماء، ولوحة الحرب، وفي مطولته ـ مطارحته الشعرية ـ [2] نجد لوحة المرأة، ولوحة الناقة، ولوحة الحصان، ولوحة الصيد، وكل هذه اللوحات الفنية، يفرغ لها علقمة، ويتأنى في رسمها، ويعتني بتجويدها، ويجهد في صنعتها.

وندرك أن هذه اللوحات لم تمتد امتداد لوحات أوس بن حجر، ولم تتسع لكثير من «اللمسات الاخيرة» كما عند زهير بن أبي سلمى، وذلك لانها كانت الطريق والبداية الى مدرسة الصنعة.

ومن كل ما ذكرنا نرى أن علقمة الفحل أسبق الشعراء في القرن السادس الميلادي، وأن الروايات القديمة ذكرت تجويده لاشعاره، وان شعره تتمثل فيه سمات مدرسة الصنعة، فهو والأمر كذلك شاعر في أوائل شعراء مدرسة «الصنعة».

---

(١) علقمة الفحل ديوانه ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٦.

(٢) المصدر السابق نفسه جـ ٧٩، ٨٠، ٨٥، ٨٨، ٩٢.

ولذا يمكننا أن نزعم أن علقمة الفحل التميمي كان بداية مدرسة الصنعة وأقدم شعرائها، وجاء بعده الشاعر أوس بن حجر التميمي رائد هذه المدرسة التي تقدمت على يديه حتى وصلت الى الذروة الفنية عند الشاعر زهير بن أبي سلمى.

وفي تميم شعراء كثيرون ترسموا خطا الشاعرين علقمة وأوس التميمين، وراحوا يدفقّون في نهر مدرسة الصنعة العظيم روافدهم الفياضة.

واذا فرغنا من علقمة الفحل التميمي نأتي الى شاعر آخر من تميم هو أوس ابن حجر الاسيدي التميمي.

فاوس بن حجر - شاعر تميم الكبير - رائد من رواد مدرسة الصنعة وعلى يديه تقدمت هذه المدرسة وقطعت شوطاً كبيراً في مقومات العمل الفني، وصنعة الشعر، وقد شهد القدماء بتفوق أوس في هذه الصنعة الشعرية وذكروا أنه كان يتعقل في الشعر ويجيد في الوصف ويحسن في المطلع[1] ولذا امتدت لوحاته الفنية الى أقصى امتداد حتى احتلت قصائد كاملة في أشعاره أحياناً. وفي قصيدته - الفائية - التي اتسعت لها الدراسة الموضوعية دليل ماثل على العناية الكبيرة بالصنعة الشعرية[2].

كأني كسوت الرحل أحقبَ قاربا ... لـه بجنـوب الشيطين سـاوفُ
يقلّـب قيـدوداً، كـأن سراتها ... صفا مدهنٍ، قد زحلفته الزحالـفُ

* * *

فأضحـى بقـارات الستـار كـأنـه ... ربيئـة جيش، فهـو ظمآن خـائـفُ

* * *

تذكر عيناً - مـن غمازة - مـاؤهـا ... لـه حبـبٌ تستن فيـه الزخـارفُ

* * *

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٠٢، ١/٢٠٧.

(٢) أوس بن حجر: ديوانه ٦٧، وانظر الدراسة الموضوعية لشعر تميم
احقب قارب: حمار ابيض، قيدود: اتان، سراة: ظهر. الزخارف: الذباب، مدمر: صياد، صد: عطشان، سمائم قيظ: شدة الحر.

فلاقى عليها من صباحَ مدمراً لناموسه من الصفيح سقائفُ
صد، غائرُ العينين، شققَ لحمه سمائمُ قيظٍ، فهو أسودُ شاسفُ

* * *

فأمهله، حتى اذا أن كأنه معاطى يد، من جمة الماء غارفُ
فعضَّ بابهام اليمن ندامةً ولهفَّ سراً أمه وهو لاهِفُ

* * *

فما زال يفري الشد حتى كأنما قوائمه في جانبيه الزعانفُ

فقد سجل الشاعر في هذه اللوحة فيضاً من الحركات، وصنوفاً من المطاردات الى جانب اللونيات، فالحمار الوحشي يطارد أتانه، ويندفع بها في سرعة شديدة يقطعان القفاف، وحبال الرمل، حتى اذا أنهك التعب الاتان، وأصابها الظمأ، وعانت من الجوع، اعتلى الحمار ظهر رابية خائفاً، يترقب، وباحثاً عن ماء، وسط نهار قائظ وحر لاهب، ويتذكر عيناً من عيون غمازه فيسرع مندفعاً اليها مع أتانه حتى اذا ما راح يغرف الماء، أرسل الصياد المدمر سهماً اليه،فأخطأه، ويهب الحمار الوحشي مذعوراً يفري الجري فرياً، ناجياً من الموت حتى لتبدو قوائمه زعانف علقت في الهواء لا تمس الأرض.

وكانت هذه اللوحة كبيرة، اتسعت لكثير من التفاصيل والجزئيات، واحتوت مجموعة من اللوحات «الفرعية» من بينها، لوحة حمار الوحش واتانه في منطقة الشيطين(١)، ولوحة الحمار في منطقة الستار(٢) ولوحة عين الماء(٣)، ولوحة الصياد(٤)، ولوحة شرب الحمار(٥)، ولوحة الحمار بعد عين الماء(٦). وبلغ مجموع أبيات هذه اللوحات التي تشكل اللوحة الكبيرة ثلاثين بيتاً(٧).

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ص ٦٧ (الابيات من ٢٧ - ٣٢).
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٦٨ (الابيات من ٣٣-٣٥).
(٣) المصدر السابق نفسه ص ٦٩ (الابيات من ٣٦-٣٨).
(٤) المصدر السابق نفسه ص ١٧٠ (الابيات من ٣٩-٤٦).
(٥) المصدر السابق نفسه ص ٧١ (الابيات من ٤٧-٤٩).
(٦) المصدر السابق نفسه ص ٧٢ (الابيات من ٥٢-٥٧).
(٧) المصدر السابق نفسه ص ٦٦-٦٣ (الابيات من ٢٧-٥٧).

وقد استغل اوس بن حجر التشبيه التمثيلي، مسجلاً اللون والحركة والصوت ومستخدماً الاستعارة والكناية، في رسم صوره الحسية التي استمدها من الطبيعة، ومن مظاهر الحياة اليومية، فحشدت لوحته صوراً من الحيوان «حمار الوحش»، والصخر «صفا مدهن»، والحرب «ربيئة جيش» والنبات «قطيفة مخلية»، والحشرات «الذباب»، والانسان «الصياد المدمر»، والمسافات «معاطي يد» وآنية الخمر «دن التجر»، وغيرها. وكلها تعاونت في رسم صورة الحيوان الوحشي بكل أبعادها وتفريعاتها فكانت بحق لوحة فنية رائعة.

وفي شعر أوس بن حجر لوحات فنية للثور الوحشي[1] الذي تهاجمه الكلاب في معركة ضارية تتسع لصراع مرير، وحركات عنيفة، وجولات قاسية تنتهي جميعاً بانتصار الثور الوحشي، وقد لاحظنا في لوحة الحمار الوحشي نجاته كذلك من الموت على عين الماء.

والذي يبدو لنا في جميع «لوحات» الحيوان الوحشي، أن أوس بن حجر وصل بالصورة الشعرية - في مدرسة الصنعة - الى أقصى امتدادها وتفاصيلها وجزئياتها، واذا كانت لوحات الحيوان والصيد وغير ذلك عند علقمة قليلة الأبعاد، ضئيلة الجزئيات، فأوس بن حجر الذي جاء بعد علقمة فسح بتلك اللوحات الفنية مكاناً واسعاً في القصيدة العربية، وشكّل أبعادها، وحدّد زواياها في تناسق بديع من خلال الحركات، وتركيز الالوان، وتسجيل الأصوات. فكان أوس بحق من الذين أرسوا تقاليد صور الحيوان، ورسموا لوحاته الفنية في القصيدة العربية.

* * *

ونجد في شعر أوس بن حجر - غير لوحة الحمار الوحشي - لوحات فنية ومنها لوحة الحرب والسلاح - فقي مطولته - اللامية - يصور أوس اسلحته

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ص ٢ الابيات من (١١-٢٠) وص ٤٢، الابيات من (٢٨-٢٧).

التي أعدها للحرب ويرسم من خلال التشبيه التمثيلي، والاستعارة لوحة فنية دقيقة الاوصاف، كثيفة التفاصيل، ومركزة الالوان والحركات[1].

واني امرؤ اعددت للحرب بعدما رأيتُ لها ناباً من الشر أعصلا

* * *

أصم ردينيا كأن كعوبه نوى القسب عراصا مزاجا منصلا

عليه كمصباحِ العزيز يشبهُ لفصحٍ ويحشوه الذبال المُفتّلا

* * *

وأملس صوليا كنهي قرارةٍ أحسَّ بقاع نفح ريحٍ فأجفلا

كان قرون الشمس عند ارتفاعها وقد صادفت طلقا من النجم أعزلا

* * *

وأبيض هندياً كأن غِرارَه تلألؤ برق في حبي تكللا

اذا سل من جفنٍ تأكلُ إثرهُ على مثل مصحاة اللجينِ تأكُلا

فالشاعر يصور الحرب بانها حيوان مفترس، يكشر عن انيابه ويستعد للهجوم ولذا ترى أوسا يعد أسلحته، ويصورها مبتدئاً بالرمح فهو رمح رديني قوي، متقن النصل، محكم الزج، ويشبه أنابيبه بالنوى اليابس، ولمعانه بوهج مصباح عزيز أشعله ليلة عيد، ثم يصور الدرع فهو درع صولي أملس براق، يترقرق تحت أشعة الشمس كما يترقرق ماء غدير لعبت به الريح، في يوم صاف، وبعد ذلك يصور السيف فهو سيف هندي يلمع حده لمعان البرق خلال السحاب، واذا استل من غمده توقد حده الأبيض فبدا كأنه مصحاة من الفضة.

وهكذا جمع الشاعر بين الرمح الرديني، والدرع الصولي، والسيف اليماني في هذه اللوحة الفنية، ولم ينته أوس من اتمامها فها هو يصور الى جانب هذه الاسلحة، القوس المبضوعة.

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ٨٣، ٨٤، ٨٥. الاعصل: الاعوج. العشب: التمر اليابس، العراص: الشديد الاضطراب، يشبه: يوقده، النهي: غدير الماء، الأعزل: أحد منازل القمر، الفرار: حد السيف، الحبى: السحاب، المصحاة: اناء من الفضة.

وتتسع صورة القوس، عند أوس، حتى تصبح قصيدة كاملة تبلغ أكثر من عشرين بيتاً، وتبدو كأنها لوحة كبيرة، الى جانب الأسلحة الاخرى في اللوحة الاكبر، ولقد وجد أوس فرصته في مد أوصاف هذه القوس فراح يرسم لوحة فنية تتسع للتفاصيل والجزئيات، وتركز الحركات والأصوات الى جانب الألوان[1].

ومبضوعةً من رأس فرعِ شظيةٍ ... بطودٍ تراهُ بالسحاب مجلَّلا
على ظهر صفوانٍ كأنَّ متونه ... عُللن بدهن يزلقُ المتنزلا.
فويق جبيلٍ شامخ الرأس لم تكن ... لتبلغه حتى تكل وتعملا.
فأبصر ألهاباً من الطود دونها ... ترى بين رأسي كل نيقين مهبلا
وقد أكَلَتْ أظفارَه الصخرُ كلّما ... تعايا عليه طولُ مرقى توصّلا
فما زَالَ حتى نالها وهو مُعصمٌ ... على موطنٍ لو زل عنه تفصّلا
فأقبلَ لا يرجو التي صعدت به ... ولا نفسه الا رجاء مُؤملا
فلمّا نجا من ذلك الكربِ لم يزل ... يمظِّعها ماء اللحاء لتذبُلا
فجرّدها صفراءَ لا الطول عابها ... ولا قصرٌ أزرى بها فتعطلا
اذا ما تعاطوها سمعتَ لصوتِها ... اذا انبضوا عنها نئيما وأزمَلا.

ويصور أوس هذه القوس بأنها أخذت من فرع شجرة تنبت على ظهر صخرة ملساء فوق جبل ضارب في السماء شموخاً وعلواً، وتسقى من ماء السحاب الذي يجلل الجبل ويشحذ - هذا الرجل - عزيمته، ويصعد الجبل، فاذا بالصخر ينحت أظافره، واذا الخوف يفترس قواه، وهو يرى صدعاً في الجبل صعب الاجتياز، ولكنه يقهر المتاعب والأخطار، ويفوز بتلك المبضوعة.

وتبدأ عملية « تصنيع » القوس، فصانعها يسقيها ماء لحائها لتلين وتذبل ثم يبريها ويشذبها بالسكين، ويقطعها بطول دقيق، فلا يزري بها القصر ولا

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ٨٥-٨٩، الهاب: شق بن جبلين، النيق: المشرف من الجبل، تعايا: تصعب، تفضل، تقطع، يمظعها: يسقيها. النئيم والازمل: صوت القوس.

يعيبها الطول، وبعد ذلك يتابع سنّها وصقلها حتى اذا ما شد وترها، وراح يختبر سرعتها، انطلقت مخلفة نذيرها ونئيمها. وبعد ذلك نجد أوساً يتابع وصف الكنانة والسهام عتاد القوس.

وقد أعمل أوس فكره، وأجهد نفسه، وجود صورته الفنية، ورعاها بالتهذيب والتثقيف، ورسمها في أناة وصبر، فجاءت لوحة فنية رائعة نالت إعجاب ابن قتيبة فقال «إن أوساً من أوصف الناس للسلاح ولا سيما القوس».[1]

واتسع شعر أوس لكثير من اللوحات الفنية، في الحرب وعتادها، وفي قصيدته اللامية نجد لوحة فنية مماثلة للتي ذكرناها، ولاصناف الاسلحة نفسها السيف والرمح والدرع والقوس[2].

وهذه صورة للحرب يستغل فيها أوس بن حجر الاستعارة ليقارن بين حرب قومه تميم وحرب القبائل الاخرى[3].

أرى حرب أقوامٍ تدقُ وحربنا ... تجلُ فنعروري بها كلَّ معظمِ
ترى الأرض منا بالفضاء مريضةً ... معضلةً منا بجمعٍ عرعرمِ

فحرب القبائل تدق وتتضاءل، ويضيق نطاقها، ويهون أمرها، وأما حرب تميم فانها تتسع وتتعاظم، وتمتد وتشتد، فيركبون اليها في أصعب أحوالها، ويتقدمون الى الوغى بهذا الجيش العرمرم حتى لترى الأرض مريضة، ترتجف ضعفاً، وتهتز فزعاً، من هذه الكثرة المحاربة التي لا تقوى على حملها.

تلك هي مكانة تميم الحربية، ألم نقل أنها تفوقت في حروبها، وكانت لها عزة منيعة في منازلها؟[4]

ونكتفي بهذه اللوحات الفنية، للحمار الوحشي وللسلاح، ونحن نعلم أن شعر أوس بن حجر يضم لوحات فنية كثيرة في مكارم الاخلاق، والرثاء،

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٠٢
(٢) أوس بن حجر: ديوانه ٩٤-٩٨.
(٣) المصدر السابق نفسه ١٢١.
(٤) انظر شعر الحرب عند تميم.

والهجاء، والطبيعة، وغيرها، من الموضوعات.

واذا كان علقمة التميمي بداية مدرسة الصنعة فإن أوس بن حجر التميمي قد استوعب سمات هذه المدرسة، وراح يثبت دعائمها، ويقوي أصولها، ويوفر لها كل أسباب «الحياة»، وظل أوس رائداً كبيراً من روادها واستاذاً عظيماً بين أساتذتها.

* * *

والشاعر الثالث في «مدرسة الصنعة» من شعراء تميم هو سلامة بن جندل فسلامة شاعر فحل، يحكم صنعة الشعر، ويتقن عمله الفني، ويفرغ له يجوده وينقحه ويستوفي مقوماته، وقد أشار القدماء الى مقدرته الفنية، واحكامه لصنعته الشعرية، فوصفوه مع الشعراء الفحول[١]، وذكروا أشعاره المحكمة[٢] ويكون سلامة ـ في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ـ واحداً من فحول تميم الذين راحوا يدفقون في «نهر الصنعة» العظيم روافدهم الفياضة.

وفي شعر سلامة لوحات فنية يمتحها من الطبيعة، ويستغل فيها التشبيه التمثيلي كما نرى في لوحة حمار الوحش من خلال تشبيه ناقته به[٣].

صخبُ الشوارب والوتين كأنه ... مما يغردُ موهناً بخناقِ
في عانةٍ شُسُب أشدَّ جحاشها ... شزبٍ كأقواس السراء دقاقِ
فترى النعاج بها تمشي خلفةً ... مشي العبادين في الأمواقِ
يسمرن وحفاً فوقه ماء الندى ... والنبتُ كل علاقةٍ ونطاقِ

فالحمار الوحشي بعد أن غادر الربيع، بدا ضامراً هزيلاً، يطلق النهاق من الأعماق، متهدجاً صاخباً، كأنما امتدت اليه يد الخناق، وأمامه صغاره من الاتن الهزيلة، وقد بدت كالأقواس الدقيقة، وحوله نعاج الوحش تسمر من نبات بلله الندى، وزهت ألوانه، وتتمشى في حركة دائبة، ذاهبة آتية، في

---

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١/١٥٥.
(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٧٢.
ابن طباطبا: عيار الشعر ٤٨.
(٣) سلامة بن جندل: ديوانه ١٤٣.

مرح ومسره، وكأنها العباديون يمضون في اخفافهم الطويلة.

فهذه اللوحة ـ من الطبيعة الفاتنة ـ صاخبة الأصوات، نشيطة الحركات، مركزة الالوان. ولذا جاءت نابضة بالحياة، بارعة الرسم، متقنة العمل الفني. فهي لوحة سلامة الذي أحكم رسمها فبدت لوحة فنية رائعة.

وسلامة شاعر فارس، فكثرت في أشعاره لوحات الحرب والفروسية ففي احدى هذه اللوحات يصور لنا حصانهُ السريع في رسم أخاذ، ووصف دقيق، مستخدماً التشبيه التمثيلي والاستعارة[1].

من كل حَتٍ اذا ما ابتلَّ ملبدهُ	ضافى السبيبِ، أسيل الخد، يعبوبِ
في كلِّ قائمة منه اذا اندفعت	منه أساو كفرغ الدلو أثعُوبِ
كأنّه يرفئيٌّ نام عن غنمٍ	مستنفرٍ في سوادِ الليلِ مذؤوبِ
تم الدسيعُ الى هادٍ له بتعٍ	في جؤجؤٍ كمداك الطيب مخضوبِ
تظاهر النى فيه فهو مُحتفلٌ	يعطي أساهيَّ من جرى وتقريبِ
يحاصرُ الجُونَ، مخضراً جحافها	ويسبق الالف عفوا، غير مضروبِ

في هذه اللوحة يصور لنا سلامة سرعة الحصان، وهذه السرعة تتطلب وصفاً «معيناً» ولذا دقق الشاعر في رسم أبعاد هذا الوصف للحصان، فالخد اسيل طويل، والشعر سابح على الناصية والذنب، والأصل عريق، والنخرة واسعة، والعنق مشرف، والصدر أملس ملاسة مداك الطيب، والقوائم تصب الجري كأنها دلو أفرغت في سواقي الأرض، وأسرعت تتدفق فيها، فهو حصان لاهب السرعة، يعطي فنوناً من الجري، فيباري الحمر الوحشية ـ أبان امراعها ـ ويأتي سابقا لالف من الجياد دون هياج سوط، وبعد هذا يصور سلامة يقظة حصانه وحدة بصره الى جانب سرعته، فيشبهه براعٍ فزع من نومه الى اغنامه التي دهمها الذئب في غيهب الليل، فهب ـ هذا الراعي ـ يدفع عن أغنامه، غائلة الموت، ويجمع شتاتها، ويعيد اليها ما فقدته من أمنها.

(١) سلامة بن جندل: ديوانه ٩٨. حت: جواد سريع، سبيب: شعر الناصية، اسيل: سهل، يعبوب: سريع، أساوِ: دفعات، اليرفى: الراعي، مذؤوب: وقع الذئب في الغنم، الدسيع: العنق، بتع: طول، اساهي: فنون الجري، الجون: القطا.

وقديماً أبدى ابن قتيبة إعجابه بوصف سلامة بن جندل لحصانه[1].

وهذه لوحة فنية، اتسعت لغزير من التفصيلات والجزئيات وكثير من الحركات والألوان والأصوات صور فيها سلامة بن جندل معركة من معارك قومه تميم مستخدماً التشبيه التمثيلي والاستعارة[2].

وكأن النعامَ باضَ فوق رؤوسهم ... بنهي القذاف أو بنهي مُخفقِ

ضممنا عليهم حافتيهم بصادق ... من الطعن حتى أزمعوا بتفرقِ

كأن مُناخاً من قيونٍ ومنزلاً ... بحيث التقينا من أكف وأسوقِ

كأنهم كانوا ظباء بصفصف ... أفاءت عليهم غيبة ذات مصدقِ

كأن اختلاء المشرفي رؤوسهم ... هوىٌّ جنوبٍ في يبيسٍ مُحرقِ

فمن يك ذا ثوبٍ تنله رماحنا ... ومن يك عرياناً يوائلُ فيسبقِ

فالشاعر يصور خوذ الجيش، ثم طعن الرماح، ثم فرار الاعداء، فالخوذ البيضاء على هامات الجند، كأنها بيض النعام ملاسة واستدارة، وهذا الجيش أذهله الطعن ينهال عليه من كل حدب وصوب، فتدافعت جوانبه تسحق بعضها، وتساقطت الاشلاء، وتمزقت الأعضاء، وتناثرت على ساحة القتال مبعثرة بعثرة أدوات وامتعة الحدادين، ويفر الأعداء كأنهم الظباء في المطر الغزير، ويتابع السيف الفارين يحصد رؤوسهم حصيد نار لعبت بها الريح في يابس من النبات، والرماح تحفز المحاربين وتطعن حملة السلاح، أما الذين فقدوا سلاحهم فقد سبقوا غيرهم في مضمار الهزيمة.

ويستعين سلامة بن جندل بالتشبيه التمثيلي ليرسم لوحة فنية للخمر من خلال تشبيه رضاب صاحبته بها[3].

وكأن ريقتها اذا انبهتها ... كأس يصفقها لشربِ ساقي

صرفٌ ترى قعرَ الإناءِ وراءها ... تُودي بعقل المرء قبل فُواقِ

ينسى للذتها أصالة حلمهِ ... فيظلُّ بين النومِ والإطراقِ

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٧٢.

(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ص ١٦٨.

(٣) سلامة بن جندل: ديوانه ١٣٥.

لقد استطاع سلامة أن ينفذ من وراء هذا التشبيه الى رسم هذه اللوحة الفنية بكل تفاصيلها، وجزئياتها، ولمساتها الأخيرة، فسجل فيها صفاء الخمر التي راح الساقي يكسر حدتها، ويطيب من مذاقها فيمزجها بالماء، ويتركها تصفو حتى لتبدو قعر الإناء من خلال هذا الصفاء، ولم يترك الشاعر هذه اللوحة وإنما راح يضع لمساتها الأخيرة فسجل صورة ذلك الرجل الذي تناولها، فهو ضائع الاتزان، فاقد الصواب يترنح بين النوم والاطراق.

وهذه لوحة أخرى يصور فيها سلامة عزة تميم واباءها، وسيادتها بين القبائل، مستعيناً بالتشبيه التمثيلي في رسم هذه الصور، وتنسيق اجزائها.

فعــزُّتنـــا ليســـت بشعـــبٍ بحرَّة ولكنهـــا بحرٌ بصحـــراء فيهـــقَ
يقمـصُ بـالبـوصى فيـه غـواربٌ متى ما يخضها ماهـرُ اللـج يغـرقِ
ومجدُ معـدٍ كـان فـوقَ علايــةٍ سبقتـا بـه إذ يـرتقـون ونـرتقـي

فعزة تميم بحر مترامي الأطراف، فسيح الارجاء، متلاطم الأمواج، يغمر بعبابه وهديره كل قبيلة تسول لها نفسها تحدي هذا البحر العنيف، ويكون شأن القبيلة المتحدية شأن ملاح ماهر راح يخوض عباب هذا البحر فابتلعه الموج.

وهذا المجد العظيم الذي ناضل التميمون للفوز به، فسبقوا القبائل الاخرى اليه، وركزوا علم سيادة القبيلة وعزتها فوق جبل علاية.

إنها صورة دافقة بالحركات والأصوات، عنى بها سلامة، وحرص على تفاصيلها وجزئياتها، فجاءت لوحة فنية رائعة في لوحات مدرسة الصنعة التميمية.

* * *

ومن شعراء مدرسة الصنعة التميمية الأسود بن يعفر النهشلي وهو شاعر فحل، يجود شعره، ويعتني بصنعته، وذكر القدماء مطولته الدالية، واعتبروها

من جياد الشعر، وروائع حكم العرب[1].

وفي شعر الأسود لوحات فنية أطولها لوحة الحيوان الوحشي التي مدد صورتها، وفصل اجزاءها، ودقق في أوصافها، حتى استغرقت قصيدة كاملة في لوحات الحيوان الوحشي عند أوس بن حجر.

والأسود بن يعفر يستعين كذلك بالتشبيه التمثيلي والاستعارة، ليرسم لوحة الثور الوحشي من خلال تشبيه ناقته به.[2]

كـأنـهُ نـاشـطُ هـاجَ الكلابُ بـهِ　　من وحشِ خطمة في عرنينـه خنسُ

فاجتـابها وهـو يخشى أن يلـطَّ بـه　　خـوفٌ على أنفـه والسمـعُ محترسُ

حتى اذا مـا انجلـت ظلماء ليلتـه　　عند الصباح ولم يستـوعـبِ الغلسُ

وفـاجـأتـه سرايـا لا زعيم لها　　يقدمـن أشعـثَ في مـاريـة طلسُ

معصبـاً مـن صبـاح لا طعـام لـه　　ولا رعيـة الا الطـوفُ والعسسُ

فكـر يحمـي بـروقيـه حقيقتـهُ　　بـه عليهـن اذا ادركتـه شمسُ

ما ان قليلاً تجلى النقع عـن سنـد　　وزارع غير مـا أن صـادَ منبجسُ

ومن دفافٍ تحيتُ الجنـب نـافـذةً　　حمراءُ يخرج مـن حـافـاتها النفسُ

ثم تـولّـى خفيفـاتٍ قـوائمـه　　بالسهل يطفو وبـالصحـراء يملسُ

فالشاعر يسجل حركات هذا الثور، وقد نشط يجتاب حبالاً من الرمل، خائفاً يتلفت وتلحق به سحابة مطيرة، وقد أسدل الليل ستائره الكثيفة، فيأوي الى صريمه رمل، ولكن الخوف يفترس أمنه، فلا يعرف للنوم طعماً، حتى اذا أسفر الصبح هب واقفاً، يستأنف رحلته، ولكن الخطر يباكره بسرايا الكلاب الضارية تتقدم صياداً مهزولاً، رث الثياب، لا صنعة له الا مطاردة الحيوان الوحشي ليل نهار.

ويطلب الثور النجاة، فاذا اعمده النقع تتصاعد خلفه، واذا الكلاب تفري

---

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١/١٤٧.
الاصفهاني: الأغاني ١٣/١٥.

(٢) الأسود بن يعفر: ديوانه ٤٠.

الجري في اللحاق به، ويقف الثور، ويبرز قرنه حربة يطعن بها أجواف الكلاب، حتى اذا تصببت دماؤها، وتمزقت أشلاؤها، وتراجعت بقيتها، مضى الثور في نشوة النصر، يستأنف الرحلة من جديد، فيبدو في السهول، ويختفي في الصحراء.

وقد لون الأسود هذه اللوحة بالوانه الزاهية، وسجل حركاتها العنيفة، وأصواتها المتهدجة، فجاءت لوحة فنية من لوحات مدرسة الصنعة التميمية.

ونجد الأسود يستخدم أيضاً التشبيه التمثيلي والاستعارة، ويركز الألوان والحركات فيرسم لوحة فنية للخمر من خلال تشبيه رضاب صاحبته بها[1].

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت   صرفا تخيرها الحَانونَ خرطُوما
سُلافة الدّن، مرفوعاً نصائبُهُ   مقلد الغفو والريحان ملثوما
وقد ثوى نصف حول أشهر جدداً   ببابِ أفأن يبتارُ السلاليما
حتى تناولها صهباء صافيةً   يرشو التجار عليها والتراجيما

فالأسود يشبه رضاب صاحبته أسماء بهذه الخمر البكر الصافية المعتقة وقد تخيرها الخمار من سلافة دن تغمره اغصان الريحان، وتحفهُ اعواد الطيب في «مخزنه» فكانت خمراً صهباء صافية ولم يرفع الشاعر ريشته عن هذه اللوحة حتى سجل لنا حركة هذا الرجل الدائبة الطويلة، اذ مكث أكثر من نصف عام يحتال في شراء الخمر، متنقلاً في أماكن «خزنها»، يرشو التجار والمترجمين.

وهكذا نجد الأسود بن يعفر واحداً من أولئك الذين اهتموا بصنعة شعرهم في مجموعة شعراء مدرسة الصنعة التميمية.

ويستغل ثعلبة بن صعير المازني تشبيه التمثيل، فيرسم لنا لوحة فنية لظليم نافر، يحرك جناحيه، وقد شبه به ناقته، وما اكتنف جانبيها من العيبة والفتان[2].

---

(١) الأسود بن يعفر: ديوانه ٦٠.
(٢) د. المعيني: شعر بني تميم ٣٧٩.

وكأن عيبتها وفضل فتانها	فننان من كنفى ظليم نافر
يبري لرائحة يساقط ريشها	مر النجاء سقاط ليف الآبر
فتذكرت ثقلاً رثيدا بعدما	ألقت ذكاء يمينها في كافر
طرفت مراودها وغرد سقبها	بالاء والحدج الرواء الحادر
فتروحا أصلا بشد مهذب	ثر كشؤبوب العشي الماطر
فبنت عليه مع الظلام خباءها	كالاحمسية في النصيف الحاسر

وننظر في هذه اللوحة وقد مالت الشمس للمغيب، وتوارت أشعتها عن نهر كافر، فنرى الظليم وانثاه، وتتذكر النعامة بيضها، ويتناهى اليها صوت رألها، وهي في هذا المرعى البعيد فتحرك جناحيها وتستعد للعودة، ثم تمضي مع ظليمها عائدين في سرعة مشدودة، وكأنها شأبيب غيث عند المساء، وانظر الى هذه النعامة وهي تحاول مباراة ظليمها، فتزيد من سرعتها، والظليم يغريها، فيتساقط ريشها كما يتساقط ليف النخلة الذي القى به مصلح النخل للتلقيح. ويدركان أدحيها وتجثم النعامة على بيضها وتمد جناحيها، وكأنها تبني خباء متيناً، يدرأ الاخطار عن هذا الرثيد، ويوفر له دفئاً ملائماً.

ولم يرفع الشاعر ريشته عن هذه اللوحة وانما راح يصور لنا هذه النعامة وكأنها احمسية حسناء ألقت نصيفها وكشفت عن وجهها، فبان حسنها وجمالها وبدت بيضاء جميلة تحت أستار الظلام الكثيفة.

انها لوحة فنية سجل ثعلبة كثرة الحركات فيها ومضى بأوصافها الى جانب لونها، فامتدت واتسعت للتفاصيل والاجزاء، وكانت واحدة من لوحات شعر مدرسة الصنعة التميمية.

* * *

ويرسم المخبّل السعدي صورة فنية يتناول فيها وجه صاحبته الرباب مستعيناً بالتشبيه التمثيلي ومعتنياً بالتفاصيل والجزئيات[1].

---

(١) د. المعيني: شعر بني تميم ٣٥.

وتريك وجها كالصحيفة لا ظمآن مختلج ولا جهم
كعقيلة الدر استضاء بها محراب عرش عزيزها العجم
اغلى بها ثمناً وجاء بها شخت العظام كأنه سهم
بلبانه زيت واخرجها من ذي غوارب وسطه اللخم
أو بيضة الدعص التي وضعت في الارض ليس لمسها حجم
سبقت قرائنها وادفأها قرد الجناح كأنه هدم
ويضمها دون الجناح بدفه وتخصهن قوادم قتم
لم تعتذر منها مدافع ذي ضال ولا عقبٌ ولا الزخّمُ

فالمخبل يشبه وجه صاحبته بالصحيفة الملساء المصقولة، فلا يتهدل اللحم أو يتضخم في وجهها، وليست ضامرة هزيلة، وإنما ترى وجهاً أملس ناعماً.

ثم يشبه وجهها مرة ثانية بالدرة النفيسة التي يشتريها العزيز بثمن كبير، ويعرضها في صدر مجلسه، وهي درة من بحر متلاطم الامواج، وقد عانى بحار ماهر في استخراجها، فترى هذا البحار نحيفاً ودقيقاً، ليكون أسرع في اختراق الموج، واستخراج اللؤلؤ والدرر من الأعماق.

ثم يعدل عن الصحيفة والدرة، فيشبه وجهها ببيضة النعام التي لا نتوء فيها، ولا أخاديد لها، وتكون أول بيضة للنعامة تدفنها في الرمال وتحتل أفضل مكان تحت جناح النعامة الأقتم، وهي من بيض مناطق الضأل والزخم والعقب المشهورة ببيضها.

ففي هذه اللوحة شبه الشاعر وجه صاحبته ثلاث مرات: مرة بالصحيفة الملساء، وثانية بالدرة المتألقة، وثالثة بالبيضة المستديرة، ولذا تبرز أمامنا صورة وجه أملس ناعم، يتألق جمالاً، ويستدير حسناً وبهاء.

هكذا يرسم المخبل لوحاته الفنية بدقة وعناية، يحرص على التفاصيل ويسجل الجزئيات، وتتمازج الخطوط والالوان والحركات، وتكون هذه اللوحة الفنية من لوحات مدرسة الصنعة التميمية.

وكذلك يستغل عبده بن الطبيب التشبيه التمثيلي ليقدم لنا هذه اللوحة الفنية للثور الوحشي من خلال تشبيه ناقته به[1].

كـأنها يـومَ ورد القـومِ خـامسةً ... مسـافـرٌ اشعـبُ الروقين مكحـولُ
مجتابُ نصعٍ جـديـدٍ فـوق نقبتـه ... وللقـوائـمِ مـن خـالٍ سراويـلُ
مسفـعُ الوجـه في ارسـاغـهِ خـدمٌ ... وفــوق ذاك الى الكعبين تحجيـلُ
بـاكـره قـانـص يسعـىَ بـاكلبـه ... كـأنَّـه مـن صلاء الشمس مملـولُ
يأوي إلـى سلفـعٍ شعثـاء عـاريـةٍ ... في حجرها تولب كالقردِ مهـزولُ
يُشلي ضَـواري اشبـاهــاً مجوّعـة ... فليس منهــا اذا امكــن تهليـلُ
فضمهــــن قليلاً ثم هـــاج بها ... سفـعٌ بــآذانها شــنٌ وتنكيــلُ
فانصاع وانصعن يهفو كُلها سـدكٌ ... كـانهَّن مــن الضُمــرِ المزاجيـلُ
فاهتز ينفـضُ مدريين قد عتقــا ... مخاوضٌ غمــــراتِ الموت مخذولُ
شروى شبيهين مكروبـاً كُعُوبهما ... في الجنبتينِ وفي الاطرافِ تـأسيـلُ
كلاهما يبتغـي نهـك القتــال بـه ... ان السلاح غــــداة الروعِ محمولُ
يخالسُ الطعنَ ايشـاغـاً على دهشٍ ... بسهلـب سنخـه في الشـأن ممطـولُ
حتى اذا مضَّ طعناً في جـواشنهـا ... وروقهُ من دمِ الأجـوافِ معلـولُ
ولي وصرعن في حيـث التبسن بـه ... مضرجـات بــاجـراح ومقتــولُ
كـأنـه بعـد مـا جـدّ النَّجـاة بـه ... سيفٌ جلا متنه الأصنـاعُ مسلـولُ
مستقبلَ الريحِ يهفـو وهـو مبتركٌ ... لسانه عـن شمالِ الشـدق معـدولُ

لقد رسم لنا الشاعر في هذه اللوحة الكبيرة ثوراً وحشياً، وقد راح يلون أجزاء جسمه، فالعينان مكحولتان، والوجه أسفع، وفي القوائم وشوم، وفي الأرساغ بياض، وعند الكعبين سواد، ثم أبانهُ الشاعر لنا في صورة أخرى، فاذا هو يرتدي ثوباً أعلاه أبيض، وأسفله مخطط بخطوط سود وحمر.

(١) عبده بن الطبيب: شعره ٦٥، اشعب: ذو قرنين، محكول: أسود العين، مجتاب: لابس، نصع: أبيض، السفعة: سواد يضرب الى الحمرة، خدم: بياض، تحجيل: سواد، مملول: موضوع في الجمر، سلفع: جرئية بذيئة. تولب: ولد الحمار، يشلي: يدعو، السدك: الملازم للشيء، المدريان، القرنان، التأسيل: الاستواء، شروى: مثل. الايشاع: القليل، سلهب: طويل الجواشن: الصدور، مبترك: معتمد في سيره لايترك جهداً

ونرى في هذه اللوحة صياداً هزيلاً نحيفاً، وزوجة شعثاء، تمزق ثوبها، وتجعد شعرها وطفلاً مهزولاً، فارقته نضارة الطفولة، يتلوى جوعاً، وماذا نرى أيضاً؟ الكلاب الضاريات، فما ان يراها الثور حتى يلوذ بالفرار، ولكنها له بالمرصاد فتنشط لادراكه، وتستيقظ في الثور عزة النفس فيقف، ويبرز قرنيه كرمحين، يستعد بهما للقتال، وتبدأ معركة الحياة، ويطعن الثور جواشن الكلاب طعنات متلاحقة، فيمزق صدورها، وينهل قرونه من أجوافها.

ونراها وقد تساقطت الى الأرض، بعضها يتلوى من الجراح، وبعض آخر فارق الحياة، أما الثور المنتصر فمضى يسابق الريح، وكأنه سيف أجيد جلاؤه حتى اذا ما ابتعد، وقف يستبرد جوفه، وقد مد لسانه يلهث من الاعياء ويتلذذ حلاوة النصر.

ولم يبخل الشاعر على هذه اللوحة بمختلف الألوان والأصباغ، فهو مبهور بهذا الثور، يلونه تارة بالأبيض، وتارة أخرى بالأسود، وهو معجب أشد الإعجاب ببراعته في القتال، وضرباته المتلاحقة وطعناته المتتابعة، واللون المناسب هنا حمرة الدماء.

وهكذا تتمازج الألوان، وتتداخل الخطوط، ويوفر الشاعر للوحته كل مقومات العمل الفني في الاجزاء والتفاصيل، ويتعاون اللون، والحركة، والصوت، في تكامل معالم هذه اللوحة الرائعة من لوحات مدرسة الصنعة التميمية.

ويستغل ضابىء بن الحارث التشبيه التمثيلي ليقدم لنا هذه اللوحة الرائعة لحمار وحشي من خلال تشبيه ناقته به.[1]

كأني كسوت الرحل اخنس ناشطا	احم الشوى فردا باجاد حوملا
رعى من دخوليها لعاعا فراقه	لدن غدوة حتى تروح موصلا
فصعد في وعسائها ثمت انتحى	إلى أحبل منها وجاوز احبلا

(١) انظر في شعر بني تميم ٣٦٢.

فبات الى ارطاة حقف تلفه ... شآمية تذرى الجمان المفصلا
يوائل من وطفاء لم ير ليلة ... اشد اذى منها عليه وأطولا
وبات وبات الساريات يضفنه ... الى نعج من ضائن الرمل أهيلا
شديد سواد الحاجبين كأنما ... اسف صلى نار فأصبح اكحلا

وفي هذه اللوحة نرى ثوراً وحشياً، أخنس الأنف، أسود الأطراف، يتجول في المرابع، ويرعى من منطقة أجاد التي تكثر فيها آبار الري، وهذا الثور يأكل من كلأ بكر لم تطأه اقدام حيوان الوحش بعد، حتى إذا رعى وتربع عاد يتمشى وئيداً بين حبال الرمل، وقفاف الصحراء، ونراه يتجاوز حبالاً، ويمضي في حبال ممتده أمامه، وبينما هو سائر تفجأه غيمة وطفاء تذرى جمانا مفصلا، ويطلب النجاء، ويلتمس مكاناً يأوي اليه، وليس غير ارطاة حقف من الرمل، ولكن السحب تتوالى والأمطار تتابع، وما الحيلة؟ ويترك الثور الأرطى الى ضائن من الرمل ويبيت ليلة مضنية، عانى من طولها، وشدة بردها، وسح مطرها.

ولا يرفع الشاعر ريشته قبل أن يسجل لمسة أخيرة لمنظر هذا الوحش بعد أن ارخى الظلام ستائره الكثيفة، فإذا بنا نتحسس هذا الثور الأسود وكأنما ذر على حاجبيه سواد الوقود، يبيت إلى ضائن الرمل، وقد انهارت جوانبه على الثور، وكأنها دثار أبيض لذلك الثور الأسود.

ويتابع الشاعر رسمه لهذه اللوحة فهي لم تنته بعد، وإنما يطل فجر جديد وينهض الثور يواصل رحلته بين حبال الرمل، وإذا به يفاجأ بخطر جديد من صائد يقود كلاباً يتقدمها كلبان «عطاف» و «اجبل»، ويلوذ الثور بالفرار وتهبّ في إثره الكلاب، كأنها يعاسيب النحل، ثم يقف وقد عزَّ عليه أن يُرى هارباً منها، فإذا به يشحذ سلاحه، ويتقدم من الكلاب، يمارس فيها صراعاً مريراً، يمزق الأجواف، ويطعن المقاتل، وها هي الكلاب تتساقط سقاط حديد القير، كلباً تلو الآخر، وينتصر الثور، ويندفع مسرعاً، كسيف نضا غمده، وتناوله الصيقل يعيد ثقافه، وأنظر الى هذا الثور، وقد مضى بعيداً

عن ساحة القتال فهو يتمهل، ويعود الى طبيعته الأولى، ينعم بنشوة النصر وسط قفاف الرمال.

فصبحه عند الشروق غديه ... أخو قنص يشلى عطافاً واجبلا
فلما رأى أن لا يحاولن غيره ... أراد ليلقاهن بالشر أولا
فجال على وحشيه وكأنها ... يعاسيب صيف اثره إذ تمهلا
فكر وما أدركنه غير أنه ... كريم عليه كبرياء فاقبلا
يهز سلاحاً لم ير الناس مثله ... سلاح أخي هيجا أدق وأعدلا
فمارسها حتى إذا أحمر روقه ... وقد عل من أجوافهن وأنهلا
يساقط عنه روقه ضارياتها ... سقاط حديد القين اخول اخولا
فضل سراة اليوم يطعن ظله ... بأطراف مدريين حتى تفلّلا
وراح كسيف الحميري بكفه ... نضا غمده عنه واعطاه صيقلا
وآب عزيز النفس مانع لحمه ... إذا ما أراد البعد منها تمهلا

وهكذا تتسع هذه اللوحة الكبيرة لحركة صاخبة، وقتال مرير، وهرير وأصوات، ودماء تتصبب، فهي لوحة تمازجت فيها الألوان، وزخرت بأعنف الحركات، ولم يبخل الشاعر على لوحته فوفر لها كل المقومات الفنية من ألوان وأصوات، وحركات، واعجب ابن قتيبة بهذه اللوحة الفنية وسجل لضابىء سبقه وتفوقه فيها وتنضم هذه اللوحة الى سائر اللوحات الفنية في مدرسة الصنعة التميمية.

* * *

وكذلك يفعل متمم بن نويرة، فيمضي في السبيل الذي سلكه قبله الشعراء التميميون مستعيناً بالتشبيه التمثيلي في رسم لوحته الفنية ـ لحمار الوحش ـ[١] وهي لوحة ممتدة طويلة اعتنت بالتفاصيل والجزئيات وتكاملت فيها الخطوط والألوان واستوعبت أعنف الحركات والمطاردات وكانت لوحة فنية.

ونجد صورة لدلو السانية عند متمم بن نويرة من خلال تشبيه دموعه المتتابعة بماء هذا الدلو.[٢]

(١) متمم ومالك: شعرهما ٩٥.
(٢) المصدر السابق نفسه ١٠٢.

اذا عبرةٌ ورّعتهـــا بعـــــد عَبرةٍ	أبَـت واستهلّت عَبْـرةٌ ودُمـوعُ
كما فاضَ غَربٌ بينَ أقـرُنِ قـامـةٍ	يُـــروّى ديـــارا مـــاءه وزروع
جديدُ الكلُى واهـيِ الأديمِ تُبينُـهُ	عـن العِبر زوراءُ المقـامِ نَـزوعُ

فعلى هذه البئر نشاهد دلواً عظيمه بين حبلي البكرة وتفرغ الدلو ماءها ليندفع مسرعاً في سواق الى أصول الأشجار والمزروعات، وهي دلو واهية الأديم ليكون أجدى إلى إسالة الماء من ثقوبها باندفاع وغزارة.

ولئن كانت هذه اللوحة أقصر امتداداً من لوحة «الحمار الوحشي» إلا أنها لوحة تعني بالتفاصيل، وتسجل الحركات، وتستخدم التشبيه التمثيلي طريقاً إلى الصور الحسية.

وتظل لوحة الحمار الوحشي، ولوحة دلو السانية، وغيرها من لوحات شعر متمم لوحات فنية بين لوحات مدرسة الصنعة التميمية.



ونجد مثل هذه اللوحات الفنية عند شعراء آخرين من تميم أمثال عدي بن زيد، ولقيط بن زرارة، وعمرو بن الأهتم، والكلحبة اليربوعي، وعميرة بن طارق، وعبد القيس بن خفاف، وحريث بن محفض، وضمرة بن ضمرة، وأوس بن غلفاء، وطريف بن تميم، وغيرهم. ونعترف بأن هؤلاء كانوا أقل تحبيراً واعتناء بصورهم ممن ذكرنا في مدرسة الصنعة التميمية.

وأما البقية من شعراء تميم الذين وردت لهم أبيات ومقطوعات فهؤلاء أكثرهم من الشعراء الفرسان، ونحن ندرك أن الشاعر الفارس سريع الحركة، يأتي شعره وميضاً خاطفاً، واندفاعاً لاهباً، إذ لا وقت لديه في رسم صور فنية متأنية، وإنما هو يسوق أغراضه، ويباشر موضوعاته في تعبير سهل، وتصوير بسيط.

ويتضح لنا في كل ما ذكرنا من اللوحات الفنية لأصحاب المطولات الشعرية من شعراء مدرسة الصنعة التميمية أن هذه المدرسة بدأت بعلقمة

الفحل التميمي، وجاء بعد علقمة أوس بن حجر التميمي رائد هذه المدرسة فهي والأمر كذلك مدرسة تميمية البداية والريادة.

فقد راح أوس بن حجر يدّعم مقومات الصنعة الفنية، ويرسّخ سماتها الأساسية ويوّفر لعمله الفني كل أسباب النهوض والمنعة، فامتدت عنده الصور الحسية واتسعت لغزير من التفاصيل، والجزئيات، واستوعبت الكثير من الألوان، والحركات، والأصوات، حتى أصبحت تلك الصور الفنية قصيدة كاملة، فكان أوس استاذاً لكل شعراء تميم - وغير تميم - في الصور الفنية - للحيوان الوحشـي، وسار على دربه شعراء تميم فاحتلت الصور الفنية للحيوان الوحشي قصيدة كاملة عند الأسود بن يعفر، وعند ضابىء بن الحارث، وعند المخبل السعدي، وأخذت الصور الفنية للحيوان الوحشي أكبر أجزاء المطولة الشعرية عند عبده بن الطيب، ومتمم بن نويرة، وعدي بن زيد، وغيرهم، وإذا كان أوس بن حجر رائداً في صور الحيوان الوحشي وغيرها من الصور الأخرى، فإن علقمة الفحل كان بداية في صور الظليم والخمر والسانية والظعن، وسار على منهجه من شعراء تميم الأسود بن يعفر وثعلبة بن صعير والمخبل ومتمم بن نويرة وغيرهم.

وهكذا فإن شعراء تميم اعتنوا بتجويد شعرهم، ورسموا صورهم الحسية في أناة وجهد، وبعد تحقيق وتدقيق، واتخذوا من التشبيه التمثيلي والاستعارة طريقاً الى هذه الصور، وحرصوا على التفاصيل والجزئيات، وسجّلوا الحركات والأصوات وركّزوا الألوان، وذكروا المكان والزمان وكانوا أصحاب صياغة قوية وعاطفة جياشة، فجاءت صورهم لوحات فنية رائعة كما رأينا.

ولأن شعر تميم - كما سنرى - شعر مطولات تحرص على مقدماتها، والمطولة تتسع للتهذيب والتجويد، والمقدمة تعنى بالتحبير والتثقيف فشعر تميم في مطولاته ومقدماته شعر صنعة وشعراء تميم شعراء صنعة ولذا كانت مدرسة الصنعة التميمية.

٣ ـ شعر مطولات:

تكثر في شعر تميم القصائد الطويلة، وجاء هذا الشعر في أكثره من القصائد الطوال التي لا تقل كثيراً عن عشرين بيتاً، والتي تصل في بعضها أحياناً الى ما يقرب من مئة بيت.

ففي ديوان أوس بن حجر كثير من المطولات، وقصيدته التي مطلعها:[١]

تنكر بعدي من أميمة صائف فبرك فاعلى تولب فالمخالف

تصل إلى ستين بيتاً، وقصيدته التي بدايتها:[٢]

صحا قلبه عن سكره فتأملا وكان بذكرى أم عمرو موكلا

تبلغ اثنين وخمسين بيتاً، وقصيدته ـ الميمية ـ[٣] تصل إلى ثمانية وأربعين بيتاً، وقصيدته ـ الرائية ـ[٤] تضم واحداً وأربعين بيتاً. وقصيدته ـ اللامية ـ جاءت في تسعة وعشرين بيتاً، وقصيدته ـ الحائية ـ[٦] في سبعة وعشرين بيتاً، وقصائد أخرى كثيرة في عشرين بيتاً أرقامها في الديوان « ٤٠، ١، ٢، ٢٨، ٤، ٢٦، ١٤ »[٧].

أما بقية قصائد الديوان التي وصلت الينا فتزيد أبيات كل قصيدة فيها على عشرة أبيات، وقسم قليل منها ينقص عن هذا العدد، فإذا ما علمنا أن بعض القصائد بلا مقدمات، وأن مقدماتها ضاعت فإننا نستطيع أن نطمئن الى أن الكثرة من شعراء أوس بن حجر جاءت مطولات شعرية.

ويضم ديوان علقمة بن عبده ثلاث مطولات برواية الأصمعي: الأولى تصل إلى تسعة وثلاثين بيتاً، والثانية الى خمسة وخمسين بيتاً، والثالثة إلى خمسة

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ٦٣.
(٢) المصدر السابق نفسه ٨٢.
(٣) المصدر السابق نفسه ١١٧.
(٤) المصدر السابق نفسه ٣٩.
(٥) المصدر السابق نفسه ٩٤.
(٦) المصدر السابق نفسه ١٣.
(٧) المصدر السابق نفسه ١٠٢، ١، ٥، ٥٧، ١٠، ٥٣، ٢٩.

واربعين بيتاً[1]، أما بقية شعر علقمة برواية القالي[2] فلا يتجاوز بضع مقطوعات لا تزيد أبياتها مجتمعة على ثلاثين بيتاً، الأمر الذي يجعلنا نطمئن الى أن شعر علقمة بن عبده جاء في مطولات.

وفي ديوان سلامة بن جندل ثلاث مطولات[3] هي أيضاً كل أشعاره إذا استثنينا سائر مقطوعاته.

المطولة الأولى جاءت في واحد وثلاثين بيتاً، والثانية في ثلاثة وثلاثين بيتاً، والثالثة في أربعين بيتاً، وفي ديوان سلامة قصيدة جاءت في سبعة عشر بيتاً[4] فإذا ألحقناها بالمطولة الأولى لأنها منها كما في رواية المرزوقي أمكننا أن نزعم أيضاً أن شعر سلامة جاء أكثره في مطولات.

ونجد في ديوان عدي بن زيد أكثر من خمس عشرة مطولة، بلغ عدد أبياتها مجتمعة أكثر من أربعمائة بيت، وهي تشكل غالبية شعر عدي بن زيد، فالقصيدة «رقم ٦»[5] في ديوانه وصلت إلى واحد وخمسين بيتاً، والقصيدة رقم «١٦»[6] الى خمسين بيتاً، والقصيدة «رقم ٢٣»[7] الى تسعة وأربعين بيتاً.

والقصائد ذوات الأرقام[8] «٣، ٥، ٨، ٩» في ديوان عدي تزيد كل قصيدة منها على ثلاثين بيتاً، أما القصائد ذوات الأرقام[9] «٤، ٧، ١١، ١٣، ١٧، ١٣٨» في ديوان عدي فتزيد أبيات كل قصيدة منها على عشرين بيتاً وبقية من قصائد عدي تنقص قليلاً عن عشرين بيتاً[10]، فإذا ما علمنا أن قسماً من هذه القصائد جاءت بلا مقدمات، وأنها أضاعت مقدماتها، أدركنا

(١) علقمة الفحل: ديوانه ٣٣، ٥٠، ٧٩.
(٢) المصدر السابق نفسه ١٠٣ ـ ١١١.
(٣) سلامة بن جندل: ديوانه ٩٠، ١٣٤، ١٥٥.
(٤) المصدر السابق نفسه ٢٢٣.
(٥) عدي بن زيد: ديوانه ٥٠.
(٦) المصدر السابق نفسه ٨٤.
(٧) المصدر السابق نفسه ١٠٢.
(٨) عدي بن زيد: ديوانه ٣٧، ٤٥، ٥٩، ٦٣.
(٩) المصدر السابق نفسه ٤٢، ٥٦، ٦٨، ٧٦، ٩٣، ١٨١.
(١٠) عدي بن زيد: ديوانه ٧٣، ١٨١، ١٧٣، ١٥٨، ١٠٥.

أن شعر عدي بن زيد وصل أكثره الينا في مطولات.

ويضم ديوان الأسود بن يعفر ست مطولات[١]، تحوي أكثر أبيات شعره الذي وصل إلينا، وتصل المطولة الأولى الى ستة وثلاثين بيتاً، وهي القصيدة الرائعة التي ألحقها ابن سلام بأجود الشعر[٢] ومطلعها:[٣]

نـــام الخليُ ومـــا أُحسّ رُقَـــادي   والهمُّ محتَضرٌ لـــديَّ وسَـــــادي

وفي شعر المخبل ثلاث مطولات: ـ الرائية ـ وتبلغ تسعة وأربعين بيتاً، و ـ الميمية ـ وجاءت في أربعين بيتاً، ـ واللامية ـ تصل إلى ثلاثة وأربعين بيتاً.

وفي شعر متمم بن نويره مطولتان: تصل الأولى الى سبعة وخمسين بيتاً ومطلعها:[٤]

لعمرى وما دهرى بتأبينِ هـالـك   ولا جَـزع مما أصـابَ فـأوجَعـا

وجاءت المطولة الثانية في خمسة وأربعين بيتاً ومطلعها:[٥]

صَرَمت زنيبه حبلَ مـن لا يَقطَـعُ   حبـلَ الخليـلِ وللأمـانـة يَفْجَـعُ

وأكثر قصائد متمم الباقية لا تقل عن اثنى عشر بيتاً.[٦]

وفي شعر مالك بن نويرة مطولة واحدة تصل إلى ستة وعشرين بيتاً ومطلعها:[٧]

ألا اكـنْ لا قيـتُ يـوم مخطّـــطِ   فقـد خبَّـر الركبـانُ مـا اتَــوَددُ

ويضم شعره عبْده بن الطبيب مطولةً بلغت واحداً وثمانين بيتاً مطلعها:[٨]

هل حبلُ خولةَ بعد الهجرِ موصـولُ   أم أنتَ عنَها بَعيـدَ الدّارِ مشغـول

وهذه المطولة مع قصيدة أخرى وبضع مقطوعات كل شعر عبده الذي

---

(١) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢١، ٢٥، ٣٨، ٤٨، ٥٣، ٦٣.
(٢) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١٢٣.
(٣) الأسود بن يعفر: ديوانه ٣٥.
(٤) متمم بن نويره: شعره ١٠٦.
(٥) المصدر السابق نفسه ٩٣.
(٦) المصدر السابق نفسه ١٣٤، ١٠٢، ١٣١، ١٢٥، ١٢٩.
(٧) مالك بن نويره: شعره ٥٩.
(٨) عبده بن الطبيب: شعره ٥٧.

وصل الينا.[1]

وفي شعر عمرو بن الأهتم مطولتان تضمان أكثر من نصف أشعاره، تصل الأولى الى ثمانية وعشرين بيتاً ومطلعها:[2]

اجـــــدك لا تلم ولا تــــــزور وقـد بـانـت بـرهنكـم الخدور

وتحوي الثانية ثلاثة وعشرين بيتاً ومطلعها:[3]

الا طـرقـت أسماء وهـي طـروق وبـانـت على أن الخيـال يشـوق

وفي شعر ثعلبة بن صعير مطولة تصل إلى ستة وعشرين بيتاً ومطلعها:[4]

هل عند عمرة من بتـات مسـافـر ذي حـاجــة متروح أو بـــاكــر

ولأوس بن غلفاء مطولة تضم واحداً وعشرين بيتاً، وجاءت بدون مقدمة ومطلعها:[5]

جلبنـا الخيـــل من جنبي اريـــك الى أجلى إلى ضلـــع الرجـــام

ولعميرة بن طارق اليربوعي ثلاث مطولات[6]: الأولى جاءت في ثلاثة وعشرين بيتاً، والثانية في واحد وعشرين بيتاً، والثالثة في خمسة عشر بيتاً، وجميع هذه المطولات عدا مقطوعة واحدة، هي كل شعر عميرة الذي وصل إلينا.

ولضابىء بن الحارث البرجمي مطولة جاءت في أربعين بيتاً، مطلعها:[7]

غشيـــت لليلى رسم دار ومنــــزلا أبـى بـاللـوى فـالتبران يتحـــولا

وتبلغ مطولة عبد القيس بن خفاف البرجمي[8] ثمانية وعشرين بيتاً إذا ما أضفنا إليها مقدمتها التي أوردها صاحب الأغاني والأبيات التي رواها الزوزني

(١) المصدر السابق ٤٢، ٣٨، ٤٠، ٥٤.
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٥.
(٣) انظر شعر بني تميم ٣٥.
(٤) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.
(٥) انظر شعر بني تميم ٤٣٩
(٦) انظر شعر بني تميم ٣٠٣
(٧) انظر شعر بني تميم ٣٤٦
(٨) انظر شعر بني تميم ٣٤٦

ومطلع هذه المطولة كما جمعناها:

يا دارَ عبلة من مشارق مأسل   درس الشئون وعهدها لم ينجل

وفي شعر تميم نجد قصائد تصل إلى خمسة عشر بيتاً، أو تزيد على ذلك قليلاً عند الشعراء ضمرة بن ضمرة[1] والسليك بن عمرو[2] ودختنوس بنت لقيط[3]، وحريث بن محفض[4] وغيرهم.

وإذا ما عرفنا أن قصائد هؤلاء الشعراء وردت إلينا بدون مقدمات أدركنا أنها تزيد على العدد الذي جاءت فيه، وبذلك نطمئن الى أنها من المطولات.

وعندما أجرينا احصاء لكل أبيات المطولات في شعر تميم، وجدنا أن مجموع تلك الأبيات في هذه المطولات يصل إلى اكثر من ثلثي شعر تميم، الأمر الذي يجعلنا نسجل على هذا الشعر ظاهرة ذيوع المطولات فيه.

وهذه الظواهر أسباب تعود إلى أن شعراء تميم - كما ذكرنا - ساهموا مساهمة فعالة في ارساء دعائم المقدمات الشعرية، وشاركوا مشاركة قوية في بناء نظام القصيدة العربية بطولها ومنهجها وغرضها، فلم يتخلفوا عن البناء الفني، ولم يتنكبوا عن المنهج الذي انتظم تلك القصيدة العربية آنذاك، ولهذا جاء شعرهم في قصائد طوال.

والشعراء الفحول في تميم، كانوا يصنعون شعرهم، ويجودون قصيدهم، ويطيلون في أشعارهم، فجاءت قصائدهم مطولات.

والشعر الذي قمت بجمعه جاء كثير منه في مقطوعات[5] لا تتجاوز عشرة أبيات، فبماذا نفسر مجيء هذه المقطوعات ونحن قد سجلنا على شعر تميم ظاهرة ذيوع المطولة فيه؟

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٧٥

(٢) انظر شعر بني تميم ٢٧٥

(٣) انظر شعر بني تميم ٣٧٩

(٤) انظر شعر بني تميم ٤٠٥

(٥) المعنى. شعر بني تميم مواضع متفرقة فيه

والأمر هنا يضعنا بين احتمالات منها: أن هذه المقطوعات من قصائد طويلة ضاعت مقدماتها، وفقدت قسماً من أبياتها، فلم تصل إلينا كاملة وإنما وصلتنا في مقطوعات، وهو أمر يتفق وضياع الشعر الجاهلي بشكل عام. فقصيدة عبد القيس بن خفاف البرجمي والتي بدايتها:[1]

صحـــوت وزايلني بـــاطلي لعمـــر أبيـــك زيـــالا طـــويلا

تصل إلى سبعة أبيات في المفضلية (رقم ١١٧) بينما يذكر صاحب الحماسة البصرية[2] ستة أبيات أخرى من هذه القصيدة ومطلعها:

فهـــذا عتـــادي واني امـــرؤ اوالـي الكـــريم وأجفـــو البخيلا

فإذا ما عرفنا أن مقدمة هذه القصيدة لم تصل إلينا، وأنها ضاعت، أدركنا أن هاتين المقطوعتين، مع المقدمة الضائعة، تشكل كلها قصيدة طويلة.

ونحن ندرك أن الرواة في مثل هذا الضياع يقومون سبباً قوياً من أسباب ظاهرة المقطوعات، فقد حفظوا الكثير من القصائد والمطولات لكثير من الشعراء، فلا نستبعد أن يكون النسيان قد غلب عليهم عند رواية الشعر، أو اختلط الأمر عندهم في قسم آخر منه، فعبثت به أيديهم، وحذفت ما حذفت، ولذا وصل إلينا قسم من أبيات القصيدة الطويلة، وضاع سائر أبياتها، فوصلت إلينا في مقطوعات.

ومن الاحتمالات القائمة أن بعض الرواة كانوا يختارون من القصيدة أبياتاً تفي بحادثة معينة، أو تنهض بخبر هام، أو تدل على غرض معين، فيقتطعون من القصيدة الطويلة، ما يلبي هذا المطلب عندهم، وباقي القصيدة أهمل فعدا عليه الزمان، وطواه النسيان، فضاع ولم يصل إلينا، وكل ما وصلنا من تلك القصائد الطوال مختاراتها فقط، وهذا الاحتمال تنهض شواهده وأدلته في حماسة البحتري[3]، والمؤتلف والمختلف،[4] ومعجم الشعراء[5]، وغيرها من المصادر

(١) المفضل الضبي: المفضليات ٣٨٦ وانظر شعر البراجم من شعر تميم المجموع.

(٢) البصري: الحماسة البصرية ١/٣٧.

(٣) البحتري: الحماسة ٢٩، ١٢٠، ١٢٧، ١٤٨، ١٩، ٢٠، ١٣، ٧٩، ٢٥١، ١٠١، ٣٦ وانظر شعر بني تميم

(٤) الامدي: المؤتلف والمختلف: ١٠٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ١٧٢، ١٥٦، ٢٤٥، ٥٤، ٢١١، ٨٧٢ وانظر شعر بني تميم

(٥) المرزباني: معجم الشعراء: ١٨، ٣٨، ١٧١، ١٧٤، ٢٦٤، ٢٥٨، ١١٥ وانظر شعر بني تميم

الشعرية القديمة.

والواقع أن كل الاحتمالات التي ذكرناها قائمة، لكننا لا نجزم في واحد منها، لأن الكثير من ديوان تميم ضاع ولم يصل إلينا إذ أن الشعراء المعروفين عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراءهم واقف[1].

فإذا عثرنا على نصوص كاملة وقصائد تامة غير التي بين أيدينا، جاز أن نقول بحلول أخرى مريحة، وموافقة ونتوصل إلى نتائج غير التي أمامنا.

وإلى أن نعثر على ديوان تميم الذي لم يصل إلينا، وعلى سائر شعر تميم الذي ضاع ولم نعثر عليه، يبقى الرأي عندي أن تلك المقطوعات التي جاءت بكثرة في شعر تميم قد ضاعت مقدماتها، وفقد الكثير من أبياتها، مما يجعلني أميل الى أن شعر تميم شعر مطولات لا شعر مقطوعات.



وفي شعر تميم[2] الذي قمت بجمعه جانب من الرجز وكثير من الأبيات المفردة، ويكثر الرجز عند لقيط بن زرارة فمن ارجوزته في يوم جبله مخاطباً قومه وقد قادهم الى حرب قيس عيلان:[3]

يا قوم قد احرقتموني باللوم
ولم أقاتل عامراً قبل اليوم
فاليوم إذ قاتلتهم فلا لوم

وارتجز لقيط في يوم الجرف أرجوزه بدأها بقوله:

عرفتكم والدمع من العين يكف[4]
بفارس أتلفتموه ما خلف

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٦٠.
(٢) انظر شعر بني تميم ٣١١
(٣) انظر شعر بني تميم ٣١١
(٤) انظر شعر بني تميم ٣١١

وله أراجيز كثيرة منها واحدة في ابنته دختنوس وأخرى في حصانه وغيرهما[1].

ولقيس بن عاصم أراجيز أيضاً ومنها أرجوزته يوم الكلاب.[2]

لما تولوا عصباً شوازبا

أقسمت لا أطعن إلا راكبا

اني وجدت الطعن فيهم صائبا

ونجد الأراجيز عند الشعراء سعد بن زيد مناة، والأسود بن يعفر، والعنبر ابن عمرو والأحمر بن جندل، وغيرهم.

والأمر في هذه الأراجيز أن أصحابها من فرسان بني تميم ونحن ندرك أن الفارس الشاعر يلجأ الى المقطوعة الشعرية والأرجوزة، إذ لا وقت لديه كي يطيل في القصيدة، ويأخذ في تحبيرها وتجويدها، فلقيط بن زرارة، وعتبة بن الحارث، والأحمر بن جندل، وقيس بن عاصم وغيرهم، من فرسان تميم[3] وقد ورد الرجز في أشعارهم.

والأرجوزة من طابع البادية وهي اللحن الشعبي، وفن الحركة الدائبة، والتنقل المستمر لأهل البادية، كما يذكر استاذنا الدكتور يوسف خليف.[4]

ورجاز تميم أهل بادية، وأهل تطواف وتجوال وترحال، فالأسود بن يعفر طوّف كثيراً وارتحل طويلاً، فاستعان بالرجز[5] وسعد بن زيد مناة في سقايته للإبل استخدم الرجز[6] وأشار الأحبش بن قلع إلى تقصيرُ نضله الأسدي، فاستخدم الرجز[7] ورثى سفيان بن مجاشع ولده فاستخدم هذا اللحن الشعبي من الرجز.[8]

---

(١) انظر شعر بني تميم ٣١١

(٢) انظر في شعر بني تميم: ١٤٣.

(٣) انظر شعرهم في شعر بني تميم.

(٤) دكتور يوسف خليف: الشعر الجاهلي نشأته وتطوره، مجلة عالم الفكر عدد ٤ مجلد ٤ ص ١٦٦.

(٥) الأسود بن يعفر: ديوانه ٢٠، ٣٦.

(٦) انظر شعر بنى تميم ٨٣

(٧) انظر شعر بني تميم ٣٥٧

(٨) انظر شعر بني تميم ٢٥٧

ويبدو أن رجز تميم في الجاهلية، كان مقدمة الى شهرة رجزها في الاسلام فقد بلغ هذا الرجز مستوى عاليا، بفضل رجاز من تميم على رأسهم العجاج وابنه رؤبة.

أما الأبيات المفردة، فمنها ما هو من البدايات الأولى في قديم الشعر وصحيحه، كابيات سعد بن زيد مناة، ومنها ما بقى من قصائد ومقطوعات فقدت سائر أبياتها.

والمقطوعات، والأبيات المفردة، والأراجيز، لا تصل في مجموعها الى ثلث شعر تميم، الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى أن شعر تميم جاء أكثره مطولات.

٤ ـ المقدمات والتصريع:

أرسى شعر الجاهلية ظواهر فنية عريقة، كانت المقدمات الشعرية بأنواعها المختلفة أعرق هذه الظواهر، ولعل المقدمات الطللية والغزلية أكثرها انتشاراً وبروزاً في صدور القصائد الجاهلية. ولكننا نجد شعراء يتنكبون عن سبيل هذه الظواهر التقليدية المتبعة، فيفتحون قصائدهم بالبكاء على الشباب، وذكر المشيب، وما يعانيه المرء من هموم ومتاعب عندما يدبر ربيع العمر، ويقبل خريف الحياة، ونجد أيضاً قصائد بدون مقدمات فلا تستهل بالطلل أو الغزل أو غير ذلك، وإنما تباشر موضوعها وغرضها دونما تمهيد وبلا مقدمات.

وحرص شعر تميم على المقدمات بمختلف أنواعها، واحتلت المقدمات الطللية والغزلية مكاناً فسيحاً فيه، فبائية أوس بن حجر بدأها بمقدمة طللية ذكر فيها ديار تماضر، وقد عفت آثارها، ودرست أطلالها.[1]

حَلّـتْ تماضرُ بعـدَنـا رَببـا ... فـالغَمـرَ فـالمَرِيـنَ فـالشُّعَبـا
شَبّهـتُ آيـاتٍ بقينَ لَهـا ... في الاوّلينَ زَخـارِفـا قُشُبـا

ورائية أوس افتتحها بمقدمة طللية، حدّث فيها عن رحيل أحبته، ومنازلهم المهجورة.[2]

---

(١) أوس بن حجر: ديوانه ١.
(٢) المصدر السابق نفسه ٣٩.

هل عاجلٌ من مَتاعِ الحيِّ منظـورُ		أمْ بيتُ دُومَةَ بعدَ الإلفِ مهْجـورُ
أم هل كبيرٌ بكى لم يقضِ عَبرتَـهُ		إثْرَ الأحِبّـةِ يـومَ البَيْـنِ مَعْـذورُ
قد قُلتُ للّركبِ لولا أنّهم عَجِلـوا		عوجوا عليّ فحَيّـوا الحيَّ أو سيرُوا

وفي فائية أوس يكثر من تعداد منازل صاحبته «أميمه» وقد أصبحت بعد هجرها مسرحا لبقر الوحش ومرتعاً للظباء.[1]

تنكّرَ بعدي مـن أميمَـة صـائِـفُ		فَبركٌ، فأعلى تَوْلَبٍ، فـالَمخـالِـفُ
فَقُّو، فَرَهبى، فالسّليـلُ، فعـاذب		مطافيلُ عوذِ الوحش فيه عواطِـفُ
كأنَّ جـديـدَ الدّار يُنْبيـكَ عنهـم		تقي اليمين، بَعدَ عهدِكَ - حَالِـفُ
بها العينُ والآرامُ ترعـى سِخَـالُهـا		فَطيمٌ ودَانٍ للفِطَـامِ ونـاصِـفُ

وهذه المقدمة الغزلية التي ودع فيها صاحبته لميس، إذ لجّت في خصامها، وصرمت حبل ودها، وكانت ساحرة الوجه، مصقولة العوارض، عذبة الرضاب.[2]

ودع لميس وداعَ الصّـارمِ اللاحـى		إذ فنّكتْ في فَسـادٍ بَعـدَ إصْلاحِ
إذ تَستبيـكَ بمصقـولٍ عـوارِضُـهُ		حمش اللِّثـات عـذابٍ غَيرِ مِمْلاحِ
كأن ريقَتَها بعد الكَـرَى اغتَبَقـت		من ماءِ اصهَبَ في الحانوتِ نَضّاحِ

ولأوس قصائد كثيرة وردت فيها مقدمات غزلية وطللية [3]

ويبدأ علقمة الفحل بائيته بمقدمة غزلية، يحدّث فيها عن هجره لصاحبته الجيداء الرشيقة، والتي بدت كظبي تربيه النساء وتزينه بالحلي.[4]

ذهبتَ من الهجرانِ في غيرِ مذْهَبِ		ولم يَكُ حقـاً كـلُ هـذا التَجنّـب
مبتلّـةٌ كـأن انضـاءَ حلِيهــا		على شادن مـن صَـاحَـةٍ مُتربَّـب

ويستهل قصيدته البائية الثانية بمقدمة غزلية يذكر انصرافه عن صاحبته وبعد عهده بها فلا يستطيع رؤيتها:[5]

(١) المصدر السابق نفسه ٦٣.
(٢) أوس بن حجر: ديوانه ص ١٣.
(٣) المصدر السابق نفسه ٨٢، ٩٤، ١١٧، ١٢٩.
(٤) علقمة الفحل: ديوانه ٣٣.
(٥) المصدر السابق نفسه ٥٠.

تكلفني ليلى وقـد شَـطَّ وَليهـا ... وَعـادَتْ عَـوَادٍ بيننَـا وَخُطُـوبُ
مُنَّعمـةٌ لا يُستطـاعُ كلامهـا ... على بـابها مـن ان تُـزارَ رَقيـبُ

وسلامة بن جندل يبدأ قصيدته ـ القافية ـ بالأطلال التي بليت وأصابها التلف:[1]

هـاج المنـازل رحلـةَ المشتـاق ... دمـن وآيـاتٌ لبثـنَ بَـواقـي
لبسَ الرواسُ والجديـدُ بلاهما ... فَتُـركـنَ مثـلَ المُهْـرق الاخلاقِ

كما يستهل قصيدة قافية أخرى يذكر الأطلال المقفرة.[2]

لمن طلـل مثـلُ الكتـابِ المنمَّـقِ ... خلا عهدُه بين الصُلَيـبِ فمُطْـرِقِ

وافتتح مفضليته برواية المرزوقي ـ بمطلع طللي حدّث فيه عن ديار صاحبته أسماء وقد عفت آثارها.[3]

يـا دار أسماء بـالعليـاء مـن اضم ... بين الدكـادك مـن قـو فمعصـوب
كـانـت لنـا مـرةً داراً فغيّـرهـا ... مرُ الرياحِ لسـاقِـي الترب مجلـوبِ

ويبدأ الأسود بن يعفر قصيدته السينية، بالوقوف على الأطلال، التي عفت رياح الصيف الشديدة عليها.[4]

هل بـالمنـازل ان كلمتهـا خـرس ... أم مـا بيـان اثـاف لينهـا قبس
كالكحـل أسـود لأيـامـا تكلمنـا ... مما عفاه سحـاب الصيـف الرجس

ونجد الوقوف على أطلال سلمى الدارسة في نونية الأسود أيضاً:[5]

أبينـت رسمَ الدار أم لم تُبين ... لسلمى عَفَت بين الكُلابِ وتيْمـنِ
كان بَقايا رسمِهـا بعـدمـا حلّـتْ ... لكا لريحِ منها عـن محل مُـدمَـنِ

---

(١) سلامة بن جندل: ديوانه ١٣٤.
(٢) المصدر السابق نفسه ١٥٥.
(٣) المصدر السابق نفسه ١٨٨.
(٤) الأسود بن يعفر: ديوانه ٣٨.
(٥) المصدر السابق نفسه ٦٣.

وبدأ المخبل السعدي مفضليته بمقدمة غزلية تحدث فيها عن صاحبته الرباب[1]

ذكر الرباب وذكرها سقم فصبا، وليس لمن صبا حلم
واذا ألم خيالها طرفت عيني فماء شؤونها سجم
كاللؤلؤ المسجور أغفل في سلك النظام فخانه النظم

وافتتح مطولته الرائية بمقدمة طللية غزلية حدّث فيها عن ديار صاحبته سلمى في مناطق مخفق وصحار ومدافع الركنين، وقد أصبحت ملاعب للنعاج وبقر الوحش.[2]

أعرفت من سلمى رسوم ديار بالشط بين مخفق وصحار
وكأنما أثر النعاج بجوها بمدافع الركنين ودع جواري

وتصدر الغزل عينية متمم بن نويره فذكر الشاعر انقطاع حبل الود بينه وبين صاحبته زينب.[3]

صرمت زنيبة حبل من لا يقطع حبل الخليل وللأمانة تفجع
ولقد حرصت على قليل متاعها يوم الرحيل فدمعها المستنقع

ونجد هذا الغزل عند عبْده بن الطبيب في مطولته اللامية[4]

هل حبلُ خولةَ بعد الهجرِ موصولُ أم أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مشغولُ
وللأحبّةِ أيامٌ تذكّرُها وللنّوى قبلَ يومِ البَينِ تأويلُ

واستهل عمرو بن الأهتم مفضليته بمقدمة غزلية أيضاً:[5]

ألا طرقت أسماء وهي طروق وبانت على أن الخيال يشوق
بحاجة محزون كأن فؤاده جناح وهى عظماه فهو خفوق

---

(١) انظر شعر بني تميم ٣٥.
(٢) انظر شعر بني تميم ١٠٣.
(٣) مالك ومتمم ابنا نويره: شعرهما ٩٣.
(٤) عبده بن الطيب: شعره ٥٧
(٥) انظر شعر بني تميم ٣٥.

وافتتح ثعلبة بن صعير رائيته بمقدمة غزلية كذلك أعلن فيها رحيله عن صاحبته عمره.[1]

هل عند عمرة من بتات مسافر ذي حاجة متروح أو باكر

سئم الاقامة بعد طول ثوائه وقضى لبانته فليس بناظر

وإذا اكتفينا بما أوردنا من أمثلة للمقدمات الطللية والغزلية وهي كثيرة في شعر تميم تقابِلُنا في هذا الشعر مقدمات جاءت تتحدث عن الشيب والشباب.

فالأسود بن يعفر يفتتح قصيدته البائية بذكر الشيب الذي علا لمته، ويبكي شبابه الذي مضى الى غير رجعة.[2]

هل لشباب فاتَ من مطلبِ أم ما بكاءُ البائسِ الأشيبِ

بدّلتُ شيباً قد علا لمِتي بعدَ شَبابٍ حَسنٍ معجْبِ

صاحبْتُه ثمتَ فارقْتُه ليتَ شبابي ذاك لم يَذْهَبِ

وفي قصيدة أخرى للأسود يتحدث في مطلعها عن الشيب الذي غزا قذاله، ومنعه أن يتصابى، ويلقى الحلائل الحسان.[3]

وأحكمهُ شيبُ القَذالِ عن الصبا فكيف تصابيْه وقد صار أشيبا

وكان له فيا أفَادَ حلائلٌ عَجِلنَ إذ لاقيْنَه قُلْنَ مَرْحَبَا

فاصبحنَ لا يسألنه عن ما به اصعدَّ في علو الهوى أم تصوّبا

وذكر الأسود في مقدمة ميميته صدود صاحبته أسماء وقد افزعها شيبه.[4]

قد أصبح الحبل من أسماءَ مصروما بعد ائتلافٍ وحبٌّ كان مكتوما

لما رأت أن شيبَ المرء شاملُه بعدَ الشباب وكان الشيّب مسؤوما

صدت وقالت: أرى شيباً تفّرعه ان الشباب الذي يعلو الجَراثِما

واستهل سلامة بن جندل قصيدته البائية بحنين الى أيام الشباب ولذائذه من

---

(١) انظر شعر بني تميم ٣٧٩

(٢) الأسود بن يعفر: ديوانه ص ٢١.

(٣) المصدر السابق نفسه ٢٠.

(٤) المصدر السابق نفسه ٦٠.

الجراثم: أصول الشجر. تفرعه: صار في فروعه ويريد أن الشباب يعلو ويرتفع مالا يقدر عليه الشيوخ.

حب ونعيم، وشكوى من الشيب الذي لا لذة فيه، ولا ود يرجى منه.[1]

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيبِ ... أودَى وذلك شأوٌ غيرُ مطلوبِ
ولّى حثيثاً وهذا الشيبُ يطلبُه ... لو كان يدركُه ركضُ اليعاقيبِ
أودى الشباب الذي مجد عواقبُه ... فيه نَلَذّ ولا لذاتِ للشيّبِ

وافتتح عدي بن زيد كثيراً من قصائده بذكر الشيب والشباب، فقد بكى شبابه المولي حيث لا ينفع البكاء، وعلا الشيب رأسه فلا مفر منه.[2]

بان الشباب فماله مردودُ ... وعليَّ من صمة الكبيرِ شهودُ
شيبٌ برأس واضحٌ اعقبتُه ... من بعد آخر بانَ وهو حميدُ
وأرى سواد الرأس ينقصه البلى ... والشيب عن طول الحياة يزيد
ولقد بكيت على الشبابِ لو أنّه ... كان البُكاء به عليَّ يعود
ليس الشباب وان جزعت براجعٍ ... أبداً وليسَ له عليكَ معيدُ

وجاء ذكر الشيب في افتتاحية قصيدة توبة بن المضرس:[3]

ولما رأتْ ما قَدْ تفَرَّع لمّتي ... من الشّيبِ قالت: ما لرأسِ أبِي الجَعْدِ

ونجد في شعر تميم مقدمات تذكر الهموم، وتحدّث عن المتاعب، وتشكو من الدهر وحدثانه، فالأسود بن يعفر يفتتح داليته المشهورة بذكر الهموم[4].

نام الخلي وما أحس رقادي ... والهم محتضر لدى وسادي
من غير ما سقم ولكن شفني ... هم أراه قد أصاب فؤادي

وفي قصيدة الأسود اللامية يستهل في مقدمتها حديثه عن الدهر الذي اذهب شبابه، وعراه من بهجة أيامه، فاستغاث الشاعر بمالك بن حنظلة أحد سادات بني نهشل، وفزع اليه من صدمات الدهر.[5]

---

(١) سلامة بن جندل: ديوانه ٩٣.
(٢) عدي بن زيد: ديوانه ١٣٦.
(٣) انظر شعر بني تميم ٣٥.
(٤) الاسود بن يعفر: ديوانه ٢٥.
(٥) المصدر السابق نفسه ٥٦.

ألا هـل لهذا الدهـرِ مـن متعلـلِ سوى الناس مهما شاءَ بالناس يفعلِ
فما زال مـدلـولاً على مسلطـا ببؤسي ويغشـاني بنابٍ وكَلْكَلَ
وألفى سلاحـي كـاملاً فـاستعـاره ليسلبني نفسي، أمالِ بـن حنظـلِ

وبدأ متمم بن نويرة قصيدته بذكر الهموم[1]:

أرقـت ونـام الاخليـاء وهـاجني مـع الليـلِ هـمّ في الفـؤاد وجيـع
وهيج لي حـزنـاً تـذكـرُ مـالـكٍ فما نمتُ الا والفـؤادُ مـروعُ

وعدي بن زيد بدأ قصيدته الميمية بذكر الهم، وتصوير القلق، فصحبه ينامون، ولكنه لا يعرف للنوم طعما، فلا عشق شغف فؤاده، ولا سقم أصابه ولكنه الّهم الذي لا يريم عنه[2].

قد نـام صحبي وبـتُّ الليـل لم أنم من غير عشـقٍ تغشـاني ولا سقـمِ
إلا تـأوب هـمٍ قبـل ادفعـهُ والهمُ يـأمـرُ حين الكـرب بـالألمِ
يا نفسُ صبراً على ما كان من وجعِ لا تطلبن شفـاء البـتِ بـالنـدمِ

واستهل عدي قصيدته الرائية بشكواه من طول الليل وظلمة السجن الرهيب وقد فر النوم من أجفانه فراح يحدث عن قلقه وعذابه[3].

طـالَ ذا الليـلُ علينـا واعتكـر وكـأنـي نـاذرُ الصبـحِ سمـرْ
وكـأنَّ الليـل فيـه مشـابـه ولقـد مـا ظـن بـالليـل القصرْ
لم أغمـض طـولـه حتى انقضى اتمنـى لـو أرى الصبـحَ جشرْ
غير مـا عشـقٍ ولكـن طـارقٌ خلسَ النـومَ واجـداني السَّهـرْ

وافتتاح القصائد الجاهلية بذكر الشيب والشباب وبالحديث عن الهموم والمتاعب ظاهرة قديمة نجدها عند كثير من شعراء الجاهلية غير أن الدكتور فخر الدين قباوة يجعل سلامة بن جندل رائد هذه الظاهرة[4] كما يجعل محمد الهاشمي عدي بن زيد العبادي صاحب السبق فيها[5].

---

(١) مالك ومتمم: شعرها ١٠٢.
(٢) عدي بن زيد: ديوانه ١١١.
(٣) عدي بن زيد: ديوانه ١١٠.
(٤) د. فخر الدين قبادة: سلامة بن جندل ٢٠٠.
(٥) محمد الهاشمي جعدي بن زيد ٢٥٨.

وكنا نقبل تلك الريادة، وذلك السبق، ما دام الشاعران من تميم، وهي مسألة تغرينا لنسجل على شعر تميم ظاهرة السبق في مثل هذه الموضوعات لولا أننا وجدنا شعراء قبل ـ سلامة وعدي ـ وبعدهما ومعاصرين لهما ذكروا مطالع تبدأ بالحديث عن الشيب. أمثال عبيد بن الأبرص[1] وبشر بن أبي خازم[2] ومعاوية بن مالك العامري[3] وعمرو الباهلي[4] وغيرهم.

وسلامة بن جندل لم يخرج على المقدمة الطللية أو الغزلية الا في قصيدة واحدة بل ان هذه القصيدة نفسها تروي لها مقدمة طللية[5] فكيف والأمر كذلك نقرر ريادته؟ وماذا نقول في مقدمات الأسود بن يعفر الكثيرة وهو تميمي أيضاً عن ظاهرة الشيب والهموم وكان يعاصر الفترة التي عاش فيها سلامة في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي[6].

ثم اننا نجد في تميم شعراء أسبق من سلامة وعدي ذكروا الشيب فاوس بن حجر التميمي بدأ مطلع «بائيته» بذكر الشيب فقال[7]:

صبوت وهل تصبو ورأسك أشيب وفاتتك بالرهن المرامق زينبُ
وغيرها عن وصلها الشيب أنه شفيع الى بيض الخدور مدرب

وبدأ علقمة الفحل التميمي مطولته «الغسانية» بذكر الشيب والشباب وهو أسبق ممن ذكرنا فقال:[8]

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

والذي يبدو لنا في مقدمات «الشيب والهموم» عند سلامة بن جندل، وعدي بن زيد، والأسود بن يعفر أنها قيلت في زمن متأخر، من حياة أولئك الشعراء، وبعد أن هجمت احداث الدهر عليهم، فعلا الشيب

---

(١) العسكري: ديوان المعاني ٢/١٥٥.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/٣٢٢.
(٣) المفضل الضبي: المفضليات ٣٥٦.
(٤) القرشي: جمهرة أشعار العرب ٣٢٧.
(٥) سلامة بن جندل: ديوانه ١٨٨.
(٦) الأسود بن يعفر: مقدمة ديوانه ص ٥-٧.
(٧) أوس بن حجر: ديوانه ٥
(٨) علقمة الفحل ديوانه. ٣٣

مفارقهم، وافترس الحزن أيامهم، ونهب الألم أفراحهم، فعدي بن زيد لاقى من ويلات السجن في أخريات أيامه، وقال أكثر شعره في الحبس[1] فلم لا تتصدر الهموم والأحزان بدايات قصائده وأشعاره؟ وسلامة بن جندل فارس مشهور شهد الكثير من أيام تميم، فادركته السنون وغادره الشباب، فماذا يختار لافتتاحيات قصائده غير الشيب والشباب؟ والأسود بن يعفر ترك قبيلته وجاور قبائل أخرى، وجفا أهله وعشيرته، فتركت تلك المجافاة جراحات عميقة في نفسه، حملته على أن يفزع الى الدهر، وهو قد كبر وشاخ نتيجة تجواله وطوافه، فلا عجب أن رأيناه يصور في مقدمات قصائده عمق المأساة، وشدة الألم، وكيف انتزع الدهر شبابه، وكان له رداء بهيجاً[2]، وأيام الشباب أيام ود ولذائذ وأما الشيب فهرم وقصور، وكيف يتصابى المرء اذا ادبر شبابه، وماذا ينتظر عند المرأة في خريف حياته؟ علقمة الفحل خبير النساء يجيب:[3]

فإن تسألوني بالنساء فإنني	بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله	فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه	وشرخ الشباب عندهن عجيب

وهكذا تعكس لنا هذه المقدمات - بذكر الشيب والهموم - الأجواء النفسية لحياة أولئك الشعراء في خريف حياتهم، والذي يهمنا من أمر هذه المقدمات أنها ليست ابتكاراً أو خروجاً على النهج التقليدي للقصيدة العربية وإنما هي لون من ألوان المقدمات ونوع من أنواعها وهذا ما يفسر لنا ورود مقدمات غزلية وطللية كثيرة في شعرهم فكل مطولات سلامة بن جندل، عدا البائية ومطولات الأسود، وكثير من مطولات عدي تبدأ جميعها بالطلل والغزل.

واذا اكتفينا بما أوردنا من أمثلة للمقدمات فإننا نواجه شعراء يباشرون

(١) هارون: نوادر المخطوطات ١٤١/٦.
(٢) الأسود بن يعفر: ديوانه ٥.
(٣) علقمة الفحل: ديوانه ٣٥.

موضوعاتهم بدون مقدمات، فاوس بن غلفاء يدخل الى موضوعه مباشرة ويحدّث عن الحرب في قصيدته اللامية[1] وكذلك يفعل مالك بن نويرة فيباشر الحديث عن يوم مخطط بدون مقدمات في قصيدته الدالية.[2]

ويبقى أن نقرر أن شعر تميم حرص كل الحرص على المقدمات، بانواعها الطللية والغزلية ومقدمات الشيب والهموم، وتلك التي تبدأ بالحرب أو بغير ذلك وهذا الحرص الشديد يضعنا أمام اعتبارات منها:

أن المقدمات تقليد موروث ومنهج متعارف عليه للقصيدة الجاهلية احتذاه شعراء تميم، مشاركين مشاركة فعالة في ارساء دعائم المقدمات وتأصيل تقاليدها، وتثبيت منهجها ولذا نجد هذا الحرص من جانب شعراء تميم على المقدمات في مطالع قصائدهم.

والمقدمات بأنواعها وأنماطها، كانت مطلباً فنياً عند الفحول من الشعراء في الجاهلية، وفي تميم كثير من هؤلاء الفحول، أمثال علقمة الفحل وأوس بن حجر، وسلامة بن جندل، والأسود بن يعفر، وعدي بن زيد، وأوس بن غلفاء وضابىء بن الحارث، وثعلبة بن صعير، والمخبل السعدي، وغيرهم، وكان هؤلاء الفحول أصحاب صنعة في الشعر[3] فحرصوا على المقدمات في صدور قصائدهم واعتنوا بها عناية فائقة، وأخذوها بالتجويد والتهذيب فامتدت صورها، واتسعت أوصافها، حتى أصبحت المقدمة أحياناً تشكل قصيدة كاملة تبدأ بالاطلال، ثم وصف صاحبة الاطلال، ثم وصف الناقة في رحلة الصحراء، ثم وصف حيوان الصحراء، ومظاهر الطبيعة الفاتنة من حول الشاعر[4]، وهذا الاهتمام جعل المقدمات في شعر تميم سبيلاً لا يتنكبون عنه، ومطلباً فنياً يسعون اليه، ولذا استهلوا قصائدهم بالمقدمات.

وتتسع المطولات الشعرية في أكثر الأحيان للمقدمات وفي شعر تميم كثير

(١) انظر شعر بني تميم ٤٤٠

(٢) مالك ومتمم: شعرهما ٥٩.

(٣) انظر مدرسة الصنعة التميمية.

(٤) كما في ديوان أوس بن حجر ص ١٣، ٦٣، وفي ديوان الأسود بن يعفر ص ٤٩، ٣٨.

من المطولات، ولهذا كثر في مطولات الشعراء مجيء المقدمات ويجب أن أشير الى أن الشعر الذي قمت بجمعه ـ من شعر تميم ـ وردت فيه مقطوعات كثيرة، وقسم منها في الحرب وجل هذه المقطوعات جاءت بلا مقدمات والسبب في هذا يعود الى أمرين.

أولها: أن المقطوعة لا تتسع للمقدمة لقصرها، ومقطوعات شعر الحرب تباشر موضوعها دونما افتتاحيات غالب الأحيان ومن هنا جاءت المقطوعات بلا مقدمات.

والآخر: ان هذه المقطوعات أضاعت مقدماتها شأنها في ذلك شأن ضياع سائر الشعر الجاهلي.

والرأي عندي أن هذه المقطوعات فقدت مقدماتها، ومن هنا كنت أميل الى أن شعر تميم جاء في أكثره يحرص على المقدمات حرصاً شديداً.

ودأب شعراء تميم على التصريع في مطالع قصائدهم، والتصريع صفة موسيقية هامة كان الشعراء اليها يلجأون، وبها يعتنون، وهي على أية حال ميزة واضحة في القصيدة العربية في العصر الجاهلي. وشغف شعراء تميم بالتصريع فشعرهم في مقدمات مطولاتهم مصرع وفي الأمثلة التي أوردناها في تلك المقدمات ما يكفي ويعطي دليلاً واضحاً عن أهمية التصريع عندهم بل أن بعض شعراء تميم صرّع أكثر من مرة في القصيدة الواحدة وهو أثر من أثار الصنعة المتأنية، فحائية أوس بن حجر وردت مصرعه في ثلاثة مواضع[1]:

ودع لميس وداع الصارم اللاحي ... اذ فنكت في فساد بعد اصلاحِ

* * *

هبت تلوم وليست ساعة اللاحي ... هلا انتظرت بهذا اللوم أصباحي

* * *

اني أرقت ولم تأرق معي صاح ... لمستكف بعيد النوم لواح

* * *

(١) أوس بن حجر: ديوانه ١٣، ١٤، ١٥.

وقصيدة أوس الميمية جاء التصريع في موضعين منها:[1]

تنكــرت بعــد معــــرفـــة لمى وبعـد التصـابي والشبـاب المكـرمِ

* * *

فميطي بمياط وان شئـت فـانعمـي صباحاً وردي بيننـا الوصـل وأسلم

وجاءت مفضلية سلامة بن جندل مصرعة في موضعين[2].

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيـب أودى وذلـك شـأو غير مطلــوب

* * *

هل في سؤالك عن أسماء من حـوب وفي السلام واهـــداء المنــاسيــبِ

أما المقطوعات من شعر تميم فبعضها جاء مصرعاً، والبعض الآخر جاء بدون تصريع، فقد أوردنا أن المقطوعة لا تحتاج الى مقدمة كذلك فإن المقطوعه تستغني عن التصريع، فالشاعر في المقطوعة لا يعنيه تحبير أو تنقيح، وإنما يدخل الى موضوعه، دونما تمهيد وتصريع، ولذا جاءت المقطوعات مغفلة من التصريع والمقدمات.

أما أنا فأرى ان المقطوعات ضاعت مقدماتها وضاعت أبياتها المصرعة، ومن هنا كنت أميل الى القول بأن شعر تميم عني عناية فائقة بالمقدمات واهتم اهتماماً كبيراً بالتصريع.

٥ ـ الظواهر اللفظية:

حين ننظر في شعر تميم ـ الفاظه وتعابيره ـ نجده شعراً فصيح العبارات، جزل الالفاظ، متين التراكيب، محكم الصياغة، فالعبارات تستوفي معانيها، والالفاظ تستخدم في أماكنها، وتأتي القصائد باهرة في صياغتها، فخمة في بنائها وكأنما نحتت نحتاً، ودققت أشد تدقيق.

ألم نقل أن شعر تميم شعر صنعة؟ فهو يختار اللفظة «القديرة» ويـأتي بـالعبـارة «المتأنية» في معان تمتاز بالدقة والصدق وجيشان العاطفة وقديماً أبدى العلماء

(١) أوس بن حجر: ديوانه ١١٧، ١٢٤.

(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ٩٣، ٢٠٢

الرواة إعجابهم بقصائد شعراء تميم ونعتوها بالروائع والجياد[1].

ونجد في شعر تميم تعبيرات تتصف بالغرابة والخشونة وتبدو فيها طبيعة البادية وصلابتها، فتحتاج الى استشارة المعاجم والمفردات الغريبة اكثر ما تكون في وصف الحيوان، والطير، ومظاهر الطبيعة، وفي الحرب.

وانظر في ذلك قصائد علقمة وأوس بن حجر، وسلامة بن جندل، وعميرة بن طارق، وذي الخرق الطهوي، وآخرين غيرهم.

وقد تنثال هذه التعبيرات والمفردات في طواعية ويسر في مجالات الرثاء كما عند الشاعرة دختنوس بنت لقيط، والسلكة أم السليك، ومتمم بن نويرة واخرين من الشعراء، بينما تسهل وترق دونما إسفاف أو ابتذال عند شعراء الحاضرة كعدي بن زيد.

وتلح في هذا الشعر ظواهر لفظية كالتكرار، وصيغ التبليغ، وتتابع الصفات، والحوار، وفيه كلمات مهاجرة من المراكز الحضارية المجاورة. وساتناول ثلاثاً من هذه الظواهر وهي التبليغ والتكرار والمفردات الأعجمية.

صيغ التبليغ:

جاءت في شعر تميم صيغ وألفاظ للتبليغ في مجال المخاطبات الشعرية والاحاديث اليومية فالشاعر عتيبة بن الحارث يبلغ رسالة شعرية الى بني شيبان في يوم «الغبيط» وقد أسر قائدهم بسطام بن قيس فيقول:[2]

أبلـغ سراة بني شيبـــان مـــألكـــة أنـى أبـات بعبـد الله بسطـــانـــاً

وفي يوم «أراب» يرسل عتيبة تبليغه الى أبي قران والى أخيه خدام ويقول:[3]

أبلـغ ابـا قـــران حيـــث لقيتـــه وبلـغ خـدامـاً أن نـــأى وتجنبـــا

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٠٢، ١/٢٧٢، ١/٢١٨، ١/٣٥٢
ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١/٩٧، ١/١٣٧، ١/١٤٠، ١/١٤٤.

(٢) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.

(٣) المصدر السابق نفسه.

وفي يوم « نعف قشاوة » أرسل متمم بن نويرة الى بسطام بن قيس سيد بني بكر بن وائل يتوعده لقتله بجير بن عبدالله السليطي فقال:[1]

أبلغ شهاب بني بكر وسيدها   أعني بذاك أبا الصهباء بسطاما

وخاطب متمم بسطاما في موضع آخر وهو يرثي بجيراً فقال:[2]

أبلغ أبا قيس اذا ما لقيته   نعامة أدنى داره فظليم

وأرسل أوس بن غلفاء الهجيمي قصيدة يبلغ فيها الجرمي مهدداً اياه بعد يوم ذي نجب[3]:

ألا من مبلغ الجرمي عني   وخير القول صادقه الكلام

ويتحدث سلامة بلسان قومه مهدداً اعداءهم فيقول:[4]

من مبلغ عنا كلاباً وكعبها   وحي نمير باليقين رسول؟

وأرسل قيس بن عاصم رسالة لقريش على لسان صديقين له:[5]

ألا أبلغا عني قريشاً رسالة   اذا ما اتتهم مهديات الودائع

وحذر أوفى بن مطر قبائل من تميم ما أحدثه بنو عكل فقال:[6]

أبلغ أسيد والهجيم ومازنا   ما احدثت عكل من الحدثان

وهجا أوس بن حجر بني كاهل من أسد وقبح وجوههم عندما طلب الى راكب اليهم أن يبلغهم ذلك السباب[7]

فيا راكباً أما عرضت فبلغن   بني كاهل شاه الوجوه لكاهلِ

وأرسل انذاراً الى يزيد بن عبدالله ليعرض عن الجهل والخنا ويقبل على الحق والرضى[8]:

فيا راكباً أما عرضت فبلغن   يزيد بن عبدالله ما أنا قائلُ

---

(١) متمم ومالك: شعرهما ١٣٧.
(٢) المصدر السابق نفسه ١٣٤.
(٣) انظر شعر بني تميم ٤٣٩.
(٤) سلامة بن جندل: ديوانه ص ٢٠٦.
(٥) انظر شعر بني تميم ٣٥
(٦) انظر شعره في بني مازن.
(٧) أوس بن حجر: ديوانه ١٠٩.
(٨) المصدر السابق نفسه ٩٩.

وفي يوم ذي طلوح يطلب عميرة الى صديقيه ان يبلغا أبا حمار ـ الحوفزان ـ وأبجر العجلى رسالته فيقول[1]:

ألا أبلغـــا أبـــا حمار رســالـــة . وابجر أني عنكما غير غـــافـــلُ

ولام أوفى بن مطر المازني صاحبه جابراً عندما غدر به إثر غارة لهما على بني أسد فقال أوفى:[2]

ألا أبلغـــا خلتي جـــابـــراً بـــان خليلـــك لم يقتـــل

وكان بنو مالك بن حنظلة يخدمون الملك عمرو بن هند فوشى بهم الطائيون فحرقهم الملك فأرسل لقيط بن زرارة لوماً في رسالة شعرية يقول:[3]

فـأبلـغ لـــديـــك بني مـــالـــك مغلغلـــــة وسراة الربـــــاب

ومثل مغلغلة لقيط أرسل ربيعة بن طريف تبليغاً الى بني الخصيب فقال:[4]

يـــا راكبـــاً بلغـــن عني مغلغلـــة بني الخصيـب وشر المنطـق الفنـــد

وترد صيغ التبليغ بكثرة في شعر عدي بن زيد، فعندما كان في السجن أرسل للنعمان ـ أبي قابوس ـ رسائل شعرية كثيرة يبلغه فيها الصفح عنه فهو لم يأت ذنباً يستحق عليه ذلك العذاب، وتلك القسوة، كما يستغرب عدي أن يطيع النعمان الوشاة من بني بقيلة، فيلقي به في غياهب السجن، ويبدل حاله من الرخاء والغنى الى الشقاء والاذى[5].

ألا مــــن مبلـــــغ النعمان عني فبينـــا المرء أغـــرب اذ اراحـــا

أطعـــت بني بقيلـــة في وثـــاقـــي وكنـــا في حلـــوقهـــم ذبـــاحـــا

وطلب عدي الى النعمان أن لا يطيع الوشاة والأعداء الذين نالوا ما أرادوه فقال:[6]

ألا مــــن مبلـــــغ النعمان عني وقـــد تهدى النصيحـة بـــالمغيـــب

(١) انظر شعر بني تميم ٢٠٣
(٢) انظر شعر بني تميم ٣٤٦
(٣) انظر شعر بني تميم ٣١١ .
(٤) انظر شعر بني تميم ٤٦٦ .
(٥) عدي بن زيد: ديوانه ١٢٠ .
(٦) المصدر السابق نفسه: ٤٠ .

وهـم أضحـوا لـديـك كما أرادوا وقد ترجى الرغـائـب مـن مثيـب

ودفع عدي الاتهام عن نفسه، وبلغ النعمان أن يقبل عذره ودفاعه[1]:

أبلـــغ النعمان عني مـــــالكـــــاً قول من خاف اضطعانا فـاعتـذر

ويجأر عدي بالشكوى ويضج من عذاب السجن فيبلغ النعمان قائلاً:[2]

أبلـــغ النعمان عني مـــــألكـــــا أنـه قـد طـال حبسي وانتظـــاري

ولجأ الشاعر الى وساطة أخيه أُبي لدى كسرى فأرسل اليه قصيدة يقول فيها[3]:

أبلـــغ أبيـــا على نـــايـــه وهــل ينفــع المرء مـــا قـــد علم

وتصل الأمور الى حد كبير من السوء فيرسل عدي من سجنه تبليغاً الى النعمان يضمنه استياءه من معاملته له وانه لم يعد يخاف الموت فكل الناس الى هلاك[4].

ألا مـــــن مبلــــغ النعمان عني علانيـــة فقـــد ذهـــب السرار

فهـل مـن خـالـد أمـا هلكنـا وهـل بـالموت للنـــاس عـــار

وفتش عدي عن وسائل أخرى تسعى في خلاصه من السجن، فأرسل الى أخويه ليركبا في فك وثاقه واطلاق سراحه[5].

أبلغـا عـــامـــراً وابلـــغ أخـــاه أنني مـوثـق شـــديـــد وثـــاقـــي

فـاركبـوا في الحرام فكـوا اخـاكم ان عيراً قـــد جهـــزت لانطلاق

وجاءت الفاظ التبليغ عنده في أبيات أخرى كثيرة[6].

وهذه الأمثلة التي أوردناها من شعر تميم تستخدم الفاظ التبليغ: أبلغ، أبلغا، مبلغ، بلغن، إنما كثرت في شعر فرسان تميم أمثال عتيبة بن الحارث، وعميرة بن طارق، وأوس بن غلفاء، وقيس بن عاصم ومتمم بن نويرة،

---

(١) عدي بن زيد: ديوانه ٦٠ وفي رواية أخرى من الأغاني ٢/١١٢ من قد خاف ظناً فاعتذر.
(٢) المصدر السابق نفسه ٩٣.
(٣) المصدر السابق نفسه ١٦٤.
(٤) المصدر السابق نفسه ١٣٢.
(٥) المصدر السابق نفسه ١٥١ الحرام: الشهر الحرام.
(٦) المصدر السابق نفسه ٦٨، ١٠٠، ١٢٠، ١٢٩، ١٥١.

وربيعة بن طريف وغيرهم، وجاءت تلك التبليغات «والانذارات» في أيام تميم وحروبها، ففي القتال ومجالات الحرب يأخذ الغضب من الفارس مأخذاً كبيراً فتثور ثائرته، وتشتد صلابته، وتغلى مشاعره، فيلجأ الى التهديد والوعيد، ويرسل تلك التبليغات قبل اللقاء في ساحة القتال، ومن جانب آخر فإن بعض الفرسان يطلبون الى اعدائهم ان يستعدوا للقائهم حتى لا يفاجأوا بهم، فالفارس الواثق من نفسه واستعداد قبيلته يعطي اعداءه فرصة المراجعة والاستعداد أما غير المحاربين من شعراء تميم كعدي بن زيد فقد جاءت تبليغاته في شكل استعطاف واعتذار للنعمان من أجل أن يصفح عنه، وأن تلك الألفاظ كانت في مشاعر تتلمس الوسائل، وتستعين بالأدوات القادرة على العفو، واطلاق سراح صاحبها من السجن.

التكرار:

يكثر التكرار في شعر تميم ويأتي لأغراض مختلفة ومن بينها تأكيد الفخر والمبالغة فيه، والتباهي والتعظيم والتفخيم، ويأتي كذلك في التشهير والتقريع، وفي التوبيخ والعتاب، وفي الإنكار والتهويل، وفي التوجع وشدة الفجيعة.

فقيس بن عاصم يستخدم التكرار في المدح والتفخيم والمباهاة، فقومه عماد في الامور المهمة وليوث في الحروب، وأصحاب نجدة وكرم[1].

بـــانـــا عماد في الأمـــور وأننـــا ... لنا الشرف الفخم المركب في الندى

وانا ليوث النـاس في كـل مـأزق ... اذا جز بـالبيـض الجماجـم والكلا

وأنـــا اذا داع دعـــانـــا لنجـــدةٍ ... اجبنا سراعاً في العلائـم مـن دعـا

وتباهى أوس بن غلفاء بقومه الذين منّوا على يزيد بن الصعق بالعفو بعد اسره في يوم «ذي نجب»، وقد قتلوا رجاله، وضربوه ضرباً مبرحاً، فجاء التكرار يعدد مجالات الافتخار والتفخيم والتعظيم[2].

هـــم منـــوا عليـــك فلم تثبهـــم ... فتيلا غير شتم أو خصـــــــام

(١) انظر شعر بني تميم ١٤٣

(٢) انظر شعر بني تميم ٤٤٠

وهم تركوك أسلح من حبارى رأت صقراً وأشرد من نعام
وهم ضربوك ذات الرأس حتى بدت أم الدماغ من العظام
وهم أدوا اليك بني عداء بافوق ناصل وبشر ذام

وفي يوم طخفة أشاد عمرو بن حوط بقومه في قتالهم، فكرر للفخر والتعظيم[1].

فما قوم كقومي حين يعلو شهاب الحرب تسعره، الرماح
وما قوم كقومي حين يخشى على الخود المخدرة الفضاح

ولتعظيم شأن الرجل الراحل، فان الشاعر يكرر ذكره وهو يعدد الأعمال التي كان يقوم بها ويتفوق فيها، فأوس بن حجر يعظم من شأن أبي دليجة «فضالة» وهو يقول:[2]

أبا دليجة من يوصي بأرملة أم من لاشعث ذي طمرين طملال
أبا دليجة من يكفي العشيرة اذ أمسوا من الأمر في لبس وبلبال

* * *

أبا دليجة من لحي مُفردٍ صقع من الأعداء في شوال
واذ ذكرت أبا دليجة اسبلت عيني وبلَّ وكيفها سربالي

ولتعظيم منزلة طارق الذي قتله خاله كرر توبة بن المضرس ذكره رافضاً قبول دية أو فدية وإنما أصر على قتل خاله به[3].

فقلت لها لا تجزعي ان «طارقاً» خليلي الذي كان الخليل المصافيا
وما كنت لو اعطيت الفي نجيبة وأولادها لغوا وستين راعيا
لا قبلها من «طارق» دون أن أرى دماً من بني حصن على السيف جاريا
وما كان في عوف قتيل علمته ليوفيني من «طارق» غير خاليا

وفي مجال التعظيم كرر عدي بن زيد ذكر الموت فقال[4]:

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٣٣
(٢) اوس بن حجر: ديوانه ١٠٣، ١٠٧.
(٣) انظر شعر بني تميم ٧١
(٤) عدي بن زيد: ديوانه ٦٥.

لا أرى الموت يسبــق الموت بشيء نغـــــضّ الموت ذا الغني والفقيرا

ويستخدم سلامة بن جندل التكرار لتأكيد الجزاء فيقول لممدوحه[1]

سأجزيك بالقدر الذي قد فككته سأجزيك ما ابليتنا العـام صعصعـا
فإن شئت اهـدينـا ثنـاء ومـدحـة وان شئت عدينا لكـم مـائـة معـا

واستخدم أوس بن حجر التكرار في الهجاء على سبيل التشهير والتقريع فكرر ـ أبني لبيني ـ خمس مرات وقال:[2]

أبني لُبيني لستم بيـــــــــــدٍ الا يـــداً ليســـت لها عَضُـــدُ
ابني لبيني لا أحقكُـــــــــم وجــدَ الالــهُ بكـم كما أجـدُ

وآخرها

ابني لبيني إن أمكـــــــــــمُ دَحَقـت فخـرّق ثفـرهـا الزَّنـدُ

واستخدم قيس بن عاصم التكرار في التوبيخ والعتاب لبني يربوع حين قال:[3]

فـــاصبحتم والله يفعـــــل ذاكم كمهنوءة جربـاءابـرز كـورهـــا
واصبحتم والله يفعـــــــل ذاكم كمـــؤودة لم يبــق الا زئيرهـــا

وكرر جندل بن عبد عمرو السعدي للتهويل من شأن الحرب فقال[4]

فـان تبعثـوهـا تبعثـوهـا ذميمـــة قبيحـة ذكـــر الغـــب للمتغبـــب

وفي مجال التقريع والانكار، كرر عدي بن زيد «أعاذل» تسع مرات في قصيدته الدالية، وكرر «اذا أنت» أربع مرات مقدماً النصيحة[5]

أعـاذل إن الجهـل مـن ذلـة الفتى وان المنـايـا للـــرجـــال بمرصـــد
أعاذل من تكتب له النـار، يلقهـا كفاحاً ومن يكتب له الفوز يسعـد
اذا أنــت لم تنفـع بـــودك أهلـــه ولم تنك بالبـؤس عـدوك فـابعـد
اذا أنت طـالبـت الرجـال نـواهم فعـف ولا تـــأتي بجهــد فتنكــد

---

(١) سلامة بن جندل: ديوانه ١٩٣.
(٢) أوس بن حجر: ديوانه ٢١.
(٣) انظر شعر بني تميم ١٤٣
(٤) انظر شعر بني تميم ٧٧.
(٥) عدي بن زيد: ديوانه ص ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥.

واستخدم قيس بن عاصم التكرار في الإنكار والتقرير فهو ينكر على نفسه شرب الخمر بعد اليوم ويقرر هذه الحقيقة قائلاً[1]:

فلا والله اشربها حياتي ... ولا ادعو لها أبداً نديما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي ... ولا أشفي بها أبداً سقيما

وأنكر عمرو بن الاهتم على زوجته لومه على انفاقه، فطلب اليها ان تتركه ينفق ويجود، وكرر اليها هذا الطلب[2].

ذريني فان البخل يا أم هيثم ... لصالح أخلاق الرجال سروق
ذريني وحطي في هواي فإنني ... على الحسب الزاكي الرفيع شفيق

واستخدم عمرو بن الاهتم التكرار في المفاضلة بين أهله وضيفه[3]

وبات لنا منها وللضيف موهناً ... شواء سمين زاهق وغبوق
وبات له دون الصبا وهي قرة ... لحاف ومصقول الكساء رقيق

ولجأ الشاعر سلامة بن جندل الى استخدام التكرار في ألفاظ تشحن اللوعة والحسرة فقال:[4]

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب ... أودى وذلك شأو غير مطلوب
أودى الشباب الذي مجد عواقبه ... فيه نلذ ولا لذات للشيب

وباب الرثاء يكثر فيه التكرار لمكان الفجيعة وشدة الالم الذي يعانيه المتفجع فالسلكة كررت في مرثيتها لولدها السليك[5].

ليت شعري ضلة ... أي شيء قتلك
ليت شعري ساعة ... صبره عنك ملك
ليت نفسي قدمت ... للمنايا بدلك
أي شيء حسن ... لفتى لم يك لك
كل شيء قاتل ... حين تلقى أجلك

---

(١) د. المعيني: شعر بني تميم ١٤٣.
(٢) د. المعيني: شعر بني تميم ١٦٥.
(٣) د. المعيني: شعر بني تميم ٩٢.
(٤) سلامة بن جندل: ديوانه ١٩٣.
(٥) انظر شعرها في بني سعد.

المفردات الاعجمية:

انسربت في شعر تميم مفردات والفاظ من لغات الأمم المتاخمة، وهاجرت تلك المفردات الى لغة تميم عن طرق كثيرة في مقدمتها: الصلات التجارية، والعلاقات بين فارس والجزيرة العربية في مختلف النواحي الحضارية.

ومن هذه الالفاظ والمفردات ابريق، ومهرق، وجؤذر، ورواووق وآجر، وبوصى، وخورنق، ودخدار، وبرازيق، وقنجر، وبيازير، والنستق، والسدير، ومرزبان، وأمواق، والاقحوان، والمسك، والدمقس، والديباج، والفسطاط، وفصافص، والسفسير، واترجه، وفدم، وكسرى، وسابور، وأنو شروان، ودراهم، وقيصر، والقسطاس، وقناطير، وفيح، وصفا، وغيرها.

وأكثر هذه المفردات فارسية فابريق فارسية الأصل بمعنى الوعاء الذي يوضع فيه الشراب وردت في شعر عدي بن زيد[1].

ثم نادوا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها ابريق

وذكر عدي أيضاً الأباريق جمع ابريق عندما قال:[2]

والأباريق عليها فدم وعتاق الخيل تروى في الجلال

واستخدم علقمة لفظة الابريق في شعره:[3]

كأن ابريقهم ظبى على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

وجاءت لفظة ابريق في شعر سلامة بن جندال:[4]

كريح ذكى المسك بالليل ريحه يصفق في ابريق جعد منطق

وكلمة مهرق[5] فارسية بمعنى الصحيفة أو كتاب الدين القديم وجاءت في شعر سلامة:

لبس الروامس والجديد بلاهما فتركن مثل المهرق الأخلاق

وفي موطن آخر أورد سلامة هذه الكلمة فقال:

---

(١) عدي بن زيد: ديوانه ٧٨ وانظر المزهر ١/٢٧٥.

(٢) المصدر السابق نفسه ٨٢.

(٣) علقمة الفحل: ديوانه ٧٠.

(٤) سلامة بن جندل: ديوانه ١٧٩.

(٥) الجواليقي: المعرب ٣٠٣، ديوان سلامة بن جندل ١٤٩، ١٦٠

أكب عليه كاتب بدواته وحادثه في العين جدة مهرق

وجؤذر[1] فارسية بمعنى ولد البقرة جاءت في شعر عدي بن زيد:

تسرق الطرف بعين جؤذر أحور المقلة مكحول النظار

وراووق فارسية بمعنى كأس الشراب وردت في شعر سلامة بن جندل:[2]

لنا خباء وراووق ومسمعة لدى حضاج بجون القار مربوب

والاجر فارسية بمعنى حجارة البناء جاءت في شعر ثعلبة بن صعير:[3]

تضحى اذا دق المطى كأنها فدن ابن حية شاده بالآجر

والبوصي فارسية بمعنى السفينة أو الزورق جاءت في شعر سلامة بن جندل[4]:

يقمص بالبوصي فيه غوارب متى ما يخضها ماهر اللج يغرق

ودخدار[5] فارسية بمعنى الثوب المصون وردت في شعر عدي بن زيد:

تلوح المشرفية في ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب

وبرازيق[6] فارسية بمعنى جماعة الفرسان وردت في شعر جهينة العنبري:

تظل خيولنا متمطرات برازيقاً تصبح أو تغير

والقمنجر[7] فارسية بمعنى إصلاح الشيء وردت في شعر بني سعد

مثل القسي عاجها القمنجر

والبيازير فارسية بمعنى العصي العظام وردت في شعر أوس بن حجر[8]:

نكبتها ماءهم لما رأيتهم صهب السبال بايديهم بيازير

والنستق فارسية بمعنى الخدم وردت في شعر عدي بن زيد[9]:

---

(١) المصدر السابق نفسه ١٠٤.

(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ١١٠.

(٣) انظر شعر بني تميم ٣٧٩.

(٤) سلامة بن جندل: ديوانه ١٨٠.

(٥) عدي بن زيد: ديوانه ٣٧ والأغاني ١١١/٢.

(٦) الجواليقي: المعرب ٥٥.

(٧) المصدر السابق نفسه ٢٥٣.

(٨) أوس بن حجر: ديوانه ص ٤٤.

(٩) عدي بن زيد: ديوانه ص ١٧٠.

ينصفها نستق تكاد تكرمهم   عن النصافة كالغزلان في السلم

والسدير فارسية بمعنى القصر ذي القباب الثلاث بعضها فوق بعض ورد في شعر عدي بن زيد:[1]

وتذكر رب الخورنق اذا أشرف يوماً وللهدى تفكيرُ
سره ملكه وكثرة ما يملك والبحر معرضاً للسدير[2]

ولفظه مرزبان فارسية بمعنى الأمير أو الفارس القائد وردت في شعر أوس ابن حجر:[3]

ثم استمر يباري ظله جذلا   كأنه مرزبان فاز محبور

وفي مكان آخر وردت المرزبان وهو الرئيس من العجم شبه به الشاعر أوس ممدوحه فضالة الأسدي حين قال:[4]

ليثٌ عليه من البردى هبرية   كالمرزباني عيال بآصال

وأمواق فارسية جمع موق، وهو الخف الغليظ فوق الخف الأول وجاءت هذه اللفظة في شعر سلامة بن جندل اذ يقول[5]:

فترى النعاج بها تمشى خلفه   مشي العباديين في الأمواق

والأقحوان فارسية بمعنى النبات ذي الرائحة الذكية، والمنظر الجميل، وردت في شعر عدي بن زيد:[6]

اذ هي تسبي الناظرين وتجلو واضحاً كالأقحوان رتل

والمسك فارسية بمعنى الرائحة الذكية، وردت عند سلامة بن جندل[7]:

كريح ذكي المسك بالليل ريحه   يصفق في ابريق جعد منطق

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٨٩.
(٢) السدير احد قصور النعمان في الحيرة وهو بالفارسية سهدلى أي ثلاث شعب أو ثلاث قباب وانظر المزهر ١/٢٨٠.
(٣) أوس بن حجر: ديوانه ص ٤٣.
(٤) أوس بن حجر: ديوانه ص ٤٣.
(٥) سلامة بن جندل: ديوانه ص ١٤٥.
(٦) عدي بن زيد: ديوانه ص ١٥٧.
(٧) سلامة بن جندل: ديوانه ١٦٥.

وعند عدي بن زيد جاءت لفظة المسك[1]:

كـأن ريـح المسـك في كـأسهـا اذا مـزجنـاهـا بماء السما

وعند علقمة وردت لفظة المسك[2]:

كأن فـارة مسـك في مفـارقهـا للباسط المتعـاطـي وهـو مـزكـوم

ووردت عند أوس بن حجر:[3]

لا زال مسـك وريحان لـه ارج على صداك بصافي اللـون سلسـال

والاترجة لفظة فارسية بمعنى نوع من الثمر من جنس الليمون، وهو هنا كناية عن المرأة وردت في شعر علقمة الفحل:[4]

يحملـن اتـرجـةً، نضـح العبير بها كـأن تطيـابها في الأنـف مشمـوم

والدمقس فارسية بمعنى الثوب ذكرها عدي بن زيد:[5]

بيضٌ عليهن الدمقس وفي الاعناق من تحت الأكف در

والديباج لفظة فارسية بمعنى الثوب أيضاً ذكرها عدي بن زيد[6]

ثانيات قطائف الخز والديباج فوق الخدور والأنماطِ

والفسطاط فارسية بمعنى الخيمة وردت في شعر عدي بن زيد[7]

آنسـات الحديـث في غير فحشٍ رافعـات جـوانـب الفسطـاط

وكلمات فارسية مثل سابور وكسرى وانو شروان وردت في شعر عدي[8]

أين كسرى، كسرى الملوك أنو شروان أم اين قبله سابورُ

وذكر أوس بن حجر ثلاث مفردات فارسية في بيت واحد من الشعر[9]

(١) عدي بن زيد: ديوانه ١٦٦.

(٢) علقمة الفحل: ديوانه ٥٣.

(٣) أوس بن حجر: ديوانه ص ١٠٥.

(٤) علقمة الفحل: ديوانه ص ٥١.

(٥) عدي بن زيد: ديوانه ص ١٢٧.

(٦) المصدر السابق نفسه ص ١٣٨.

(٧) المصدر السابق نفسه ص ١٣٨.

(٨) المصدر السابق نفسه ص ٨٧.

(٩) أوس بن حجر: ديوانه ص ٤١.

الفصافص: الرطبة، النمى: الفلوس، سفسير: خادم والالفاظ الثلاثة فارسية كما عند الجواليقي ٣٤٢.

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها   من الفصافصِ بالنمي سفسيرُ

وندرك من كل ما ذكرنا ان شعر تميم انسربت فيه مفردات فارسية من الفاظ الحياة اليومية والاجتماعية، فمن الطيوب كانت مفردات: المسك والعنبر والكافور، ومن الرياحين، الاقحوان والريحان، ومن أدوات الشرب: الابريق والراووق، ومن الملابس: الدمقس والديباج واليملق والدخدار والفدم، ومن البناء: الاجر، ومن القصور: الخورنق والسدير، ومن البحر: البوصي، ومن الخدم: الصعفوق والنستق والسفسير، ومن الكتب الدينية: المهرق: ومن الحيوان: الجؤذر، ومن النقود: الدراهم والنُمي والدينار، ومن الأحذية: الأمواق، ومن الأسماء: دختنوس، ومن أسماء الملوك والامراء: كسرى وسابور وانو شروان والمرزبان.

وبعض هذه المفردات استخدم استخداماً عادياً مثل قينة في يمينها أبريق، وبعض منها جاء في حالات التشبيه، فالروامس مهرق، والمرأة اترجه، والحسناء جؤذر، والثور مرزبان، وغيرها من الأمثلة.

ولم يكن التأثر من الفارسية فحسب وإنما ذكرت في شعر تميم مفردات من لغات أمم أخرى كالرومية واليونانية فعلقمة الفحل يستخدم رطانة الروم في شعره فيقول:[1]

يوحى اليها بانقاض ونقنقة   كما تراطن في أفدانها الروم

وليس الأمر في هذه الدراسة ان اتتبع كل الكلمات الفارسية ولا أن أتحرى عن جميع المفردات الأعجمية، فتلك مسألة تحتاج الى استقصاء دقيق، وبحث طويل ليس مكانه هنا، وكل ما أردته من ذكر تلك المفردات أن أشير الى ظاهرة انسرابها في شعر تميم، وان هذا الشعر استقبل من المراكز الحضارية المجاورة مثل هذه المفردات التي هاجرت اليه.

---

(١) علقمة الفحل: ديوانه ٦٢.

الظواهر الموسيقية:

جاء شعر تميم على البحور التي اتسعت لموضوعاتهم في الحرب والرثاء والطبيعية وغيرها من الموضوعات، وضم هذا الشعر أكثر الأوزان تداولاً في العصر الجاهلي، وتوزعته البحور التالية بالترتيب: الطويل، فالبسيط، فالوافر، فالكامل، فالمتقارب، فالخفيف، فالسريع، فالرمل، فالمنسرح، فالرجز

أما البحور الأربعة الأولى فقد استأثرت بشعر تميم أكثر من التي تليها وعندما أجرينا احصاء للمطولات الشعرية، وسائر المقطوعات والأبيات، وجدنا أن البحور الأربعة تضم ما يقرب من ثلاثة أخماس شعر تميم.

وينفرد البحر الطويل بنصيب وافر من شعر تميم بين البحور الأخرى، فهو بحر يمتاز بكثرة مقاطعه، وبطء إيقاعه، وتناسبه الموضوعات الشعرية الجليلة كالحرب، والرثاء، والتأمل، والأوصاف، وتلك أكثر المعاني مداولة في شعر تميم.

ويرى بعض الباحثين[1] في الموسيقى الشعرية أن البحر الطويل يجمع ميزات بحور أخرى كحلاوة الوافر، ورقة الرمل، وترسل المتقارب، كما تخلص من جلبة الكامل.

ونجد فحول الشعراء في الجاهلية يبنون أكثر قصائدهم على هذا البحر، فلا غرابة أن يستخدمه فحول تميم وفرسانها في قصائدهم، ومقطوعات شعرهم.

والبحر البسيط كالطويل فكل منهما فيه التفعيلة الأولى تتساوى مع الثالثة، والتفعيلة الثانية مع الرابعة، مما يوجد وحدات موسيقية متساوية.

ويمتاز البحر الوافر ـ ثالث البحور التي استأثرت بشعر تميم ـ بالحركة والسرعة فهو بحر تتلاحق نبراته، وتسرع نغماته، وفيه يسر وسهولة، وتدفق وعذوبة، وتستريح له الأذن، وتطمئن عنده النفس، واستوعب هذا البحر

---

(١) دكتور ابراهيم انيس: موسيقى الشعر ١٩٥.

الموضوعات الشعرية عند تميم، وحظي بمنزلة رفيعة بين البحور الأربعة في شعر عدي بن زيد، الذي بنى عليه أكثر أغراضه وموضوعاته في المواعظ والحكم والأوصاف.

ومن خصائص البحر الكامل ـ رابع البحور المستأثرة بشعر تميم ـ أنه بحر صاخب الموسيقى، قوي الإيقاع، واستأثر بشعر الحرب عند تميم أكثر من سائر الأغراض.

واستخدم شعراء تميم مجزوءات بعض الأبحر كالكامل والرمل فدختنوس بنت لقيط بن زرارة رثت أباها في مجزوء الكامل.[1]

بكـــــر النعـــــي بخير خنـ ـدف كهلهـــا وشبـــابها

وجاءت مقطوعة الزبرقان في معاتبة ابن عمه على مجزوء الكامل كذلك.[2]

وجاءت المقطوعة رقم «١٧» من شعر المخبل في مجزوء الكامل[3].

ولجأت الشاعرة السلكة إلى مجزوء الرمل في رثاء ولدها السليك[4]:

طـــاف يبغـــي نجوة مـــن هلاك فهلـــك

وفي مجال القوافي عنى شعر تميم بالحروف التالية: اللام، والميم، والباء، والراء، والغين، والدال، والقاف، والنون، والسين، والعين، وقلة من الحروف الأخرى.

وعندما أجرينا احصاء لحروف القافية كانت الحروف الأربعة الأولى أكثرها استخداماً في شعر تميم، وتحتل أكثر من نصف المادة الشعرية.

وكان بناء الأبيات، ونسيج المطولات والقصائد عند تميم، يأتي في إيقاع موسيقي داخلي جميل، يفصح عن مقدرتهم في اختيار الألفاظ، وتنسيق المفردات، فهم يوزعون مفرداتهم في البيت توزيعاً يحقق توازناً موسيقياً

---

(١) انظر شعر بني تميم ٣٣٣

(٢) انظر شعر بني تميم ١٨٥.

(٣) انظر شعر بني تميم ١٠٣.

(٤) انظر شعر بني تميم ٩٢.

داخلياً، فسلامة بن جندل يوزع الكلمات في شعره بحيث تحقق مثل هذا التوازن الموسيقي فيقول:[1]

وشدُّ كورٍ على وجناء ناجيةٍ   وشد لبد على جرداءَ سرحوبِ

ويذيل سلامة أبياته بتقسيم موسيقي منتظم يفرد فيه كلمات ثلاثاً، تنتظم وزناً موسيقياً واحداً، وتقيم توازناً إيقاعياً عذباً.[2]

تظاهر النيّ فيه، فهو محتفل   يعطي أساهيّ من جريٍ وتقريبِ

* * *

سوّى الثقاف قناها فهي محكمةٌ   قليلةُ الزيغ من سنٍ وتركيبِ

* * *

والحي قحطانُ قدماً ما يزال لَها   منّا وقائعُ من قتلٍ وتعذيبِ

ويعتني عبده بن الطبيب بمثل هذا الإيقاع الموسيقي المنتظم فيقول:[3]

مجتاب نصع جديد فوق نقبته   وللقوائم من خال سراويل

* * *

حوامل ملئت زيتاً مجردة   ليست عليهن من خوص سواجيل

ويرد مثل هذا الاهتمام بالموسيقى الداخلية في ميمية علقمة الفحل فمفردات الشطر الثاني من البيت الأول، بنفس الترتيب الموسيقي والإيقاع الداخلي للشطر الثاني من البيت الذي يليه.[4]

كأن ابريقَهم ظبيٌ على شَرَفٍ   مفدّم بسَبا الكتّانِ ملثومُ

أبيضُ ابرزه للضحِّ راقبه   مقلدٌ قضبُ الريحانِ مفغومُ

ومن تعرّضَ للغِربانِ يزجُرها   على سلامتِهِ لا بدَّ مشؤومُ

وكلُ حصنٍ وإن طالت اقامتُه   على دعائِمه لا بدَّ مهدومُ

وهذه المقابلات عند علقمة تحدث موسيقى داخلية منتظمة:[5]

---

(١) سلامة بن جندل: ديوانه ١٢٥.
(٢) المصدر السابق نفسه ١٠٠، ١١٣، ٢٢٩.
(٣) عبده بن الطبيب: شعره ٦٢، ٦٥.
(٤) علقمة الفحل: ديوانه ٧٠، ٧١، ٦٧.
(٥) المصدر السابق نفسه ٦٤، ٦٦.

والجود نـــافيـــةٌ للمال مهلكـــة والبخـل مبـقٍ لأهليـه ومـذمـوم
والجهـل ذو عَـرضَ لا يُستزادُ لـه والحلم آونــة في النــاس معــدوم

ونجد التقسيم الموسيقي يحدث تأثيراً كبيراً في النفس عند عبْده بن الطبيب:[1]

والمرءُ ساعٍ لأمـرٍ ليس يـدرِكُـه والعيشُ شحٌ واشفـاقٌ وتـأميـلُ

والقوافي الداخلية عند أوس بن حجر تحدث إيقاعاً موسيقياً عذباً وتعطي نغماً متناسقاً.[2]

يا عينُ جودي، على عمـرو بـن مسعـود أهلِ العفافِ وأهـلِ الحزمِ والجودِ

★ ★ ★

هُدلاً مشافُرها، بُحاً حنـاجُـرهـا تزجى مرابيعها، في صَحصحِ ضَاحِـي

★ ★ ★

كـان الشبـابُ يلهينـا، ويعجُبنـا فما وهَبنـا، ولا بعنـا، بـأربــاحِ

★ ★ ★

فـرجـت غمّهـم، وكنـت غيثَهـم. حتّى استَقرت نَواهم بعد تَـزوالِ

★ ★ ★

نجيـحٌ، مليـحٌ، أخُـو مـأقـطٍ نَقـابٌ يحدّث بـــالغَـــائـــبِ

وهذه المقابلات والمطابقات عند أوس بن حجر تشكل توازناً موسيقياً داخلياً، ترتاح له النفس.[3]

فـالتـجَّ أعلاه ثم ارتـجَّ أسفلُـه وضاقَ ذَرْعـاً بحمـل الماء منصـاح
كـــأنما بين أعلاه وأسفلـــه رَيـطٌ منشرةٌ أو ضَـوءُ مصبـاحِ

★ ★ ★

فمـن بِنَجْـوتـه، كمـن بمحفَلِـه والمستكّـنُ كمـن يمشي بِقَـرَواحِ

★ ★ ★

---

(١) عبده بن الطبيب: شعره ٧٥.
(٢)
(٣) أوس بن حجر: ديوانه ٢٥، ١٧، ١٤، ١٠٤، ١٢.

فأصبح الروضُ والقيعانُ ممرعةً ‏ ‏ ‏ من بين مرتفقٍ منها ومنْطاحِ

* * *

ولم يخل شعر تميم من عيوب في القوافي فقد ورد فيه الإقواء وهو مخالفة اعراب الأبيات في القصيدة الواحدة.

ومثل هذا الإقواء ورد في قصيدة عميره بن طارق اليربوعي ومطلعها[1]

ألم يعلم ســـــوادةُ أي ســـــاعٍ ‏ ‏ ‏ وذي قـربـى لـه بلـوى الكثيـبِ

فقافية القصيدة مكسورة الحرف الأخير لكن الأبيات ذات الأرقام ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١ منها وردت مضمومة.

ونجد الإقواء في ـ بائية[2] ـ سلامة بن جندل، فقافيتها مكسورة الحرف الأخير لكن هذا البيت ورد بقافية مضمومة:

يجلـو أسنتَهـا فتيـانُ عـاديـةٍ ‏ ‏ ‏ لا مقرفـونَ ولا سـودٌ جعـابِيـبُ

وكذلك البيتان رقم (١٠) ورقم (٢٣) وردا بقافية مضمومة.

ويرد الإقواء في المقطوعة الحائية لسلامة بن جندل والتي مطلعها:[3]

أمـا الخلى والمسـح ان كـان منـة ‏ ‏ ‏ عليَّ فـإني غير خـالٍ ومـاسـحِ

فهي مكسورة الحرف الأخير من القافية، بينما ترد فيها الأبيات ذات الأرقام ٣، ٤، ٥ مضمومة القافية.

ونرى الأقواء أيضاً في قصيدة متمم بن نويرة التي مطلعها[4]:

أبلـغ أبـا قيسٍ إذا مـا لقيتَـه ‏ ‏ ‏ نعـامـةُ أدنـى داره فظليمُ

فالقصيدة مضمومة القافية لكن الأبيات السادس والثامن والعاشر والثاني عشر جاءت مكسورة الحرف الأخير من القافية، كما ورد الأقواء في قصيدة متمم النونية.[5]

---

(١) انظر شعر بني تميم ٢٠٣.

(٢) سلامة بن جندل: ديوانه ٩٣، ١١٢.

(٣) سلامة بن جندل: ديوانه ١٣٤.

(٤) مالك ومتمم: شعرهما ١٣٤.

(٥) المصدر السابق نفسه ١٣٨.

ومن عيوب القافية أيضاً في شعر تميم الايطاء وهو تكرار كلمة معينة في قصيدة الواحدة في أبيات متقاربة ونجد الايطاء عند عبْده بن الطبيب فقد كرر كلمة «محمول» ثلاث مرات في قصيدته اللامية.[1]

رمزجيات بأكوارٍ محملة شوارهن خلال القومِ محمول

* * *

كلاهما يبتغى نهك القتالِ به ان السلاح غداةَ الروعِ محمولُ

* * *

صِرفا مِزاجا واحياناً يعللنا شعر كمذهبة السّمانِ محمولُ

وكرر متمم بن نويرة كلمة أوجعا ثلاث مرات في قصيدته العينية فكان الايطاء في الأبيات رقم ٢١، ٤٣، ٥١.[2]

ومن عيوب القافية كذلك في شعر تميم السناد وهو اختلاف في الحركات قبل حرف الروي ومثل هذا السناد ورد في قصيدة لعدي بن زيد.[3]

ففاجأها وقد جمعت جموعاً على أبواب حصن مصلتينا

وقدمت الأديم لراهشية وألفى قولها كذباً ومينا

وروى المفضل كذباً مبينا تخلصاً من السناد.[4]

ومن العيوب في موسيقى شعر تميم ورود الخرم في صدر الأبيات، ومطالع القصائد، والخرم هو ذهاب الفاء من فعولن أو الميم من مفاعيلن وقد ورد الخرم في لامية سلامة بن جندل إذ يقول:[5]

من مبلغ عنا كلابا وكعبها وحي نمير باليقين رسول

* * *

لو كنت أبكي للحمول لشاقني لليلى بأعلى الواديين حمول

(١) عبده بن الطيب: شعره ٦٣، ٦٩، ٨٢ والايطاء لا يعد عيباً الا إذا ورد في أبيات متقاربة وفي حدود السبعة أبيات.

(٢) مالك ومتمم: شعرهما ١٠٦، ١١٦، ١١٨.

(٣) عدي بن زيد: ديوانه ١٨٣.

(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٦٢.

(٥) سلامة بن جندل: ديوانه ٢٠٦.

وهذه العيوب في الوزن والقافية وان تناثرت في شعر تميم فإنها لا تقلل من مكانة هذا الشعر أو تنقص أهمية الشعراء، فهذه كلها ظواهر موجودة في الشعر الجاهلي، ومرتبطة بتطوره الفني وبنائه الموسيقي، وقد لاحظ الدكتور يوسف خليف انتشار هذه الظاهرة بصورة واضحة في مدرسة الطبع الجاهلية ورآها رواسب من الأولية المبكرة للشعر الجاهلي.[1]

---

(١) دكتور يوسف خليف: الشعر الجاهلي، نشأته وتطوره، مجلة عالم الفكر عدد ٤ مجلد ٤ ص ١٧٨

نتائج البحث الأساسية

تحتل قبيلة تميم مركزاً مهماً في التاريخ العربي القديم، وتعد من كبريات القبائل، فهي قبيلة شمالية، ينتهي نسبها الى مضر العدنانية، وهي قبيلة ضخمة العدد، وفيرة البطون، كثيرة العشائر، وقد تمايزت بطونها، وتباينت عشائرها، واشتهر منها: بنو سعد، وبنو يربوع، وبنو دارم، والبراجم ومازن وطهية والهجيم والعنبر وغيرها، وكان فيها جميعاً نسب رفيع، وعز منيع، وشعر وشرف وسؤدد.

وتوزعت هذه البطون والعشائر ـ في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية ـ على منازل تمتد امتداداً واسعاً ما بين البصرة شمالاً والربع الخالي جنوباً، وبين البحرين والخليج العربي شرقاً والحجاز غرباً وأهم هذه المنازل والديار: الدهناء عاصمة تميم، والصمان لبني دارم وأسيد ومازن واخلاط من تميم والحزن لبني يربوع، والبحرين من يبرين جنوباً الى كاظمة شمالاً لبني سعد بن زيد مناة، واليمامة لبني امرىء القيس، والعنبر وطهيه وبطون أخرى من تميم.

وحوت هذه الدراسة الكثير من أسماء منازل القبيلة وديارها التي امتازت باتساع رقعتها، وخصب مرابعها، ووفرة قيعانها، وكثرة حيوانها، وهذه السمات هي التي أغرت تميماً بالنزول فيها عندما جاءت مرتحلة من تهامة إليها.

وتميم قبيلة متبدية رعوية، ترتاد مساقط الغيث، وتأتي منابت الكلأ وفيها بطون مستقرة، وأخرى ظاعنه، وقد أحرزت دوراً ومياهاً، وكان في منازلها خبارى واسعة، ومزارع نخيل، ومحطات وأسواق تجارية.

ونظامها الاجتماعي نظام القبيلة، فالشيخ صاحب السلطة، فعن رأيه يصدرون وإليه في شؤون حياتهم يلجأون، ويعاونه السادة والأشراف، وأخبارهم تحدث عن مجتمع يكثر فيه السادة والفرسان والشعراء والحكماء،

وشعرهم زاخر بفيض مسهب لأيامهم وبطولاتهم وانتصاراتهم، وفيه فخر واسع لانفتهم ومنعتهم وكبريائهم وعنجهيتهم، وقَبِلْنا أن يكون هذا المجتمع مجتمع السيادة والفروسية والشعر.

أما سيادتها الشعرية فقد رأست تميم الموسم والقضاء في عكاظ وكان منها حكام ينظرون في الشعر ويحكمون عليه، ويقضون فيه، وفيها شعراء فحول، وبيوتات شعرية كثيرة، ولها لغة تنفرد بخصائصها وسماتها بين سائر لهجات القبائل الأخرى، وأما سيادتها الحربية فلا مجال للشك فيها، فقد كانت قبيلة محاربة، فيها بأس وشدة، ولها رهبة وهيبة، ولديها متخصصون في القتال، وأنجبت أمهر الفرسان، وأشد الرجال، وهي تقاتل على مختلف جبهات قتالها، وتخوض حروباً مريرة ووقائع رهيبة، وكانت تُهزم مرة، وتنتصر مرات، ويعتدى عليها حيناً، فتعتدي أكثر الأحيان، وهي تحارب وحدها، وتقاتل متحالفة مع غيرها، وكانت على درجة عالية من الفنون القتالية، ووجدنا أن سيف تميم كان أقوى السيوف، فتميم مسعر حرب، خاضت أياماً كثيرة زادت على سبعين يوماً من أيام العرب في الجاهلية.

وفي مجال الحكمة والكتابة والخطابة والمعارف القديمة كان لتميم نصيب وافر فيها وأبرز هؤلاء الذين تفوقوا في هذه المجالات أكثم بن صيفي حكيم العرب في الجاهلية.

وكان للمرأة منزلة مرموقة، فاشتركت في الحروب، وأنشدت الشعر، وعرفت بالحزم وصواب الرأي، وبالكرم وحسن التصرف.

وقدّس مجتمع تميم ما كان يقدسه العرب من الفضائل والشيم كالاباء والوفاء والحلم والجود والكرم وحماية الجار، وإغاثة الملهوف، ودفع الظلم، والمروءة والنجدة وغيرها من القيم الخلقية التي كان المجتمع الجاهلي يتمسك بها. وكانت فيها عادات قبيحة لعل أشد ما وصمت به منها مسألة وأد البنات.

وكان لتميم أنديتها ومجالسها، ففيها ينشدون الشعر، ويتبارون في المفاخر

وبها يسمرون ويسرون. وأمامها يشهدون حلبات الرقص وأبعد من المجالس كان فتيان القبيلة يترددون على الحانات، ويختلفون الى الغيد والساقيات.

وكانت تميم تختار وفودها من سادتها، وأشرافها، وشعرائها، وفرسانها فهم خير من يمثلها، ويكون مندوباً لها، وكانوا يفدون على الملوك والقبائل، تلبية لدعوى، ورغبة في جاه، واستشفاعاً لأسرى، واستعانة على أمر. وأصابوا ثراء ومالاً وفيراً من أيامهم وحروبهم ومرعاهم الخصب أما في التجارة فقد امتازت ديارهم بموقع تجاري هام، فتميم تقوم بحراسة القوافل، وتبذرق التجارة أثناء مرورها في أراضيها، مستعينة بأدلاء مهرة، ورجال أشداء في الخفارة، وفيها محطات تجارية تقوم على راحة المسافرين وتقدم ما يحتاجونه من طعام وشراب وتوسطت بموقعها كذلك أسواق العرب ذات النفوذ الأجنبي في البحرين والنفوذ العربي في عكاظ، وكان لها دور حماية أرواح الناس في السوق وخفارة الأمتعة وأماكن البيع والسلع التجارية، فهي والأمر كذلك لها رياسة الأمن، ودفع العدوان أما رياسة الناحية التجارية فكانت للعبديين في البحرين، ولقريش في الحجاز.

وتميم قبيلة وثنية كسائر قبائل مضر، فقد عبدت الأصنام، وطافت بها ودارت حولها، وذبحت عندها، وتقربت إليها، ولبت في طوافها.

والروايات والأخبار تُدخل بعض بطون تميم النصرانية، وتجعل بعض شعرائها من النصارى، والحقيقة أن هؤلاء جميعاً لم يكونوا نصارى وإنما تأثروا بتعاليمها، وزعمت في أسباب ذكرتها أن عدي بن زيد ليس نصرانياً وان تردد على دور عبادتها، وقرأ تعاليمها، وأعجب بها.

ولم تكن تميم مجوسية رغم أن روايات وصمتها بذلك، وقبلنا أن يكون أفراد منها قد عرفوا المجوسية لكنهم لم يكونوا مجوساً، فأوس بن حجر يعيب من تمجسوا من قبائل العرب، فكيف يقبل المجوسية في قومه بني تميم.

وكان في تميم نفر تأثروا بالحنيفية وأعجبوا بتعاليمها، فهؤلاء سادة حكماء،

بصيرون بالحياة وتجاربها، وفيهم اتزان وتعقل، وعند بعضهم اعراض عن الخمر ومجالسها، وبعد عن العادات القبيحة ومفاسدها.

وعندما أشرقت الجزيرة بنور ربها، جاءت تميم بوفدها إلى الرسول عليه السلام فأسلمت وحسن اسلامها.

وفي علاقات تميم الخارجية عرفنا أنها تتعامل مع مراكز الحضارات القديمة فتأخذ ما يفيدها، وتعطي غيرها، وظلت السيادة الحربية أبرز علاقاتها مع القبائل المجاورة والأمم المتاخمة، فقد هاجمت قوافل الفرس وصدت اعتداءاتهم ومنعت تغلغلهم داخل الجزيرة، ولم يستطيعوا اخضاعها والسيطرة عليها.

وكان لها الردافة عند المناذرة، وكانت في بني يربوع، فرسان القبيلة، وعندما فكر المناذرة في الغاء الردافة أو تبديلها، هب اليربوعيون يقاتلون المناذرة، ويهزمونهم في يوم طخفة، ويظل لهم منصب الردافة، والتقى على بلاط المناذرة رجالات تميم وشعراؤها، وكان لعدي بن زيد التميمي اليد الطولى في تتويج النعمان الثالث ملكاً على الحيرة. وعلاقات تميم مع الغساسنة تتمثل في رحيل علقمة الفحل مع وفد تميم يستشفع في أخيه شأس وأسرى القبيلة. ويبدو أن علاقات تميم مع مملكة كندة كانت حسنة فقد أجار التميميون أهل شرحبيل بعد ان انهارت مملكتهم، أما علاقاتها مع القبائل فسيطرت عليها الأيام والحروب وفي كل أيامها كانت تحارب وتظفر وتأسر وتغنم، وفي القليل منها كانت تهزم ويؤسر منها ويغنم، ولم تكن علاقاتها مع القبائل للنهب والسلب والغارة وإنما لتظل لها السيادة وزمام القيادة.

وأنجبت تميم كثيراً من الشعراء فيهم الفحول وأصحاب المطولات، وفيهم المقلون وأصحاب المقطوعات، وسجلت ثبتاً بأسمائهم زاد على مائة شاعرٍ وشاعرة، وفي تميم شعر كثير ومصادر هذا الشعر ثلاثة: ديوان القبيلة الذي ضل طريقه ولم يصل إلينا ودواوين الشعراء التي وصلت إلينا، والمصادر القديمة المطبوعة منها والمخطوطة، وكانت المفضليات، والأصمعيات وحماسة البحتري، والأغاني، والنقائض، والنوادر في اللغة، وخزانة الأدب، والأمالي، وسمط

اللآلى، وطبقات فحول الشعراء، وغيرها من المصادر المهمة التي ضمت جانباً من شعر تميم وكانت دروباً بائنة المعالم إلى شعر القبيلة وشعرائها، ثم عرضت لظواهر الضياع والانتحال والاختلاط، وذكرت الأسباب والدوافع، وبعد ذلك قمت بتوثيق شعر القبيلة وارتضيت لهذا التوثيق مقياساً يجمع بين مقاييس القدماء ومناهج المحدثين، وتناول هذا المقياس ناحيتين هامتين الأولى الرواة الثقاة العدول والثانية النصوص الأدبية التي لا تحمل الروح الاسلامية، ولا تخضع لخلاف في روايتها وتمثل بيئة الجاهليين، وتحدث عنهم، وإذا ما وثقنا شعر تميم تبعاً لهذا المقياس وأوضحنا قيمته التاريخية استطعنا أن نمضي في دراسته بوضوح واطمئنان.

وجاء شعر تميم في موضوعات تدور حول محور القبيلة وارتأيت أن تكون في أربعة موضوعات هي: الحرب، والرثاء، والطبيعة، وموضوعات أخرى، فقد تحدث شعر الحرب عن أيام القبيلة، وتتبعت تلك الأيام على امتداد جبهات قتالها وفي ساحات معاركها، وفي أكثر الأيام وعلى مختلف الجبهات كان التفوق الحربي لتميم، وينهض العدد الضخم والعزة المنيعة والمهارة القتالية والمحاربون الأشداء والفرسان المساعير أسباباً قوية لانتصارات القبيلة، وكانت تلك الأسباب مادة الفخر والوصف في شعر القبيلة، فقد تباهى الشعراء بأسباب انتصاراتها، ووصفوا كل ما أدى الى تفوقها فوصفوا الأسلحة الدفاعية والهجومية وما يسبق المعركة وما يعقبها واهتموا اهتماماً زائداً بالخيل، وقسمنا شعر الرثاء الى أربعة أقسام، رثاء الفرسان ورثاء الأصدقاء ورثاء النفس الانسانية ورثاء الأمم الغابرة، وشخصياتها الماضية، وعرضت لنظرة شعر تميم إلى الدهر وريبه، وإلى الزمان وأحداثه، وإلى الفناء ومعالمه، وهي نظرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموت الذي يصرع الأبطال ويخطف الأعمار ويطوي الأمم.

وعني شعر تميم بالطبيعة عناية فائقة، فوصف سحابها وأمطارها، ورياضها وقيعانها، وحدث عن حيوانها، ومثل هيئاته، وقص علينا أوصافه، ووقفت

عند ثلاثة مشاهد من الطبيعة في شعر تميم كان لها فيها ابداع وامتاع تناولت في أولها السحاب وفي ثانيها النعام، وفي ثالثها الحيوان الوحشي، أما القسم الرابع فقد تناول أغراضاً أهمها الأخلاق والهجاء والغزل وعرضنا ما كان من أخلاقهم في مجال الفضائل والخصال الحميدة، وما كان من هذه الأخلاق في مجالات اللهو والمتعة من خمر وغناء ونساء، وجاء هجاؤهم فاحشاً مقذعاً، وشديداً موجعاً، وأما غزلهم فتصدر أكثره مطالع قصائدهم، وأما شعر المدح فقد جاء ضامراً عندهم ولعل اعتزاز القبيلة بتفوقها وسيادتها جعلها تعرض عن تمجيد غيرها.

واستوعبت الدراسة الفنية في شعر تميم ست خصائص هي: لغة تميم ومدرسة الصنعة التميمية، وشعر مطولات، والمقدمات والتصريع، والظواهر اللفظية، والظواهر الموسيقية، وامتازت تميم بلغة كانت أفصح لغات القبائل النجدية وأكد هذا الامتياز أبو عمرو بن العلاء عندما قال: «أفصح الناس عليا تميم». وتنفرد تميم بلهجة خاصة بها لها ميزاتها وخصائصها، وكانت هذه اللهجة تميل إلى التخفيف والاتمام في الصيغ والمفردات، وإلى الشدة والتفخيم والتذكير في الاسماء، وهي لهجة ذات فوارق اعرابية، فلا تعمل ما، وتنصب تميز كم، وتدغم وتنبر وتحقق الهمز، ولها معالجات في الفعل وصيغه، وهي تقدم، وتؤخر، وتبدل حروف مفرداتها، وفيها مرونة لتطوير دلالة تلك المفردات، واستفاد شعر القبيلة من لهجتها التي أمدت العربية بروافد غنية من سماتها وخصائصها.

وفي مطلع النصف الاول من القرن السادس الميلادي وجه الشعراء عنايتهم الى تجويد الشعر وتعهدوا القصيدة بالتهذيب والتثقيف، والزموا أنفسهم برسم صورها الفنية المتأنية، وحرصوا على تسجيل أبعاد تلك الصور، وذكر تفصيلاتها، حتى أصبحت عملاً فنياً اتقنت مقوماته، وأحكمت صنعته، وأدى ذلك الى ظهور مدرسة فنية يسميها استاذنا الدكتور يوسف خليف مدرسة الصنعة، وتبدأ هذه المدرسة عند بعض الباحثين بأوس بن حجر شاعر

تميم الكبير، وعند بعضهم بالطفيل الغنوي شاعر قيس، والذي أراه أن بداية هذه المدرسة أسبق من الشاعرين وأن علقمة الفحل شاعر تبدأ به مدرسة الصنعة لأسباب ذكرتها ودعمتها بروايات قديمة وآراء حديثة. وبعد علقمة كان أوس بن حجر رائداً من رواد مدرسة الصنعة، فعلى يديه تقدمت، وقطعت شوطاً كبيراً في مقومات العمل الفني وصنعة الشعر، فهو الذي استوعب سماتها، وثبت دعائمها وقوى أصولها ووفر لها أسباب الحياة حتى وصلت إلى زهير بن أبي سلمى الذروة الفنية لها.

ووجدنا في هذا البحث أن مدرسة الصنعة مدرسة تميمية البداية والريادة، وأن هذه المدرسة تضم من شعراء تميم سلامة بن جندل، والأسود بن يعفر، والمخبل السعدي، وعبده بن الطبيب، وضابىء بن الحارث، ومتمم بن نويره وغيرهم. وهؤلاء جميعاً كانوا يجودون شعرهم ويرسمون صوره الحسية، في أناه وجهد، وبعد تحقيق وتدقيق، واتخذوا من التشبيه التمثيلي والاستعارة طريقاً الى هذه الصور، وحرصوا على التفاصيل والجزئيات، وسجلوا الحركات والأصوات، وركّزوا الألوان، وذكروا المكان والزمان، وكانوا أصحاب صياغة قوية، وعاطفة جياشة، فجاءت صورهم لوحات فنية رائعة.

وسجلنا على شعر تميم أنه شعر مطولات، فقد جاء هذا الشعر في أكثره من القصائد الطوال التي لا تقل عن عشرين بيتاً، والتي تصل أحياناً الى ما يقرب من مائة بيت، وبينت أسباب هذه الظاهرة ودواعيها وعالجت أسباب وجود مقطوعات شعرية في ديوان القبيلة الذي تم جمعه.

وحرص شعر تميم على المقدمات بمختلف أنواعها وأنماطها، واحتلت المقدمات الطللية، والغزلية مكاناً فسيحاً فيه، كما جاءت في هذا الشعر مقدمات تحدث عن الشيب والشباب، وتخبر عن الهموم. واهتم شعر تميم بالتصريع. وقد ذكرت أسباب هذا الحرص على المقدمات ودواعي الاهتمام بالتصريع.

وحين ننظر في شعر تميم من حيث الألفاظ والتعبيرات نجده فصيح العبارة، جزل اللفظ، متين التركيب، محكم الصياغة، وتبدو ألفاظ هذا الشعر كأنها نحتت نحتاً، وبنيت أكمل بناء فهذا الشعر يختار اللفظة الدقيقة وينتقي العبارة المتأنية، ولاحظنا فيه ظواهر لفظية تلح عليه كالتكرار وصيغ التبليغ وتتابع الصفات وفيه مفردات أعجمية هاجرت اليه من المراكز الحضارية أكثرها من بلاد فارس.

وجاء شعر تميم على البحور التي اتسعت لموضوعاتهم في الحرب والرثاء والطبيعة وغيرها، وتوزعته بحور: الطويل، والبسيط، والوافر، والكامل أكثر من سواها، واحتلت حروف الميم واللام والباء والراء أكثر قوافي هذا الشعر. وكان بناء الأبيات، ونسيج المطولات والقصائد يأتي في إيقاع موسيقي جميل، يفصح عن مقدرتهم في اختيار الألفاظ وتنسيق المفردات، وهم يوزعون مفرداتهم في البيت توزيعاً يحقق توازناً موسيقياً داخلياً. ولم يخل شعرهم من عيوب في الوزن والقافية ولكنها لا تنقص من أهمية ذلك الشعر ويظل لتميم تفوقها في شعرها.

وبعد، فهذه تميم بشعرها الثر، وشعرائها الكثر قد احتلت مركزاً بارزاً بين القبائل ومهدت السبيل لظهور كثير من شعرائها بعد ان اشرقت الجزيرة بنور ربها وفي مقدمتهم الشاعران الكبيران جرير والفرزدق زمن بني أمية.

المصادر والمراجع

المصادر القديمة:

الآمدي: أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠هـ)

(١) المؤتلف والمختلف: تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة الحلبي القاهرة ١٩٦١.

ابن الاثير: أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ).

(٢) الكامل في التاريخ: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ١٩٦٥.

الأخفش: أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل (ت ٣١٥هـ)

(٣) كتاب الاختيارين: تحقيق د. فخر الدين قباوة، مطبعة الكتبي، دمشق ١٩٧٤.

الاشنانداني: أبو عثمان سعيد بن هارون (ت ٢٨٨هـ)

(٤) معاني الشعر: جمعية الرابطة الأدبية، دمشق ١٩٢٢.

الأصفهاني: علي بن الحسين ابو الفرج (ت ٣٥٦هـ)

(٥) الأغاني: طبعة دار الكتب. طبعة بيروت (ثقافة)

ابن الأعرابي: أبو عبدالله محمد بن زياد (ت ٢٣١هـ)

(٦) أسماء خيل العرب وفرسانها، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٨.

الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)

(٧) الاصمعيات: تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٥٥.

(٨) كتاب خلق الانسان «مجموعة الكنز اللغوي» تحقيق أوغست هنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٠.

امرؤ القيس: ابن حجر بن الحارث الكندي

(٩) الديوان: تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف ١٩٦٨.
الأنباري: أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٠٥هـ)
(١٠) شرح ديـوان المفضليـات، تحقيـق كـارلـوس لايـل، مطبعـة الآبـاء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠.
ابن الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم (ن ٣٢٨هـ).
(١١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف ١٩٦٣.
(١٢) الاضداد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الكويت ١٩٦٠
الأنصاري: أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت (ت ٢١٥هـ)
(١٣) النوادر في اللغة: تصحيح سعيد الشرتوني، المطبعة اليسوعية بيروت ١٨٩٤م.
البحتري: ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٣هـ)
(١٤) الحماسة: تحقيـق الاب لـويس شيخـو، دار الكتـاب العـربي، بيروت ١٩٦٧م.
البصري: صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين (ت ٦٥٩هـ)
(١٥) الحماسة البصرية: تحقيق دكتور مختار الدين أحمد، طبع وزارة المعارف: الحكومة الهندية ١٩٦٤م.
البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)
(١٦) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧ وطبعة المنيرية
البكري: ابو عبيدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ)
(١٧) معجم ما استعجم: تحقيق الاستاذ مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٤هـ.
(١٨) سمط اللالي في شرح أمالي القالي تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٦م.

(١٩) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق دكتور إحسان عباس ودكتور عبد المجيد عابدين، الخرطوم ١٩٥٨م.
(٢٠) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ.

التبريزي: ابو زكريا يحي بن علي (ت ٥٠٢هـ)

(٢١) شرح اختيارات المفضل الضبي، تحقيق دكتور فخر الدين قباوة مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٢م.

أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٢٨هـ)

(٢٢) ديوان الحماسة، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ١٩٥٥م.
(٢٣) الوحشيات: تحقيق عبد العزيز الراجكوتي، وزاد في حواشيه محمود شاكر، دار المعارف ١٩٦٣م.

التميمي: محمد بن يوسف (ت ٥٣٨هـ).

(٢٤) المسلسل، تحقيق محمد عبد الجواد، القاهرة ١٩٥٧م

ثعلب: أحمد بن يحي بن زيد الشيباني (ت ٢٩١هـ)

(٢٥) مجالس ثعلب: تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٤٨م.
(٢٦) قواعد الشعر: شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة الحلبي ١٩٤٨م.

الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)

(٢٧) الحيوان: تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي، ١٩٤٥.
(٢٨) البيان والتبيين: تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦١م.

ابن جندل: سلامة بن جندل.

(٢٩) الديوان: تحقيق دكتور فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب ١٩٦٨م.

ابن جني: ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ).
(٣٠) المحتسب: تحقيق علي النجدي وآخرين، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة ١٩٦٩م.
(٣١) الخصائص، تحقيق الشيخ محمد علي النجار: دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.
ابن حبيب: أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر (ت ٢٤٥هـ)
(٣٢) المحبّر: تحقيق دكتورة ايلزه شنيتر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٤٢م.
(٣٣) القاب الشعراء «مجموعة نوادر المخطوطات» تحقيق عبد السلام هارون.
ابن حجر: أوس.
(٣٤) الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت ١٩٦٠ م.
ابن حجر: شهاب الدين ابو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٩٥٢هـ)
(٣٥) الاصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.
ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ).
(٣٦) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.
الحصري: ابو أسحق ابراهيم بن علي القرواني (ت ٤٥٣هـ)
(٣٧) زهر الأداب وثمر الالباب، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٥٣م.
الحلبي: ابو الطيب عبد الواحد بن علي (ت ٣٥١هـ)
(٣٨) الابدال: تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٦٠.
ابن أبي خازم: بشر الأسدي.
(٣٩) الديوان: تحقيق دكتور عزت حسن، دمشق ١٩٦٠م.
الخالديان: ابو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ) وابو عثمان سعيد (ت ٣٩١هـ).

(٤٠) الاشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، تحقيق دكتور السيد محمد يوسف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٨م

ابن خلدون: عبد الرحمن محمد (ت ٨٨٠هـ).

(٤١) المقدمة: مطبعة الحلبي.

ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٢١هـ)

(٤٢) الاشتقاق: تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٥٨م.

(٤٣) جمهرة اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، ١٣٤٣هـ، ومطبعة المثنى بغداد.

الزبيدي: ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني (ت ١٠٢٥هـ)

(٤٤) تاج العروس: طبعة بيروت ١٩٦٦، وطبعة المنيرة ١٣٠٦هـ

الزمخشري: أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)

(٤٥) الامكنة والمياه والجبال، تحقيق دكتور ابراهيم السامرائي، مكتبة السعدون، بغداد.

الزوزني: ابو عبدالله الحسين بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)

(٤٦) شرح المعلقات السبع: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٦١م.

(٤٧) حماسة الظرفاء. تحقيق عبد الجبار المعيبد بغداد ١٩٧٧

السجستاني: أبو حاتم سهيل بن محمد (ت ٢٥٠هـ)

(٤٨) المعمرون والوصايا: تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٦١م.

ابن سعيد: محمد (ت ٢٣٠هـ)

(٤٩) الطبقات الكبير، دار صادر، ودار بيروت ١٩٥٧م.

ابن السكيت: ابو يوسف يعقوب بن أسحق (ت ٢٤٤هـ).

(٥٠) القلب والابدال: «مجموعة الكنز اللغوي» تحقيق أوغست غنز المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٣.
(٥١) تهذيب الالفاظ: تحقيق الاب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٥م.
(٥٢) اصلاح المنطق: تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٤٩.
ابن سلام: محمد الجمحي (ت ٢٣١هـ).
(٥٣) طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٢م.
ابن سيده: ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨هـ)
(٥٤) المخصص: طبعة بولاق ١٣١٦هـ
السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)
(٥٥) المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٨م.
(٥٦) شرح شواهد المغني، مطبعة محمد مصطفى، القاهرة ١٣٢٢هـ.
ابن الشجري: هبة الله بن علي بن ضمرة العلوي (ت ٥٤٢هـ)
(٥٧) الحماسة الشجرية، تحقيق عبد المعين الملوحي واسماء الحمصي منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٠م.
الضبي: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم (ت ١٦٨هـ)
(٥٨) المفضليات: تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤.
الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
(٥٩) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٧.
ابن الطبيب: عبده.

(٦٠) شعره: جمع وتحقيق دكتور يحي الجبوري، دار التربية، بغداد ١٩٧١.
العبادي: عدي بن زيد.
(٦١) الديوان: تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد ١٩٦٥
العباسي: عبد الرحيم بن أحمد (ت ٩٦٣هـ)
(٦٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٧م.
ابن عبد ربه: ابو عمر أحمد بن محمد (ت ٢٣٨هـ)
(٦٣) العقد الفريد: تحقيق أحمد امين وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٨م.
ابو عبيدة: معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)
(٦٤) النقائض بين جرير والفرزدق، تصحيح محمد اسماعيل الصاوي، المكتبة الحسينية بمصر ١٩٣٥م، وطبعة ليدن ١٩٠٥م، نسخة مصورة بالاوفست لمكتبة المثنى ببغداد.
(٦٥) مجاز القرآن: تحقيق دكتور محمد فؤاد سركين، مطابع الخانجي، مصر، ١٩٥٤.
(٦٦) الخيل، الهند ١٣٥٨هـ
العسكري: أبو أحمد بن عبدالله بن سعيد (ت ٣٨٢هـ)
(٦٧) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق عبد العزيز أحمد، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٦٣م.
العسكري: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد (ت ٣٩٥هـ).
(٦٨) كتاب الصناعتين: تحقيق علي محمد البجاوي وزملائه، دار احياء الكتب العربية، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٢.
(٦٩) التلخيص في معرفة اسماء الاشياء، تحقيق دكتور عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٠.

(٧٠) ديوان المعاني: مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٢هـ
العمري: ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ)
(٧١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٢٤ م.
الفحل: علقمة بن عبده.
(٧٢) الديوان: تحقيق لطفي الصقال، ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي بحلب ١٩٦٩.
(٧٣) الديوان: تحقيق أحمد صقر: القاهرة ١٩٣٥.
القالي: ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ)
(٧٤) الامالي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٦.
ابن قتيبة: ابو محمد عبدالله بن مسلم الدنيوي (ت ٢٧٦هـ)
(٧٥) الشعر والشعراء: تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر ١٩٦٦
(٧٦) المعاني الكبير: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ١٩٤٩.
(٧٧) المعارف: تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٦٠
(٧٨) تأويل شكل القرآن: تحقيق أحمد صقر، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٤.
(٧٩) عيون الأخبار، دار الكتب، ١٣٤٣هـ.
القيرواني: ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ)
(٨٠) العمدة: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٣هـ، مطبعة بيروت ١٩٧٢.
ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ)
(٨١) الأصنام: تحقيق أحمد زكي: نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.
(٨٢) أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.
لغدة: الحسن بن عبدالله الأصفهاني (القرن الثالث الهجري)

(٨٣) بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر ودكتور صالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٩٦٨.
ابن المبارك: محمد بن ميمون البغدادي (نهاية القرن السادسه)
(٨٤) منتهى الطلب من أشعار العرب. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٦٣١ ادب ش.
المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت ـ٢٥٨هـ)
(٨٥) الكامل في اللغة والأدب، تحقيق زكي المبارك، مطبعة مصطفى البابي، مصر ١٩٣٧.
المرزباني: ابو عبدالله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ)
(٨٦) معجم الشعراء: تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٦٠.
(٨٧) الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر ١٩٦٥.
المرزوقي: ابو علي أحمد بن الحسين (ت٤٢١هـ)
(٨٨) شرح ديوان الحماسة لابي تمام تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون القاهرة ١٩٥١م.
المرزوقي: أبو علي الأصفهاني (ت ٤٥٣هـ)
(٨٩) الازمنة والأمكنة، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن ١٣٣٢هـ.
المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)
(٩٠) مروج الذهب: ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة: القاهرة ١٩٥٨.
المعري: أبو العلاء احمد بن عبدالله التنوخي (ت ٤٤٩هـ)
(٩١) رسالة الغفران: تحقيق بنت الشاطيء، دار المعارف بمصر ١٩٥٠.
ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١هـ)

(٩٢) لسان العرب، دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٤، وطبعة بولاق ١٣٠٠هـ.
ابن منقذ: اسامة (ت ٥٨٤هـ)
(٩٣) المنازل والديار: تحقيق مصطفى حجازي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة ١٩٦٨.
الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ)
(٩٤) مجمع الأمثال: القاهرة ١٣٥٢هـ.
ابن النديم: محمد بن اسحق (ت ٣٨٣هـ)
(٩٥) الفهرست: مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٤٨هـ.
النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)
(٩٦) نهاية الارب في فنون العرب، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٧٣.
ابنا نويرة: مالك ومتمم
(٩٧) شعرهما: جمع دكتورة ابتسام الصفار، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨
ابن هشام: ابو محمد عبدالله بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ)
(٩٨) السيرة النبوية: تحقيق مصطفى السقا، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٥
الهمداني: ابو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٢هـ)
(٩٩) صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن بليهد النجدي، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٣.
ياقوت: شهاب الدين ابو عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)
(١٠٠) معجم البلدان: دار صادر، ودار بيروت ١٩٥٥، ومطبعة السعادة.
ابن يعفر: الأسود بن يعفر.
(١٠١) الديوان: تحقيق دكتور نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة العراقية مطبعة الجمهورية ١٩٧٠م.
اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ)
(١٠٢) تاريخ اليعقوبي: تحقيق صادق بحر العلوم، النجف ١٩٦٤م

المراجع الحديثة:

الاحسائي: محمد بن عبدالله آل عبد القادر.

(١٠٣) تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، القسم الاول، مطابع الرياض ١٩٦٠

الاسد: ناصر الدين «دكتور»

(١٠٤) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢.

الافغاني: سعيد.

(١٠٥) أسواق العرب في الجاهلية، دار الفكر، دمشق ١٩٦٠.

الالوس: محمود شكري

(١٠٦) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، طبعة محمد بهجة الاثري، مطابع دار الكتاب العربي، مصر ١٣٤٢هـ.

بروكلمان: كارل «دكتور»

(١٠٧) تاريخ الادب العربي، تعريب عبد الحليم نجار، دار المعارف، مصر ١٩٦١

ابن بليهد: محمد بن عبدالله النجدي.

(١٠٨) صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الأثار، مطبعة السعادة المحمدية، ومطبعة الاقام ـ القاهرة ١٩٥١.

جاد المولى: محمد أحمد، وزملاؤه

(١٠٩) أيام العرب في الجاهلية: مطبعة الحلبي، مصر ١٩٤٢.

الجندي: علي «دكتور»

(١١٠) شعر الحرب في العصر الجاهلي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت ١٩٦٦

حسين: طه «دكتور»

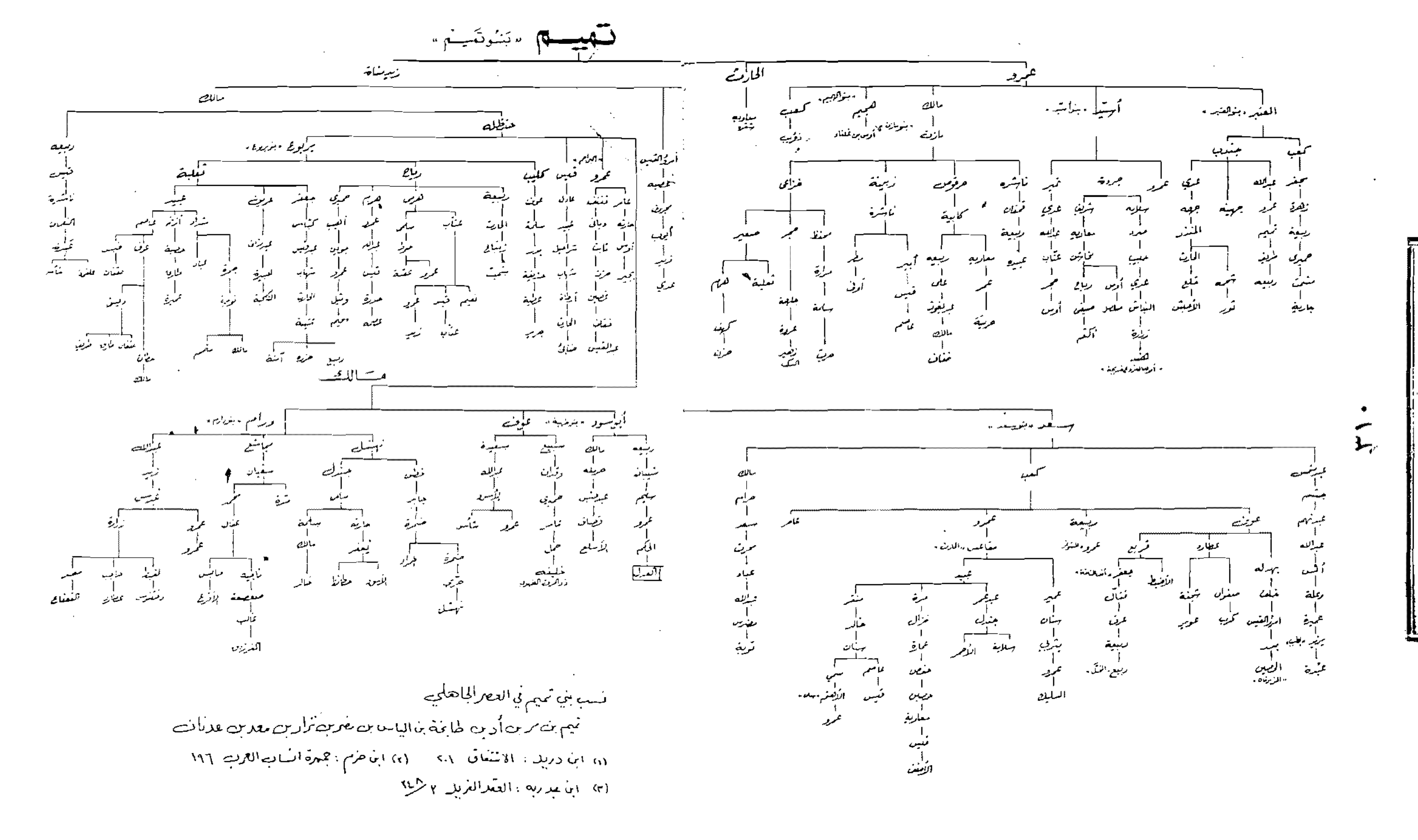
(١١١) في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة ١٩٢٧.

الحوفي: أحمد محمد «دكتور»

(١١٢) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٣
الخطيب: بشرى محمد علي
(١١٣) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام، بغداد ١٩٧٧.
خليف: يوسف عبد القادر «دكتور»
(١١٤) الشعراء الصعاليك، دار المعارف، مصر ١٩٦٦.
(١١٥) ذو الرمة شاعر الحب والصحراء. دار المعارف، القاهرة ١٩٧١.
(١١٦) الشعر الجاهلي، نشأته وتطوره مقال في مجلة ـ عالم الفكر ـ عدد ٤ مجلد ٤، ١٩٧٠.
الدباغ: مصطفى مراد.
(١١٧) قطر «ماضيها وحاضرها»، منشورات دار الطليعة، بيروت ١٩٦١.
الزركلي: خير الدين.
(١١٨) الاعلام، قاموس تراجم، بيروت ١٩٦٩..
زكي أحمد كمال «دكتور».
(١١٩) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٩.
سالم: سيد عبد العزيز «دكتور»
(١٢٠) تاريخ العرب في العصر الجاهلي، بيروت ١٩٧١.
شلس: علي حسين «دكتور»
(١٢١) خرائط توزيع الأمطار في المملكة العربية السعودية، مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٣.
صقر: عبد البديع
(١٢٢) شاعرات العرب، قطر، المكتب الاسلامي، ١٩٦٧.
ضيف: شوقي «دكتور»
(١٢٣) العصر الجاهلي «تاريخ الادب العربي»، دار المعارف، مصر ١٩٦٠
الطيب: عبدالله «دكتور»

(١٢٤) المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر، بيروت ١٩٧٠.
علي: جواد «دكتور»
(١٢٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨.
العلي: صالح أحمد «دكتور»
(١٢٦) محاضرات في تاريخ العرب، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٨.
فروخ: عمر «دكتور».
(١٢٧) تاريخ الادب العربي، الأدب القديم، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩.
قباوه: فخر الدين «دكتور»
(١٢٨) سلامة بن جندل: المكتبة العربية بحلب ١٩٦٨.
القيس: نوري حمودى «دكتور»
(١٢٩) الفروسية في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٤.
كحالة: عمر رضا.
(١٣٠) جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٤٤.
(١٣١) معجم اعلام النساء، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٥٩.
(١٣٢) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٢٩.
المسلم: محمد سعيد
(١٣٣) ساحل الذهب الأسود، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٢.
المعيني: عبدالحميد محمود (دكتور)
(١٣٤) شعر بني تميم (جمع وتحقيق) مطابع عسير، نادي القصيم الادبي السعودية ١٩٨٢م
الهاشمي: محمد علي
(١٣٥) عدي بن زيد، المكتبة العربية، حلب ١٩٦٧.

الفهرست



رقم الايداع لدى
مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
٢٣٨ / ٥ / ١٩٨٣

الناشـــر :-
الوكالة العربيـــة للتوزيع والنشر
الاردن - الزرقاء تلفون ٨٥٩١٢

الموزعـــون :-
الدار العربية للتوزيع والنشر
تلفون ٣٣٣٠١ ص.ب ٥٠٦٧
عمان - الاردن





الناشر :-

الوكالة العربية للتوزيع والنشر

مطبعة النور النموذجية

تلفون ٨٤٣٧٧٠